القديس أثناسيوس الرسولى

كمال البرهان على حقيقة الإيمان



القس منسى يوحنا

مكتبة المحبة

القديس أثناسيوس الرسـولى

كمال البرهان

على

حقيقة الإيمان

مكتبة المحبـة

٣/٨



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

بينما كنت أبحث فى بلاد فلسطين سنة ١٩٢٧ عن الكتب القديمة عثرت على نسخة مخطوطة من هذا الكتاب فسررت بها وعزمت على نشرها مطبوعة لأنه للآن لم يطبع بالعربية لأثناسيوس الرسولى كتاب واحد . ولدى بحثى فى هذا الكتاب وجدت النساخ الأجانب عن كنيستنا قد دسوا فيه عقائدهم لتعزيزها بشهادة هذا القديس وقد أشرنا إلى ذلك فى حواشى الكتاب وأقمنا الدليل على صحة قولنا :

وألا يعتبر مخجلاً لنا أن نعلم كتب أثناسيوس وغيره من آباء كنيستنا مطبوعة فى أوربا فى كل لغاتها من قرون ، وأن السوريين ترجموها عن اللغات الغربية وهى محفوظة عندهم ولولا عدم قدرتهم على طبعها لأظهروها مطبوعة ، بينما الكنيسة القبطية صاحبة الشأن تقف مكتوفة الايدى لا تبدى حراكاً أمام هذه المظاهر العلمية السامية ، فدل أولئك بذلك على حياتهم وبرهنا نحن على موتنا . لماذا لا تؤلف البطريركية لجنة للبحث عن هذه الآثار الجليلة وتقديمها للطبع ، والمال بحمد الله متوافر كثير ؟

القديس أثناسيوس الرسولى

ولد هذا القديس من أبوين وثنيين وعـاشر المسيحيين فأعتنق مـذهبهم ومن ثم عمده البطريرك أسكنـدر وأتخذه شمـاساً له لنجابته وفرط ذكائه وتقواه . وقد رافقه إلى مجمـع نيقيه حيث أظهر براعـة فائقـة فى دحض آراء الأريـوسيين وتـولى البطريركيـه بعد معلمـه سنة ٣٢٦ م وقضى ٤٩ سنة على الكرسى يقـاوم الأريـوسيين ويجـاهد ضدهم . ووشى الأريوسيـون لدى الملك وأتهموه بتهم باطلـة عديدة ، ولكنه أستطـاع أن يفلت من أيديهـم وأن يبرهن على براءته مما عزى إليه . وقد حـاولوا أن يغتـالوه فلجـأ إلى القسطنطينيـة ثم روميـة . وظل يجـاهد حتى تنيح سنة ٣٧٣ م ومن مـآثره أنه أدخـل الدين المسيحى بلاد الحبشة سنة ٣٣٠ م .

ومؤلفاته عديدة منها رسائل ضد الوثنية وأخرى ضد الأريوسيين وغيرها فى التجسـد ورسالة فى هربه وأحتجاج القسطنطين وتاريخ البدع الأريوسـية وكتاب فى التجسد (لعله هذا الذى ننشره) وغير ذلك من الكتب والرسائل العديدة (راجع تاريخه بالتفصيل وبيان جلائل أعماله وأسماء مؤلفاته بكتابنا " تاريخ الكنيسة القبطية " ص ١٤٧ – ١٧٩) .

" أن من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة نفسها "

(أغريغوريوس النزينزى)

" أن من يجد شيئاً من تصانيف أثناسيوس فليكتبه حالاً على قرطـاس وإن كان لا يجد قرطاساً فليدونه على أثوابه "

(الأنباقزما)

كمال البرهان على حقيقة الأيمان
للقديس أثناسيوس الرسولى

الكتاب الأول

فى أن للخلق إلاهاً واحداً لا إله إلا هو وفى تثليث الأقانيم وتجسد الكلمة ومواهبه الشريفة للمؤمنين

مقــــدمــة

أما بعد من يعلم كتب الله فى العهدين العتيق والحديث فليس يشك فى الله كما لا يشك أيضاً كثير من الحنفاء أيضاً لأن معرفة الله فى طبيعة الأنسان مغروسة ولكن من أجل أن بلغ من قوة شر أبليس الخبيث على طبيعة الأنسان أن أوقعت أناساً كثيرين فى هوة الهلاك وأشر الشر كله أنهم قالوا ليس إله ، وهم الذين ذكر داود النبى عنهم قوله فى المزمور " قال الجاهل فى قلبه ليس إله " الذين وبخ الله جهلهم وكذبهم على يدى رسله الحواريين تلاميذ المسيح بما أعطاهم من حكمة الروح القدس ووهب لهم بقوته من عمل الأيات التى تبين قدرة الله فصادوا بشباك الأيمان كثيراً من الناس وأصعدوهم من عمق الضلال وأخرجوهم إلى نور الهدى ومعرفة الله وأحيوهم . وكذلك فعل خلفاء الحواريين فى الموهبة والمنزلة جميعاً من الرعاة والمعلمين الذين قبلوا موهبة روح القدس المنيـرة فهـدوا بموهبة النطق وقوة فعـل الأيات وأناروا أهل الظـــلام وردوا الضـالين ، وأما نحن فليس لنـــا صـلاح أولئك فلذلك لم نعط مواهب الله مثلهم ولكنـــا لا نلقى بأيدينا ولا نسـكت ولا ندع الجهاد مع من كفر بالله وزعم أن ليس إله ونكسـر قولهم بقوة الله .

القسم الأول

فى أن للخلق إلاهاً واحداً لا إله إلا هو

فنقول أنه لا بد من أن تكون الأشياء كلها أما مخلوقة وأما غير مخلوقة . فإن كانت مخلوقة فلا محالة أنها تكون متغيرة لأن كل ما كان أبتدأ تكوينه من تغيير فالتغيير له لا بد لازم . إما يصيره إلى أتلاف وبلى ، وإما ينقله من حال إلى حال غيرها طائعاً أو كارهاً لأننا نرى الأشياء كلها تتغير وتصير إلى موت وبلى وأتلاف وذلك كرهاً ، ونرى منها ما يتغير طوعاً بارادته مثلما يتغير الأنسان من صلاح إلى فساد ومن رضـــاء إلى غضب ، ومن حال إلى حـــال ، وتتغير الدواب شبه ذلك .

وإن كانت الأشـياء غير مخلوقة فلا بد أن تكون على خـلاف المخلوقة لا تتغييـر ولا تبلى . فمن لا يقر أن كل ما يرى ويحس به فى الأشياء كلها وما لا يرى ولا يحس أيضاً يتغير . أما ما لا يأخذه الحس منها الملائكة والنفوس والشياطين فبارادة منهم يتغيرون إما من خير إلى تقدم وزيادة فى الخير ، وإما من خير إلى شر بأنتقال متغير إما للزيادة وإما للنقص . فاما سائر الأشياء الحسية كلها فالتغير لها لازم بالولادة والنمو والزيادة والنقصان وأنتقال الطعم والريح واللون وما يلحق ذلك كله من الموت والبلى والفناء .

فإذا تبين أن الأشياء كلها تتغير فقد لازمها أن تكون مخلوقة وإذا كانت مخلوقة فلا بد أن يكون لها خالق وينبغى للخالق أن لا يكون مخلوقاً فلا محـــالة أن يكون آخر خلقه ثم آخر خلق آخر إلى أن ينتهى ذلك إلى خالق ليس مخلوقاً ولا بد له من أن يلحقه أن لا يكون متغيراً ، فإذا كان ليس مخلوقاً ولا متغيراً فهو الأله فهذا أمر يدل على معرفة الله . وقوام الخلق وحفظه وتدبيره يدل على أن لذلك إلهاً وهو الذى قومه وهو الذى يحفظه لا يزول فيبطـــل وهو الذى يدبره ولولا ذلك كيف كـــانت الطبايع التى يخالف بعضها بعضاً من النـــار والماء والهواء والأرض تتفق وتتآزر بعضها بعضاً

على تمام عالم واحد ثم تبقى بلا أنحلال ولا هلاك إلا أن تكون خلقتها قوة قادرة على الكل فهى التى وفقتها وهى التى تحفظها لكى لا تنحل ولا يفنى بعضها بعضاً . ومن أقام سماء وأرضاً وناراً وماء وكل مافيها من الأشياء وألزمها نظاماً تجرى عليه وحدد لكل شىء حداً لا يعدوه ولا يتحول عنه .

ومن الذى أجرى ذلك بلا أفتراق وخلطة وبلا فساد والزم الأشياء المختلفة الألفة مع شدة إختلافها فيما يتفق على عمله من النبات والأثمار والدواب والطير وكل ما فى البر والبحر وفى الناس من الأجساد القائمة بائتلاف ما فيها من مزاج أجزاء ما أختلف من طبائع العناصر والزم السماء التدوير دائماً لا ينقطع والمصابيح التى فيها مجرى يسعى سعياً دائماً لا ينتهى فإن ذلك كله لا يستقيم أن يكون من قبل نفس الأشياء منها وبها . ولو أستقام أن يكون تكوينها من نفسها ما أستقام أن يكون ثباتها والتزامها حدودها المعروفة لها من بدء ما كانت على ما يدخل عليها فى ذلك من التغير والصغر والذل من قبل نفسها . لأن الشمس لو قدرت على دفع الظلمة عن ضوؤها ليلاً وأن تقيم فى كرامتها من موضعها فى أعلا الفلك ولا تهبط إلى أسفل حتى يتوارى نورها عن الدنيا بالستر لفعلت . ولو أستطاعت لم تنر الماء ليصعد إلى الهواء فيكسر حرها ببرده ويغلظ الهواء حتى يصير فى السحاب دونها ولا يرى الخلق حسن نورها ، ولو قدرت الشمس ما تسافلت فى يمن الفلك أبداً ولا جرت فى المشارق الصغار حيث يقصر مطلعها على الدنيا فى تسع ساعات وتصير مغلوبة بالبرد وطول سلطان ظلمة الليل شبه المقشعرة وللزمت الفلك ومجراها فى المشارق الكبار حيث يطول مطلعها على الدنيا فى خمس عشرة ساعة وتكون غالبة للبرد بحرها ولظلمة الليل بنورها ولا كانت تخرج من بيت شرفها من الحمل إلى بيت سجنها الميزان ولو أستطاع القمر ما تغير عن ضوؤه أبداً ولا صار من أمتلاء نوره إلى نقص ومحاق حتى لايرى ولا أحتمل ما يدخل عليه من الخسوف طائعاً ولو قدرت النجوم أن تدفع نور الشمس حتى لا يستر ضوؤها وتحول بين من على الأرض من أن يروا حسنها أو على دفع السحاب على أن لا يسترها لفعلت . ولو أستطاع الهواء أن يمنع حرارة النار المفرطة ولا يدعها أن تفنى رطوبته وحسن مزاجه فيصير يابساً بسمومها قاتلاً لكل نفس به بعد أن كان

طيباً محبوباً محيياً للكل . ولأمتنع أيضاً من برودة الماء المفرطة ولم يدعها أن تقهر حرارته المعتدلة بحسن مزاج الرطوبة فيصير مضراً زمهريراً قاتلاً لكل متنفس به بعد أن كان لينا شهياً محيياً للكل . ولا كان يستبدل بالخير شراً وبالشرف دناءة وبالقدرة ذلاً طائعاً ولو أستطاع لما ترك حرارة النار تهيجه حتى يستبدل بالسكون أضطراباً فتهيج فيه أنواع الأرياح وتثير على من بالإرض غباراً كثيراً يغلظ لطفه ويكدر صـــفوه . ولو قـــدر الماء على دفـــع الأرياح عن نفسه ما أقرها أن تدخله فتموجه وتصيره شديد الأضطراب من بعد السكون عظيم الأمواج من بعد السهولة مستبدلاً بالصفا كدراً وبالطيب نتنا بما يخلطه عند تحريكه من غلظ ثقل الأرض فيعكره كرهاً غير طائع . ولو أستطاعت الأرض لدفعت الماء عن ورودها ومنعته أن يرطب يبسها ويرخى شدتها ويحل قوتها ويسيلها تسييلاً ويكثر خروقها كرهاً لأمتنعت من ذلك . فكيف لا يعرف من له عقل أن هذه العناصر الأربعة العظيمة القوية التى يقولون بأنها سبب الخلائق كلها ومنتهاها ومنها تخرج وإليها ترجع فقد تبين ضعفها وتغييرها وعرفت بالعبودية لأنها تخدم فيما يجب وتكون مقهورة بعزم خالق قاهر لا يلحقه شيء من الضعف ولا التغيير .

وينبغى لمن آمن بالله الخالق أن يعرف أنه خارج من حدود المخلوقات كلها وأنه لا يحد ولا يوصف لأن للمخلوقات حدوداً ثلاثة لا يقدر شيء من الخلق أن يخرج منها . والمخلوقات كلها على صنفين منها خلق عقلي يعرف بالعقل لطيف روحانى لا يرى ولا يحس به مثل الملائكة والنفوس والشياطين والنار والهواء ، ومنها خلق حسى غليظ ثقلى وهو الأرض والماء وما فيهما وتعرف بالحواس كلها ، والحواس خمس وهى البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، فالخلق يحد بحدود ثلاثة منها حد الأبتداء وحد الموضع وحد صفة الحلية .

فالخلق الروحانى اللطيف يحد بحدين من الثلاثة : بحد الأبتداء لأنه كون فى زمان ولم يكن قبل ذلك ، وبحد الموضع لأنه لا يقدرلا ملاك ولا شيطان ولا نفس أن تكون فى مواضع شتى فى ساعة واحدة ولا فى موضعين إلا أن يتحول من موضع إلى موضع فيحده الموضع الذى هو فيه . وأما سائرالخلق الغليظ الثقلى كله فيحدد بالحدود الثلاثة الأبتداء والموضع وصفة الحلية . وليس يحد الخالق بشيء من هذه الحدود لأنه

أزلي بلا بدء وهو في كل مكان سواء ولا يسعه شيء ولايخلو منه موضع لأنه أكبر من كل شيء وليس يوصف بحلية لأنه الطف من كل لطيف فليس تبلغ الله معرفة لأن الذي بين الخالق والخلق أبعد من أن يبلغ مخلوق معرفة الخالق ومثل أن الحس الثقلي لا يقدر على معرفة الخلق العقلي الروحاني إلا بلطيف العقل الروحاني كذلك لا يقدر الخلق العقلي اللطيف على معرفة الخالق بل أبعد من ذلك كثيراً لأن الذي بين الخالق وخلقه أبعد من الحد الذي بين الخلقين من اللطيف والثقلي لأنهما كلاهما خلقه . فلذلك لا تدرك معرفة الله وطبيعته التي هي جوهره ولا يبلغ صفاتها لأن الله ليس بجسد ثقلي فيعرف بالحواس وكيف يكون جسـداً لا يقدر قدره ولا يحد ولا يحلى ولا يرى ولا يلمس ، وكيف يعبد المحدود إذا لم يكن موجوداً عند كل أحد عابد له من في السموات وفي الأرض كلها ولو كان جسداً لدخلت عليه المصائب والمركب من العناصر صاير إليها إذا أنتقص تركيبه عند الموت لأن التركيب مبتدأ المضادة والمضادة مبتدأ الأختلاف والأختلاف مبتدأ الأنتقاض والأنتقاض ليس من ذات الله رأساً وكيف يتم لله النفاذ في كل شيء وأن يملأ كل شيء ويسع كل شيء ولا يسعه شيء إذا كان جسداً . وليس يقدر شيء من الأجساد أن ينفذ في جسد مثله دون أن يقطعه أو يخرقه أو يقطعه ذلك الجسد ويخرقه أو يختلط أحدهما بالآخر أو يضاده ويقهره مثل ما تفعل الأشياء الرطبة إذا خالطت أشياء رطبة مثلها فاختلطت كلها وإستحالت عند طبعها ، ومثل ما يفعل الرطب واليابس إذا أختلطا تضاداً وقهر أحدهما الأخر حتى يخرجه عن طباعه . ولا بد أيضاً لكل متحرك من أن يكون له محرك يحركه وللمحرك محرك حتى ينتهي ذلك إلى قائم دائم غير متحرك فذاك الله يحرك كل شيء وهو ثابت لا يتحرك ولا بد أيضاً من أن يكون كل متحرك محدوداً فقد تبين أن الإله ليس بجسد فتبلغ معرفته الحواس الغليظة دائماً يعرف بالعقول اللطيفة ومقادر تلك المعرفة كسرعة برق لا يثبت رأته الأبصار ولم تقدر على أن تتثبت من تلألؤ نوره وذلك إذا كان العقل صافياً من كدورة الذنوب وقدنرى أن من كان بصر جسده من العينين مريضاً متعكراً معتلاً لايقدر على معاينة نور الشمس الحسي المخلوقة لأن بصره يكل عنه لضعفه بالمرض عن قوة النور بل يهرب منه كل الهرب ، ومن كان بصره صحيحاً صافياً ينظر إلى الشمس نظراً حسناً مالم يتحامل على الفحص لنورها وحمل بصره على ماهو

أقوى منه من ذلك النور فيصير ما طلب من إستقصاء معرفة نور الشمس ظلمة عليه وعمى ويعرف أن ظلام بصره لم يؤت من قبل نور الشمس المنيرة لكل من أستنار بها ولكن من قبل ضعف البصر الذى لا يقوى على بلوغ كنه معرفة نور الشمس . وكذلك كل عقل مريض بالكفر متكدر بالخطايا لا يقدر على النظر إلى نور الله العقلى الخالق ولا على الدنو منه بل يهرب منه الهرب كله ومن كان عقله صحيحاً بالأيمان صافياً بحسن الأعمال فذاك ينظر من نور الله إلى ما ينير عقله ويفرح قلبه وليسره سروراً لا يجد معه لذة شىء من شهوات الدنيا ولا وجعاً لشىء من مصابها مالم يتحامل على طلب ما لا يقوى عليه عقله من معرفة ذلك النور فإنه إن عدا فى ذلك قدره ضعف عقله عن بلوغ ذلك وصار ظلمة عليه وعمى له ، ويستبين من ضعف عقل المخلوق عن بلوغ كنه معرفة نور الله الخالق ما يعرفه أنه لم يؤت من قبل نور الله نور السماوات والأرض المنير لكل من طلب منه الإستنارة فيما دخل عليه من الظلمة والعمى ولكن من قبل ضعف العقل . فينبغى أن لا ندع طلب معرفة الله لنؤمن به لنعبده عن معرفة ولا نطلب من معرفته ما لا نقوى عليه فيصيرنا ذلك إلى ظلمة الكفر ونعمى عن الهدى ولكن من طلب معرفة الله حد الكتب المنزلة منه إلينا على ألسنة من أختار من الأنبياء والرسل الذين صحت عقولهم بالأيمان وصفت بحسن الأعمال فانه قد أظهر الخلقة من معرفته بقدر أحتمالهم ولم يستر عنهم إلا ما لا يقوون على إحتماله وفعل ذلك رحمة منه لهم ولم يدعهم فى جهاله تامة من معرفته ليصيروا إلى يأس مهلك لأن كل ما لا يعرف رأساً فليس يرجى . وكيف يرجى أو يطلب ما لايعرف بشىء من المعرفة لكنه عرفهم من ذلك قدر ما ينفعهم ليجلبهم لتلك المعرفة إليه وستر عنهم ما لو ظهر لهم أضرهم لضعفهم عنه . وليدعوهم بذلك العجب بما ستره عنهم ويجلبهم العجب إلى الود ويصيرهم الود إلى صحة العقول بالأيمان وصفاها بحسن الأعمال فإذا كانوا كذلك أنالهم مما ستر عنهم بقدر ما أستوجبوا وأحتملوا مثل ما عمل بالصالحين كلهم ، فعلى هذا صار ما أظهره الله من عمله يجعله هاديا لهم نافعاً وما ستر منه عنهم أيضاً داعياً إلى زيادة منفعة وتمام خير وكذلك تدبير الحكيم الرحيم القوى يدبر بحكمته ويدنو برحمته ويمتنع بقدرته .

فأما كنه معرفة الله فليس يبلغها مخلوق لا من الناس ولا من الملائكة لأن الله لا يحد ولا يوصف ولا يرى والدليل على ذلك أن الخلق الغليظ لا يقدر أن يرى الخلق اللطيف واللطيف من الخلق يرى الغليظ منه مثلما ترى الأنفس الأنفس وترى الأنفس الأجساد ولا ترى الأجساد الأنفس ، وترى الملائكة الناس والناس لا ترى الملائكة ، وترى الشياطين الناس والناس لا يرونهم . وإن رأى أحد من الناس ملاكاً أوشيطاناً لم يره بعينه وجوهره ولكن بشبه غيره من الخلائق السفلية متخيلاً له بداية أو طير أو سبع أو أنسان . والخلق اللطيف يرى بعضه بعضاً وترى الشياطين بعضهم بعضاً وليس يرى الخالق أحـد من الخلق لا غليظه ولا لطيفـه لأنه ألطف من الملائكة بما لا يحصى مقدراً .

فكل من رأى الله من الملائكة والناس من الأنبياء والرسل فلم يروه بجوهره ولا يقدر أحد من خلقه أن يراه بعينه وأنما تراه الملائكة بلطيف لطفهم الروحانى الحال فيهم الحسن الذى فى طباعهم بما أنهم دائمون على تسبحته قدام عظمته كذلك الأنبيـاء والرسل يرونه بعين الروح القدس الحال فيهم ، ولكن رآه من رآه منهم محتجباً كما أحب هو بما أحب من خلقه الثقلى الذى يقدر الناس أن يروه به وبشبه أنسان كما رآه أبراهيم إذ نزل به ويعقوب إذ صارعه وأشعيا إذ رآه جالساً على منبر عال ودانيال إذ رآه شبه عتيق الأيام جالساً على كراسى من نار وعجلات من نار وكما رآه أيوب الصديق محتجباً بسحاب وريح عاصف ورآه موسى محتجباً بنار فى شجرة عليق ولم يره أحد قط من غير حجـاب ولا يرى إلا محتجباً ، ولذلك ليس يعرف الله إلا بأعمـاله وأفعاله وأرتفاعة فأما أياه بعينه وجوهـره وما هو وكيف هو وأين هو فذلك مالا تبلغه معرفة ولا يطلب وأن طلب لم يوجد بل لا يطمع فى طلبه .

ولو أنه عرف ما هو لأدركته الصفة أو كيف هو لبلغه الزمان ، أو أين هو لحده المكان ولكان الذى يبلغ ذلك من معرفته يكون مثله لقدرته على كنه معرفته ولم يكن ينبغى لمن أدركه حد الصفة وحد الزمان وحد المكان أن يكون إلهاً ومعاذ الله من هذا كله ليس يعرف الله بعينه وجوهره ولكنه يعرف بذاته من أعماله أنه خالق خلق السماء وما فيها من أجناد الملائكة كلها وخلق الفلك وما فيه من الشمس والقمر والنجوم ، وخلق الأرض وما فيها من النبات كله والمعادن وما أخرجت من الدواب كلها من السباع

والوحوش والحيوان وكل مايدب على ظهرها وخلق الماء وجعله فى البحور وأجرى منه عيوناً وأنهاراً بالأمطار والثلوج وأخرج منه الطير وما لا يحصى من السمك والدواب الساكنة فى الماء وفى الأرض ، وخلق الأنسان آدم آباً للبشر وأمرأته حواء وسلطهما وملكهما على الأرض والماء وكل ماخلق فيها وسخر لهما مصابيح فلك السماء وخلق ذلك فى ستة أيام وفرغ من أعماله فى اليوم السابع وأجرى حساب الدهر على تلك السبعة الأيام فعرف أنه خالق بما خلق وعرف بفعاله أنه يحيي ويميت إذ نفخ فى آدم فخلق له روح حيوة فأحياه ثم عصا آدم فحتم عليه وعلى ذريته بالموت ثم أحيا كثيراً من أولاد آدم بعد موتهم فعرف أنه محيي ومميت وعرف لرحمته وتحننه أنه رحمان حنان لأنه عزيز لأمتناعه من أن ينال منه شيء ولا يرضى به وأنه قادر بقدرته على ما يشاء إذا شاء وإنه مالك كل شيء وهو الذى يدبر ما خلق كيف شاء وهو مالك ذلك كله وإنه إله لأنه متأله فى العلو وإنه عال بأرتفاعه ورب وسيد لسؤدده ولأن الكل عبيده وأنه حكيم لأحكامه كل ما خلق وأحكام تدبيره لما خلق وأنه علام الغيوب لعلمه بكل شيء . وإنه لا يخفى عنه شيء للطفه وحضوره فى كل شيء وقد تسمى العباد بكثير من هذه الأسماء فيقال للأنسان المخلوق رب وسيد لما تحت يديه مما يملكه ويقال له حكيماً لأحكامه عمله وتدبيره فهذه الأسماء كلها وما يشبهها أنما تدل على أفعال الله وليس تخبر بجوهره ، ويعرف أيضاً أنه خارج من الخلائق كلها وليس هو شيئاً منها ولا يصيبه شيء مما يصيبها ، ليس هو ملكاً أرضياً ولا أنساناً ولا سماء ولا أرضاً ولا ماء ولا هواء ولا ناراً مما كون وخرج منها . وإنه إن قيل فى الكتب إنه نور وإنه روح فليس بنور مخلوق ولا من نور الملائكة ولا من نور مصابيح السماء ولا من نور النيران . ولا هو روح من الأرواح المخلوقة ولا من الملائكة ولا من الآنس ولا من الهوائية لأنه خالق ذلك كله فى مبتدأ الزمان .

وهو الأزلى لا بدء له فمن أراد تحقيق معرفة الله بجوهره فليخرجه عن جميع ما يعرف من الخلق كله الحسى منه والعقلى ، فيقول ليس هو هذا ولا هذا حتى لا يبقى شيء خرج الله منه وأرتفع عنه حتى تصير غاية طالب ذلك أن يبلغ من معرفة الله أنه ما لا يبلغ ولا يعرف لأرتفاعة عن كل ما يعرف . ويتبين له أن أسماء أرتفاع الله ليست

تدل على أن الله كذا وكذا ولكن على أنه ليس كذا وكذا تبرؤا له من كل ما يلزم الخلائق فيقال أن لابدء له خلاف مالزم الخلائق من المبتدأ وأنه لا يحد ولا يوصف خلاف الخلائق المحدودة الموصوفة وأنه لا يرى ولا هو ذو جسد خلاف الخلائق الجسدية التى ترى لأنه وإن كانت الملائكة والشياطين والأنفس أرواحاً لطيفة بقياس ما هو أثقل منها من كثيف الخلق تراه ولا يراها ولكنها بقياس خالقها أجساد كثيفة لأرتفاع لطفه عن لطفهم يراهم ولا يرونه وأنه لا يموت ولا يتغير ولا يزول ملكه ولا فناء له خلاف ما يلزم الخلائق من الموت والتغيير والزوال والفناء وما أشبه ذلك من أسماء أرتفاع الله المعروفة لبراءتها مما يلزم الخلق من المصائب .

وقد نسب إلى الله أشياء وسمى بأسماء فى الكتب المنزلة منه على أنبيائه ليس هى من جوهره ولا من ذاته ولا من شأنه ، فقال الأنبياء وأكثروا " أن عينى الله على أورشليم " و " أفتح يارب عينيك وأنظر وأركن سمعك وأنصت " و " تكون أذناك مصغيتين لدعاء من يدعوك من بيت قدسك " و " يداك يارب جبلتانى" و " يد الرب فعلت القوة ويمينك يارب ممجدة بالقوة ويدك هزمت الأعداء " و " الله فى هذا الأمر صنع " و " فم الله تكلم بهذا " و " تقوم رجلا الرب على جبل الزيتون " و " نسجد فى الموضع الذى وقفت فيه قدماه " و" رأيت الرب جالساً على منبر " و " قم يارب أعنا ويوم الله ويتبدد جميع أعدائه " و " قم يارب لماذا تنام أنهض ولا تضايقنا إلى الأنقضاء " أستيقظ الرب كالنائم وكالقوى الثمل من الخمر وقتل أعداءه " و " رأيت منابر وضعت وجلس عتيق الأيام وكان لونه مثل الثلج وشعر رأسه مثل الصوف النقى " و " كان الله مستنداً على السلم وصارع يعقوب وأستضاف الله أبراهيم وملاكين معه وكانوا شبه ثلاثة رجال وأتاهم إبراهيم بما صنعه وأكلوا وشربوا وصعد الرب من عند إبراهيم وأشتم الله من قربان نوح ريحاً طيباً ونزل الله على طور سيناء وصعد الله بتهليل وسمع آدم صوت وطء الله يمشى فى الفردوس . وهذا كله ليس من جوهر الله ولا من شأنه لأن الله ليس بجسد فيحلى ولا يوصف ، له أعضاء من العينين والأذنين والفم واليدين والرجلين والأصابع والرأس ، ولا يوصف بالشعر الأسود والأشيب لأنه ليس

يجزأ ولا يقسم ولا يحد شيء منه ولا يحد بصره فى عينين حتى لا يبصر بغيرهما ولا يحد سمعه فى أذنين حتى لايسمع بغيرهما ولا يخلق بيديه وحدهما ولا يخلو شيء منه من أن يكون خالقاً ، وهذا كله ضعف بين لأن الأنسان لا يبصر إلا بعينيه فإن أعتلتا لا يبصر بسـائر جسده ولا يبصر ما خلفه ولا يسـمع إلا بأذنيه ولا يشم إلا بأنفه ولا يعمل إلا بيديه فإن أعتلت أذناه لا يتسمع بغيرهما وإن أعتل أنفه لا يشم بآخر غيره وإن أعتلت يداه لا يعمل بغيرهما . وليس الله كذلك لأنه روح لطيف ساذج ونور لطيف ساذج وفوق ذلك لأن جوهره لا يعرف وإن قلنا أنه روح ونور وإنه لطيف وساذج فلم نقل ما هو ولكننا أخرجنـاه من إن يكون مركباً أو مؤلفا بقولنا سـاذج ولم نقل ما هو ولكن ماليس هو فإنه ليس بروح أيضاً معروفة ولا نور معروف لأن كل روح معروف أو نور معـروف أو لطيف أو سـاذج لم يخرج من أن يكون متغـيراً منتقلاً من حال إلى حال غيرها .

وكل ما لزمه التغيير فليس بإله ولا خالق وليس ينبغى أن ننسب الخالق إلى شأن المخلوقين وفعالهم الضعيفة ويقال أن له عينين أو أذنين أو أنفاً أو فماً أو يدين أو رجلين فيكون مثل الخلق الثقلى ذى الحواس الخمس فيحد كما يحدون . ولا يقال أنه يتكلم بفم ولسان وأسنان وشفتين حتى يخرج منه بذلك التركيب وتلك الألفة صوت يحمل كلمته بالهواء إلى سامعها بالصوت فإن هذا كله من شأن الأثقال المخلوقة وتدبيرها الضعيف ، ومن أجل أن الأنسان خلق مؤلف من نفس وجسد مركب من أمتزاج أربعة عناصر وأعضاء كثيرة كلمته مؤلفة مركبه لا تتم من دون نفس ولسان الجسد وأسنان وفم شفتين وهو يحملها بالصوت بعد خروجها من الفم إلى سمع من يسمعها بالصوت فى الهواء . فليس يشبه الله بشيء من الأشياء لأنه ساذج فوق كل سـاذج لطيف فوق كل لطيف وكذلك كلمته تولد منه غير أن تفارقه ويسمعها من أحب كما أحب من غير أن تبلغ ذلك صفة ولا تفسـير بلا حاجة إلى لسان ولا فم ولا غير ذلك ، ولا إلى الهواء يحملها إلى سامعيها بالصوت ولا ينتقل الله من حال إلى حال آخر ولا يلزمه تغيير ولا أنتقال فيقال أنه شيخ أو شاب ، لأن الشباب أنتقال من صغر إلى كبر والكبر أنتقال من شباب إلى شـيخوخة وتغيير من ضـعف إلى قوة ثم من قوة

إلى ضعف . ولا يقال كله لأنه فوق الكم والكيف ، يملأ كل شيء ولا يسعه شيء ولا يخلو منه موضع ولكن الله كلم أنبياءه بهذا السبب وسمى نفسه بهذه الأسماء لعلمه بضعف أولا آدم عن معرفة جوهره وصفته . أنهم إن كلموا بما لا تبلغه معرفتهم لم ينتفعوا بذلك . وأحب منفعهم والإحسان إليهم فوصف لهم الأشياء على حسب خلقتهم ليفهموا ما يقال لهم من صفته التى لا تدرك بما يعرفون من صفة أنفسهم فوصف نظره فى أمورهم بالعينين وأستماعه دعاهم بالأذنين وقبوله طيب قربانهم بالشم وقدرتهم على أن يخلق ويفعل ما أحب باليدين وأثباته ما أراد من أمورهم بالقيام والرجلين وتحقق ما جاء من أمره وما أنزل عليه من كلامه بالفم وتدنيه إليهم بالنزول وتباعده منهم بالصعود وعن يمينه على الأمر بالجلوس ونهوضه فيما أراد بالقيام وأهماله الشيء بالنوم ثم النظر فيه والتقويم له باليقظة لأن بنى آدم لا يعرفون شيئاً مما سيجيء من هذه الأشياء إلا بفاعليها من أعضاء الجسد .

فلهذا الوجه ذكر الله بهذا السبب الذى ليس منه ولا يشبهه ولوجه آخر أحق من ذلك وأرفع وأبين . وهو أن الله أراد أن يبين للناس ما هو كائن من تجسيد كلمته الخالقة وتأنسها حتى يجتمع طبعان فى مسيح واحد وأحدهما الهى خالق محتجب متحد بآخر أنسى مخلوق ، ويجمعها قوام كلمه الله الوحد فتتم فيه تلك النبوات كلها والنسب وأسماء لما أتحد به من الطبع الأنسى المحتمل ذك كله . فقد تم القول فى الخالق أنه إله الخلائق كلها وينبغى أن يعرف أن الله واحد وليس بالهين ولا ثلاثة ولا أكثر فإن فى الناس من يقول أنهما إلهان أحدهما خالق النور والخير والآخر خالق الظلمة والشر ، وعامة الناس لم يزلوا فى جاهلية على عبادة الأوثان يتخذون آلهة كثيرة منهم كبير ومنهم صغير وذكوراً وأناثاً فى جميع الأمم حتى أهتدوا بعد ذلك إلى الإيمان بالله الواحد ويبقى من الأمم من لم يخرج عن جاهلية التكثير إلى هذه الساعة . فنكسر ذلك القول من الكفر كله بأن الله قال لبني أسرائيل على لسان موسى فى سفر التوراة " أنا الرب إلهك الذى أخرجتك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى " (خر ٢ : ٨) وأيضاً (أسمع يا أسرائيل الرب إلهنا رب واحد) (تث ٦ : ٤) وقال على لسان أشعياء النبى " قبلى لم يصور إله وبعدى لا

يكون " (اش ٢٣ : ١٠) وقال المسيح فى الإنجيل للآب " وهذه هى الحيوة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته " (يو ١٧ : ٣) وفى جميع الكتب المنزلة على توحيد الله كثير فمن لم يقبل الكتب ممن يزعمون أنهما إلهان من الزنادقة الذين يزعمون أن للخلائق رأسين خالقين مدبرين مختلفين على نحو من أختلاف الخلائق فمنها خالق النور والخير والآخر خالق الظلمة والشر فأننا نكسر قولهم بهذا القول بإذن الله فنقول إن الخير والشر مختلفان جداً ينقض أحدهمـــا الآخر ويبطله ولا يستقيـــم أن يقيم أحدهما فى الآخر ولا معه فلا بد من أن يكـون كل واحد منهمـــا فى ناحيـــة من الكـــل ثم لا بد لكل مـــا كان فى بعض ولم يكن فى الكل من أن يكون محدوداً ليس بالكل فقط ولكن ببعض الكل . والمحـــدود ليس باله لأن الله لا يحد وأيضاً إذا صار كل واحد منهما فى ناحية فمن الذى قسم بينهما الكل وألزم كل واحد مكانه لأنهما لم يكونا ليتفقاً ولا يصطلحاً على شىء مع شدة أختلافهما من غير أن يلزمهما ذلك غيرهما ولأنهما إن أتفقا فليس ينبغى للشر أن يكون شراً إذا وافق الخير وتسـالما فيما بينهما ولا ينبغى للخيـر أن يكون أيضاً خيراً إذا جـرت بينه وبين الشر محبة وإتفـاق ، وإن كان آخر غيرهمـا هو الذى قسم بينهما وأفرز لكل واحد موضعه الذى يكون فيه فذلك هو أولى منهما أن يكون إلهاً . ولابد أيضاً من أحد أمرين يكون بينهما إما أن يدنو أحدهما من الآخر حتى يمسه ويخالطه فيهلك أحدهما الآخر ويقتله ويتلفه لشدة أختلافهما وأما أن يكون بينهما وسط غيرهما يحول بين كل واحد منهما وبين الدنو من الآخر فيكون ذلك الوسط فى موضع بينهما ليس فيه الخير ولا الشر فتكون عند ذلك الرؤوس ثلاثة وليس أثنان كما يقولون ولا بد أيضاً من أن يكون بينهما أحد أمرين أما صلح وأما قتال فإن قلنا صلح فذلك ما لا يستقيم لأن الشر لا يميل إلى الصلح أبداً وكل ما كان على صلح فليس بشر تام . وإن قلنا قتال فذلك أيضاً ما لا يستقيم لأن الخير لا يريد القتال وكل ما أحب القتـــال فليس بخير تام ، وإن قلنا أن الشـــر يقاتل وإن الخير لا يجاريه فى القتال ولكنه يصبر ويكف فقد بطل عمل الخير ولزمه الضعف والفساد والحزن وذلك ليس هو من شأن الخير فهو إذاً رأس واحد إله واحد برىء من كل شر فإن قالوا من أين جاء الشر لأنه لا يسقيم أن يكون تكوينه من الخير قلنا أن الشر ليس بشىء سوى عدم

الخير وخروج من طريق الطبيعة وما صنع شيء من الأشياء على الشر ، فإن كل ما خلق الله خير جداً لأنه رأس الخير وبدء الخير ومعطى الخير وكل ما خلق خير فكل ما قام من خلق ما خلقة الله فهو فى الخير فإن خرج طائعاً من أستقامة طريق الطبيعة التى طبع عليها إلى أعوجاج طريق خلاف الطبيعة فقد زل عن الخير الطبيعى وعدمه وصار فى الشر لأن عـــدم الخير شر ، فالخير هو الطبيعى والشر عرض ليس بطبيعى والطبيعة خليقة والعرض خلافها ليس بخليقة . والذى يميز بين طريق الطاعة وخلافها هو المعصية فكل شيء من الخلق مقيم على طـــاعة خالقه فهو ملازم الطريق الطبيعية وهو فى الخير فإذا خالف ذلك طائعاً من قبل نفسه فقد خرج من طريق الطبيعة وزاغ إلى طريق خلافهـــا من عرض المعصية خلاف الطاعة وصار فى الشر الذى هو عدم الخير . فرأس الخير الطـــاعة بل كل الخير . ورأس للشر المعصية بل كل الشر ، ورأس الخطيئة المعصية ، فالشر والمعصية والخطية ليس بخلق مكون بل لا شيء غير عدم الخير وخلاف الطاعة . فهذا رد على من يقول رأسين والهين وذلك من غير كتب الله وما فيهـــا من البرهان على توحيد الله .

فأما الذين يقولون أن الآلهة كثيرة ولا يقبلون الكتب أيضاً فلنكـــسر قولهم بأذن الله ونقول . أنه ينبغى للآلهة أن يكونوا تامين ويكون كل واحـــد منهم تاماً فى الصلاح وتاماً فى الحكمة وتاماً فى القوة وأن يكون أزليـــاً لا بدء له ودائماً لا فناء له وعلى حال واحدة بلا أحتيال ولا تغيير وفى كل مكـــان لا يحده شيء وإن لا يكون ناقصاً ولا عادماً لشيء من الكمال فإن كان الآلهة كثيرة فكيف استقام أن يكونوا كثيرين من غير أختلاف بينهم ليعرف بعضهم من بعض . أما فى القوة وأما فى صـــلاح وإما فى حكمة وإما فى موضـــع حتى لا يكون هذا هذا لأنه لا يعرف شيء من شيء إلا بأختلاف أحدهما عن الأخرين بشيء ، فإن لم يكن بينهم أختلاف بشيء فهم واحـــد ليس بكثيرين وأن كان فى واحد منهم نقصـــان فى قوة أو فى صـــلاح أو فى حـــكمة أو فى زمان أو فى موضع فذلك ليس ينبغى له أن يكون إلهـــاً مع ما فيه من النقصان التام .

ونقول أيضاً كيف يسلم للآلهة الكثيرة ألا يحدوا مع كثرتهم ولأنه لا بد أن يكون لكل واحد منهم موضع يكون فيه ليس فيه غيره فقط حد لكل واحد منهم موضعه ولزمت كلهم حدود المواضع وكل محدود يحدق به شيء من الخلق ليس بخالق ولا إله ونقول أيضاً كيف أستقام تدبير العالم مع كثرة المدبرين وأختلافهم وأستقام قوامه حتى لا يخل ولا يتلف فيهلك مع بين مدبريه من القتال لأن الأختلاف بدء المضادة والمضادة داعية إلى الهلاك والقتال .

فإن قالوا أن كل واحد من أولئك الألهة يدبر ناحيته التي هي له وهو رئيس عليها قلنا فمن الذى قسم ذلك بينهم وألزم كل قسم واحد منهم جزءه وأفرزه له فإن ذاك أولى منهم بإن يكون إلهاً فهو إله واحد تام لا يحد في موضع ولا يحدق به شيء . خالق كل ومالك ومدبر كل . تام من قبل كل تمام وفوق كل تمام لا إله غيره .

القسم الثـــانى

فـــى تثليث الأقانيم

وإذ أستقام القول فى توحيد الله وتم وتبين أنه إله واحد وأنكسر قول من يزعم أنهما الهان رأسان خالقان ، وقول من يتخذ كثرة الألهة مع ما فى الكتب المنزلة من الله من تحقيق التوحيد وتكذيب التكثير فهو ينبغى لمن طلب معرفة الله والأيمان به والعبادة له أن يعلم أن الله تام ليس بعادم كلمة وإن كلمته ثابت قائم دائم ليس بزائل ولا بمبتدأ ولا فان . لأن الله لم يكن قط بهياً بلا كلمة ولكن لم يزل له الكلمة متولداً منه ليس مثل كلمتنا التى لا قوام لها المهراقة فى الهواء ولكن كلمة ذو قوام حى تام ليس بمفترق منه ولكن ثابت أبداً فيه لأنه لا موضع له يكون فيه خارجاً منه حيث لا يكون لأنه لا يخلو منه موضع فهو وكلمته يملأ كل شىء ولا يسعه شىء ومن أجل أن طبيعتنا زمانية سريعة الأنحلال لذلك ليس لكلمتنا قوام . فأما الله فهو أزلى أبداً تام وكذلك كلمته أزلى تام حى دائم أبداً له كل ما لوالده ومثلما أن كلمتنا تولد من العقل فتظهر وليست هى والعقل شيئاً واحداً بتخليط لأن العقل غير الكلمة بخاصة ولادة الكلمة ، والكلمة غير العقل بخاصة مولدها من العقل وليس هما أيضاً أثنان بفرقة مبتدئة لأن العقل فيه الكلمة المولودة منه لم يفارقها ولأن الكلمة هى التى أبدت من العقل . فهما فى الطبيعة شىء واحد لأجتماعهما فى نفس واحدة فى قوامى خاصتهما من الولادة . والولادة آخر وآخر كذلك كلمة الله . أما بقوامه الذى أنفرد بذاته كلمة مولود فهو غير والده الذى قوامه منه .

وأما بأجتماع كل ما فى العقل الوالد فى الكلمة المولود . فهما واحد فى الجوهر لأن كل ما يعرف الله به من التمام فى كل شىء مثل ذلك يعرف به كلمته وينبغى للكلمة أن يكون له روح لأن كلمتنا أيضاً ليست بعادمة روح ولكن الروح فيها غريبة ليس من طبيعتها لأنها جزء من الهواء ودفعه ترد وتبرز لتقويم الجسد وهى التى تكون صوتاً للكلمة عند النطق وبها تتبين قوة الكلمة وأما فى طبيعة الله الساذج التى لا تركيب فيها

فينبغى أن تعرف بإيمان مستقيم أن لكلمة الله روحاً لئلاً يكون كلمة الله أنقص من كلمتنـا ، وليس ينبغى أن نظن أن روح الله شيء غريب داخـــل عليه من خارج مثل ما يدخل علينا نحن معشر المركبين ولكن مثل ما عرفنا أن كلمة الله ليس بعادم قوام ولا هو مهراق متحلل فى الهواء ولا دخل من تعليم وأدب ولكنه قائم بقوام جوهرى ذى أرادة فعالة وقوة على الكل . كذلك تعرف روح الله الذى لكلمته المظهر لفعاله أنه ليس بنفس لا قوام له . معاذ لكبرياء الله من الفقـر وأن يكون روحه شبه روحنا لكن قوة جوهـريته منه وبه القوام منفـرد له أنه ينبثق من الآب ويستقر فى الكلمة لأنه مظهره لا يفارق الله الذى هو فيه أبداً ولا الكلمة الذى يلازمه أبداً ولا يحل ولا يفنى ولكنه مثل الكلمة ذات قوام وحيوة وإرادة وفعال . يريد الخير أبداً رتجرى قوتها على الأفعال لما تريد مجرى إرادتها ذلك لا تسبق إرادتها فعالها . لا بدء لها ولا فناء لأنه لم يعدم الآب كون الكلمة قط ولم يعدم الكلمة روحـاً قط إذا أراد الله أمر إنما يقول له كن فيكون لأنه قادر على ما يشاء فعال لما يريد يفعله ويقول بكلمته ويكون بروحه ولا تسبق إرادته ما يشاء فعاله لما أراد بسرعة نفاذ أمره .

فتمـــام العلم وصحة الدين وأستقامــة الأيمـــان وكمال البصيرة أن نؤمن بـإله واحد . لا بدء له خالق وليس بمخلوق . مكون ما لم يكن . مؤبد لا يموت ولا يصل إليه بلاء . لا يحصى ولا يحـــد ولا يدرك ولا تحصـــى قوته . ســاذج وليس بمركب ولا مؤلف . روح لا جسد ليس له سيلان ولا مصيبة ولا أحتيال ولا تغيير ولا يرى . أنه عين الخير والعدل ونور عقلى وقوة لا يطمع فيها ولا يعرف مقدارها إلا بقدر إرادته . إنه فعـــال لما يريد خالق الخـــلائق كلها ، ما يرى وما لا يرى ، مالك كل شىء . لا فنـــاء له ولا موت يأتى عليه . يملأ كل شىء ولا شىء يخـــلو منه . يحيط بكل شىء ولا يحيط به شىء ويعـلم كل شىء ويتقدم كل شىء ويخـــالط كل شىء بلا دنس ينـــاله من شئ وهو من وراء كل شىء وخـــارج عن الطبـــائع كلها لأنه يفـــوق كل الطبائع وهو فوق كل مكون وفوق التأله وفوق الخير وفوق الكمال ويقوم كل ملك ورئاســـة وسلطان .

يميز ذلك كله كما أحب وهو ثابت فوق كل ملك ورئاسة وسلطان وفوق الكلام والفكر نور منه وبه فوق كل نور طبيعة منها وبها فوق كل طبيعة خير منه وبه فوق كل خير لأنه لم يؤخذ من غير شيء ولكنه عين التكوين لكل مكون ، عين الحيوة لكل ذى حياة وعين الكلمة لكل ذى كلمة . وأصل الخير ومسببه لكل من تناول من الخير شيئاً . يعلم كل شيء من قبل أن يكون . إله واحد من طبيعة واحدة نفاذ واحد بدء واحد أرادة واحدة سلطـــان واحد ملك واحد ، معروف معبود بقوامات ثلاثة تـــامة وهى جهات ثلاثة معبودة نؤمن بها ونعبدها بسجود واحد على أيمان الملائكة وعبادتهم وتسبيحهم الدائم أبداً ولا يفتـــرون من قولهم قدوس قدوس قدوس (ثلاث مـــرات) الرب الصاباؤوت (بتوحيد الجـــوهر) . وإن القوامات التى هى الجهات تميز بين أفتراق وتجمـــع بلا أختلاط وهى الآب والأبن والروح القدس وأسمـــاء ثلاثة بجهات ثـــلاثة فى جوهر إله واحد بها تعبدنا ، وكذلك أمر الســـيد المسيح الحواريين فى أنجيله المقدس قائلاً : " فإذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمـــدوهم بأسم الآب والأبن والروح القدس " (مت ٢٨ : ١٩) .

أسماء ثلاث لرب واحد معروفة بجهاتها وخواصها التى تميز بينها بلا فرقة وذلك أن خاصة الآب والد يلد ولا يولد ، وخاصة الأبن مولـود ولا يلـد ، وخاصـــة الروح القدس منبثق لا يلد ولا يولد ، وكل واحد بخاصته التى دون الآخر غير الآخر ولكنهم إله واحد ليس يفرق بينهم شيء غير هذه الجهات الثلاث التى أختص كل واحد منهم بأحداها ، فاختص الآب بالولادة والأبن بالولودة ، والروح القدس بالأنبثاق وجميعهم ما سوى ذلك كله فهم نور واحد جوهر واحد إله واحد كل ما فى الآب هو فى الأبن غير الولادة ، وكل ما فى الأبن هو فى الآب غير الولودة ، وكل ما فى الروح القدس هو فى الآب والأبن غير الأنبثـــاق .

الفصـــل الأول

فى إيضاح التثليث

أولاً : فى إيضاح التثليث من خلق الله الإنسان على صورته ومثاله .

وليس يقدر العباد المخلوقون على تفسير معرفة الله الخالق ولا على صفة توحيد جوهره وتثليث جهاته أكثر مما بينه لهم وأحتج به عليهم فيما جعله الله فى خلقتهم على صورته وشبهه وما أوحاه إليهم فى كتبه المعـــروفة من تحقيق ذلك وكفى بها حجة الله على خلقه أن جعل صـــورته فى جميعهم ولم يخص بها واحـــد دون واحد وكفى به برهاناً .

وبقى أصـل وثبـات حجة أن خلق لنفســه وجوهــره الذى لا يرى ولا يوصــف ولا ينال قول ولا فكر صورة ، وجعلها خليقة ثابتة فى الناس أجمعين بالسواء لم يخص بها أبيض دون أســود ولا ذكراً دون أنثى ولا كبيراً دون صغيراً ولا قريباً دون بعيد ولا ترك لمتعلل مقالاً يتعلل به فى ذلك فدل العباد على معرفته بصورته تلك وأخرجهم من الشك إذ قال أن هذه صورتى لأنه صادق فى قوله خبير فى نفسه محكم لما صور . فليس ينبغى لمن آمن بالله ولم يتهمه فى قوله ولم يشك فى معرفة نفسه وأحكامه لما وضع من صورته أن يدع طلب معرفته والأستدلال على صفته بما عليه صــورته ويطمع أن يقع على معرفة ذلك من غير صورته التى خلقها لنفسه وقد نرى المصورين يصورون تماثيل الخلائق من الطين والدواب والسباع وغير ذلك مما فى الأرض من الشجر والنبات وما فى البحر والمياه فيرون الناس من ذلك أشياء لم يروها ويبصروهم معرفة مالم يعرفوه بصورته وشــبهه ويحضرون لهم رؤية ما غاب عنهم بتمثاله وقالبه وذلك أن كان المصـــور عارفاً بالشىء الذى عليه صور وكان أستاذاً محكماً لما صوره لا يخـالف شيئاً مما صور الصـــورة عليه وعلى شبهه فليس بصورة حقيقية

ولا شبه صادق . وكافة صناعات الناس وما يعانون لدنياهم إنما يعمل على رسوم وقوالب ومثالات يحذون عليها فمن أخطأ منهم أحكام الأحتذاء على ما وضع له من تلك الرسوم والمثالات والقوالب رد عليه عمله وصار عند الناس صانع سوء ومن أصاب كان أستاذاً . إلا أن جميع ما يعمله العباد من تلك الصور وتلك الرسوم والمثالات والقوالب إنما هى شبه ما قد رأوا وعرفوا من الخـــلائق الثقيلة الحية التى تدركها الحواس الخمس لغلظها ويصنعون للشىء الثقلى صـــورة ثقيلة على شىء ثقلى فيصورون جسد أنســـان أو دابة أو طيراً أو شـــجرة أو ما أشبه ذلك من الأثقال بألوان ثقيلة من المداد والزرنيخ والزنجفـــر والزنجار والأسفيداج وما أشبهها من الأثقال ، ويعملون قوالب من الأعـــواد وغيرها من الأثقـــال لأعضاء أجســـاد الناس والدواب الثقيلة ويعملون مثالات ثقيلة على أشياء ثقيلة مثلها وكل ما يعملونه من ذلك كله فهو مثل الذى عليه أحتذوا ولا يخالف بعضها بعضاً إذا كان صانعه شديد المعرفة بالشىء الذى عليه أحتذى وكان أستاذاً فى أحـكام العمل بصواب الأحتذاء وليس يقدرون أن يحتـذوا على مالا يرون ولا يعـرفون من الخـلائق اللطيفة الروحـانية شبه الملائكة والشـــياطين والإنفس ولا يصنعون لشىء لا يرى ولا يحس به مثالاً لأن من المصورين أناساً قد صوروا ملائكة عن غير علم ولا معرفة ولكن على ما وصفت الأنبياء منهم على حـــال ماتخيل لهم من ذلك لا على حقيقة جوهر طبيعتهم لأن جوهرهم نور وروح والنور والروح ألطف بالخـــلائق الكثيفة بقدر ما يقدر الثقليون أن يروه . وقد وصـــفنا أمر التخيل فيما مضى من كتابنا هذا إذ ذكرنا ظهور الله لأبراهيم ويعقوب بشبه أنســان ولغيرهم بغير ذلك من الشـبه بقدر أحتمـال العباد فليس يقدر أحـــد ثقلى يعمل صـــورة ولا مثالاً ولا قالباً لخلق روحانى لطيف لا يرى فكيف نعمل للخـــالق مثالاً ؟ لذلك كـان الله أولى أن يعمل صـــوره نفسه لمعـــــرفته بلغته وأحـــكامه لما صور ، وكفى به حكيماً فخلق صـــورته روحـــانية لطيفة لا ترى ولا تحـــد ولا تبلى ، ســـانجة لا تموت ولا تبلى لتحقيق الاحتـــذاء وأنها صـــورة إله لطيف ســـاذج لا يرى ولا يحـد ولا يحلى ، حى لا يموت حتى أحتاجت إلى جسـد ثقلى يهيأ لها أولاً فتوضع فيه لتوجد وتعـــرف به لأنها لا توجد ولا تعـرف بأنفرادها ولكن شـتان ما بينهما وبين خالقهـا لأنه خالق

لا يناله مصيبة ولا تغيير وهى مخلوقة تلزمه المصائب والتغيير بالأحتيال من حال إلى حال . فنفخ الله بروحه الخالقة وخلق له صورة نفخته في وجه آدم وجعلها روحاً مخلوقة على صورته وشبهه فختم الجسد بها كما يختم الملوك كتبهم بنقوش صورتهم على ثقل الطين أوغيره أو الشمع فيصير نقشه مثال الملك الواحد ثابتاً فى كل رصاص أو طين أو دينارأو درهم . فالملك واحد وتمثاله فى خاتم واحد يثبت فى كل شىء يختم به من الأثقال على حقيقة صورة تمثال ذلك الملك الواحد كذلك جبل الله جسداً لآدم أولاً ثم ختمه بروحه الخالقة وأثبت صورته فيه كما يثبت قالب نقش الخاتم سواء . معاذ الله من هذا الكفر فخلق الله روح الأنسان عاقلة ناطقة على صورته وشبهه كما أنزل على موسى النبى فى السفر الأول من كتاب التوراة . روح واحدة بتوحيد جوهرها لأنها نفس واحدة بثلاث قوامات وهى جهات ثلاثة معروفة بخواص تبين لكل واحد من الثلاثة أنها ذات عقل والد الكلمة والكلمة مولودة من العقل والروح منبثقة من العقل مستقرة فى الكلمة وأن للعقل خاصة الولادة يلد ولا يولد وللكلمة خاصة الولودة تولد ولا تلد وللروح خاصة الأنبثاق لا تلد ولا تولد . فهى جهات ثلاثة تميز بعضها من بعض بخواصها من غير فرقة ولا أنقطاع منها ويجمعها جوهر طبيعة واحدة وأنها نفس واحـدة فكل ما لعقلها فهو لكلمتها وكل ما لكلمتها فهو لعقلها وكل ما لعقلها وكلمتها فهو لروحها فذاك توجد طبيعة جامعة للجهات الثلاثة بلا أختلاط وثلاثة قوامات معروفة بخواص الولادة والولودة والأنبثاق بلا أفتراق فالصورة دليل على التى صورت أنه موحد بتوحيد الجوهر الألهى مثلث بتثليث جهات الولادة والولودة والأنبثاق بلا تخليط للتثليث بالتوحيد ولا فرقة للتوحيد بالتثليث ولكن كما أن تماثيل الصور والقوالب الثقلية وإن كانت لا زمة لشبه ما عليه عملت بعيدة من أن تكون على جوهر الأشياءالتى عليـها عملت لأن التماثيل كلها والصور أثقال ميتة لا روح فيها ولا دم لها وليس هى فى الجوهر مثل الأجسـاد التى حدثت على شبهها ذات الأنفس والدماء . كذلك بعيد ما بين صورة الله ومثاله من نفس الأنسان المخلوقة وبين خالقها فى الجوهر وإن كانت لازمة لشبه الأحتذاء به على ما طبعها وصورها خالقها عليه بل الذى بينه وبينها فى

الجوهــر أبعد كثيراً مما لا يحصى بعــداً من بعد ما بين التماثيل وبين الأجساد الحية التى شبهت بها لأن الأجســاد وتماثيلها جميعها مخلوقة والنفس التى كصورة الله مخلوقة والله وحده خالق والذى بين الخالق وصورته المخلوقة أبعد فى الجوهر من الذى بين الأجساد المخلوقة وتماثيلها المخلوقة إلا أن صورة الله أشد شبهاً به وأصدق صورة وحذواً من جميع ما وضع الناس وعملوا من الصــور والمثالات كلها لفضل معرفة الله بما عليه صور وفضل أحكامه لما صور وقد عم الله كل واحد من الناس بهذه الصورة .

ثانياً : فى أيضاح التثليث من كيفية خلق النور

ولم يجعلها واحدة بين عامتهم ليقطع مقالتهم فى جهلهم معرفته بما وضع فى كل واحد منهم من أحكام صورته بل ألزمهم حجة بعد حجة بصورة أخرى وضعها مثالاً لنوره واحداً عاماً بين الناس أجمعين شرعاً ليس أحد منهم بجهل ذلك . أنه خلق فى السما ء شمساً واحدة بتوحيد نور واحـد تملأ الدنيا نوراً وتخالط كل شىء بلا دنس يصل إليهـا من شىء ولا كدر يدخل على جوهر نورها من شىء من الأثقال التى تخالطها وجعلها شمساً واحـدة بتوحيد الطبيعة مثلثة بثلاث جهات بينة معروفة بخواص تميز بين ذلك التثليث بلا فرقة منقطعة فهى عين الشمس والدة الشــعاع ، والشعاع الشمس مولودة من العين ، وضوء الشمس منبثق من العين مستقر فى الشعاع ، فهى قوامات ثلاثة بجهات ثلاثة وأســماء ثلاثة ليس بينها فرقة ولا أنقطاع لأنها شمس واحدة بتوحيد جوهرها الجامع للعين والشــعاع والضوء ، وجهـات ثلاثة تعرف بخواص ثلاثة ولادة العين وولودة الشــعاع وأنبثاق الضوء بلا أختـلاط للتثليث ولا فرقة للتوحيـد ، فكل ما للعين فهو للشــعاع وكل ما للشــعاع فهو للعين غير الولودة وكل ما هو للضوء فهو للعين والشعاع غير الأنبثاق . فما الذى يكون أثنين . من هـذا إذ جعل الله لنوره الموحد بالتثليث المثلث بالتوحيد صـورتين بينتين منها عامة لجميع الناس من الشـمس التى تضىء فى الفلك أنها شمس واحدة مثلثة بشعاع وعين وضوء وجـوهر نور واحد ومنها خاصة فى كل أحــــد ، من نفس الأنســــان أنها نفس واحدة مثلثة بعقــــل وكلمة وروح فى جوهر واحــــد .

ثالثاً : شهادات كتابية على التثليث

مع ما أنزل فى كتبه على أنبيائه من تحقيق ذلك بالشهـــادات الواضحة إذ قال موسى النبى لشعب أسرائيل " أليس هو أباك ومقتنيك . هو عملك وأنشاك " تث ٣٢ : ٦ فسمى الخالق البارىء أباً وقال داود النبى " بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها " (مز ٣٣ : ٦) ويعنى بجنود السماء أجناد الملائكة وإن كلمة الله وروحــه خلقاهم أجمعين وخلقا الســموات . وقال أيوب الصـديق " روح الله صـنعنى ونسـمة القدير أحيتنى " (اى ٢٣ : ٤) فقد ذكر فى الكتب الآب وهو خــالق والكلمة وهو الأبن خالق والروح القدس خالق وأوضح المســيح ذلك فى الأنجيل أنه أمر رسـله الحــواريين أن يعمدوا الناس بأسم الآب والأبن والروح القدس .

رابعا : فى أستخراج دليل على التثليث من معرفة درجات المخلوقات .

فقد بين لأهل العقول أن عقلوا ذلك مع ما أنزل الله فى كتبه من تحقيق ذلك أن روح الأنسان حقاً كما خلقها الله على صورته وشبهه التى بها فضل الله الأنسان على سائر الخلائق وله الرئاسة عليها وجعل كل شىء تحت رجليه كما قال داود النبى فى المزمور لأن الله لم يجعل جميع الخــلائق الثقيلة شيئاً واحداً لكنه خلقها على أربعة أصناف : فمنها خلق عظيم جداً لا نفس له ولا حس ولا حركة ولا ثبات ولا تربية وهو خلق الأرض والجبال والحجارة وما أشبه ذلك وذاك فى أدنى درجات الخلائق الأربعة . ومنها خلق فوق ذلك فى الدرجة الثانية له حركة ونبات وتربية ويولد ثماراً وليس فيه أكثر من ذلك وهو خلق الشجر والنبات كله . ثم خلق فوق ذلك كله فى الدرجة الثالثة خلقاً تجتمع فيه الحركة والنبات والتربية والتوليد ذا نفس وخمس حواس وهى السمع والنظر والشم والمذاقة واللمس وليس فيه غير ذلك وهو خلق الدواب كلها والسباع والوحوش والطيور والحيتان وكل ذى نفس فى بر أو ماء . وخلق فوق ذلك كله فى

الدرجة الرابعة العليا خلقاً جامعاً لجميع ما فى الخلائق من الحركة والنبات والتربية والتولد والنفس الدمية التى هى الدم بعينه وليس هى غيره كما قال الله لنوح إذ أذن له فى الذبيحة وأكل اللحوم أن كل دم حيوان فهى نفسه فلا تأكل لحماً بدم نفسه ولكن تهرق دمه وتأكل اللحم بلا دم . ومن الحواس الخمس أعنى البصر والسمع والشم والمذاقة واللمس مع ما فضله الله تعالى به من الروح العاقلة الخالدة التى خلقها الله على صورته وفضل الأنسان بها لأنه لم يجعلها فى غيره من الخلق . وكل ذلك ملكه على جميع الخـــلائق وعبدها له .

وهى روح غير الدم من الهواء والهواء هو أحد العناصر الأربعة ولم تخلق روح الإنسان العاقلة الخلدة من شيء من العناصر كسائر الخلائق ولكنها خلقت بنفخة روح الله الخالقة فى وجه آدم وطبعت فيه كما يطبع الطين بالخاتم فتخرج صورة نقش الخاتم فى ذلك الطين ولا يغادر شيئاً مما خرج فى الطين مما فى الخاتم من النقش لكنه شبه وقالبه وصورته سواء لا خلاف بينهما فى النقش من بعد جوهر الطين من جوهر الخاتم الذهب . فكيف تقبل العقول والأفكار أن يكون الله أنقص من الإنسان فيكون عادم عقل وكلمة وروح أو كيف يفضل الله الإنسان على جميع الخلائق مما جعل فيه من العقل والكلمة والروح ويقول أنه على صورته من غير أن يكون ذا عقل وكلمة وروح ، وإذا عرف الله بعقل وكلمة وروح فليس ينبغى أن يكون ذلك فيه على ما هو فى الأنسان المخلوق فى طبيعة الجوهر بل نقول أن عقل الله خالق العقول وكلمة الله خالق العقول وروحه خالق الأرواح فهو إله واحد ذو عقل وروح ليس منه ولا فيه شيء مخلوق .

الفصـــل الثانـــى

فى أزلية الأبن

لا شيء حدث من عقل الأزلى والد الكلمة ومخرج الروح فهو آب واحد أزلى منه أستمليت الأبوات كلها فى السماء والأرض وهو بدء كل شيء وسبب كل شيء لا بدء له ولا سبب كل شيء منه وليس هو من شيء . والد وليس بمولود ، خالق كل شيء وأب الكلمة وحدها بطبيعة الجوهر . وكلمته أزلية وهى أبن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور . نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر الذى به كون كل شيء ولم ولم يكن من قبل مولده زمان ولا له بدء لذلك قلنا أن الأبن لم يزل قبل الأدهار كلها وليس بمكون ولا كان من بعد أن لم يكن ، بل هو ضياء نور الآب وحلية قوامه وحكمته الحية وقوته وكلمته الدائمة القائمة لم يزل الأبن مع الآب وفيه . أزلى مع أزلى مولود منه بلا بدء للوالد ولا للمولود لأنه لم يكن الآب قط إذ لم يكن الأبن ولكن حيث لم يزل الأبن مولوداً منه لأنه لم يدع أب من غير أن يكون له أبن فلو كان لم يكن له أبن لم يكن هو أباً وإن كان قد صار له أبن من بعد فمن بعد صار أباً ولم يكن قبل ذلك أباً . وهذا القول يلزمه التغيير بالأنتقال من أنه لم يكن أباً إلى أن صار أباً وذلك من أشنع الكفر لأنه لا يستقيم أن يقال أن جوهر الله أصم أخرس مصمت عادم عقل ولا كلمة ولابروح لأن ما لا عقل له فهو دابة وما لا كلمة له فهو بهيمة وما روح له فهو ميت . فقد كفر من قال أنه كان بين الآب ومولد الأبن زمان وسط ، وأن الأبن كان من بعد الآب فى زمان لأن مولد الأبن من جوهر الآب وطبيعته وليس فى جوهر الله قديم وحديث وإن لم يكن الأبن مع الآب من البدء وقبل كل بدء مولوداً منه فقد دخل التغيير على قوام الآب إذ لم يكن أباً من قبل . ثم صار بعد ذلك أباً ولم ينل الله شيء

من التغيير وإما الخلائق كلها فانها مكونة من بعد بارادة الأب وكلمته وروحه من لا شيء وليست من جوهر الله لأن حد المولود خروج الولد من جوهر الوالد شبيهاً به فى الطبيعة وأما حد الخليقة والبنيان فيكون من خارج وليس من جوهر الذى يخلقه ويبنيه بل مخالفاً لشبه خالقه وبانيه على غير طبيعته رأسـاً . وليس الولد ولا الخليقة والبنيـان فى الله مثل ما هو فى الناس لأن الله يلـد ويخلق بلا مصـيبة لأن جوهـره لا يقبل مصيبة ولا سيلانا ولا تركيباً ولكنه ساذج واحد مرسل بريء من الآفة والنقلة والتغيير فهو لذلك لا يحتمل مصيبة ولا سيـلاناً، لا حين يلد ولا حين يخلق ولايحتاج إلى مؤازرة ولا إلى عون لأن المولود منه أزلى معه بلا أبتداء فهو فعـال بالطبيعة يبدو من جوهرها بلا مفارقة لها لكى لا يدخل على ولودة الله التغير ولا يكون إلهاً أولاً وإلهاً أخيراً ولا تدخل على توحيد جوهره زيادة . فأما الخليقة التى خلقها الله فهى فعال إرادته وليست أزلية مع الله لأنه ليس للشيء المكون من لا شيء أن يكون أزلياً مع الذى لم يزل بلا بدء له أو كما أنه لا تستوى أفعال الله وأفعال الأنسان فيما يعمل ويبنى لأن الأنسان لا يمكنه أن يأتى بشيء فيصيره شيئاً ولكن ما صنع من شيء إنما يصنعه من ثقل عتيق قد خلقه الله له قبل ذلك ولا يصنعه بالأرادة فقط بل بأستعمال فكره فى الأحتيال له حتى يستقر رسم ما يريد أن يعمله فى عقله ثم يباشره باليدين ويحتمل العناء والتعب وربما أخطأه ما رجاه منه ولم يجيء عمله على ما أراد . وأن الله بأرادته فقط خلق كل شيء من لا شيء وصيره شيئاً بمقدرته على ما يشاء ، كذلك لا يستوى ولود الله وولود الأنسان لأن الأنسان بشرى جسمانى يلزمه التكوين والبـــلاء والسيلان والتكثير وفى طبيعة المذكر والأنثى ، والذكـر يحتـــاج إلى معونة الأنثى فى التوليد ومعاذ لجـــلال الله من ذلك لأنه لا يلزم الله زمان ولا بدء ولا مصيبة ولا سيلان ولا تكثير لأنه واحد بلا جســـد ولا قناء له وكذلك مولده بلا زمـــان ولابدء ولامصيبة ولا ســيلان ولا أجتماع ولا حـــاجة إلى عون آخـــر ليس لمولده بدء ولا أنتهاء لأن الأب والد أبداً لم يزل ولا يزال والداً وذلك هو خاصـــــة قوامه الذى لا يحول عنه أبداً

والأبن مولود أبداً لم يزل ولا يزال مولوداً وذلك هو خاصة قوامه الذى لا يحول عنه أبداً والروح القدس منبثق لم يزل ولا يزال منبثقـــاً وذلك هو خاصة قـــوامه الذى لا يحـــول عنه أبداً .

وذلك التثليث بلا فرقة يجمعه توحيد جوهر الله فلا تنكرن أيها السامع أن يكون فى جوهر الله والد ومولود ومنبثق ولا تحدثن نفسك عند ذلك بشيء من الأمور البشـرية ولا يخطـر على ذهنك شيء من الفكر الجســمانى لا إجتمـــاع ولا لذة ولا سيلان ولا مصيبة ولا صورة ولا حلية ولا شـكل ولا لون ولا وجـه ولا فـرقة ولا زمان ولا موضع ولا رسم ولا قامة ولا صغر ولا كبر ولا شبه شيء مما فى الناس ولا فى سائر الخلائق كلها ولا فى الملائكة لأنك لا تجد فى شيء من الخلق فى ذلك شبهاً للخالق . فتباعد من كل فكر بشرى عند ذكر مولد الله وأعلم أنه كما أن الله لا تبلغه معرفة لا بمنطق كلمته ولا بفكر عقل كذلك لا تبلغ معرفة مولد الله وآمن بما أنزل الله إليك من كتبه ولا تقولن كيف يلد الله . إن الله قادر على ما يشاء ولا يقول متى ولد الله لأن الله فـــوق متى ولا تقولن فى أى زمان ولد الله لأن الله من قبل الأزمان وليس يبلغــه زمان ولا تطلب خلقته ولا حيله لأنه تبلغ حسن الله صفة ولا تقدمن من الأب من قبل الأبن ولا تؤخره من بعده لأنه ليس فى الله أول وآخر ولكن ما عد الأب عد معه الأبن وما عد الأب والأبن معاً عد الروح القدس وليس فى التثليث القدوس رب وعبد ولا أول وثان .

الفصل الثالث

فى أن سر التثليث فوق العقل البشرى

فلا تفكرن إذا سمعت بالتثليث فى كتب الله فى شىء من الأمور الغليظة البشرية الثقيلة ولا تظن أنهم آلهة ثلثة ولا يخطرن على ذهنك كثرة آلهة ولا ثلاثة وجوه مفترقة مختلفة الشبه والشكل والحلية مثل أبراهيم وأسحق ويعقوب ولا مثل ملوك ثلاثة جلوس على ثلاثة منابر مفترقين ولا مثل ثلاثة نجوم أو مصابيح أو ثلاثة ملائكة مثل مخائيل وجبرائيل ورفائيل لأن ذلك كله كفر وضلال يتبعها أصحاب الأصنام .

ليس الأبوة ولا البنوة فى الله مثل ما فى الأنسان أن يكون الأب شيخاً والأبن شاباً ، وليس كلمة الله ككلمة الأنسان بارزة منه خارجة متحللة فى الهواء بصوت وصريخ وحروف ومنطق . وليس روح الله كروح الأنسان ولا كروح الملاك ولا كروح الدواب ولا كروح الرياح . ولكن ولودة أبن لا يوصف من أبوة أب أرفع من الصفة وإنبثاق روح قدس لا تبلغه صفة ولأنه لا يستطيع مخلوق أن يصف خالقه ولا يقدر الأنسان الذى لا يعرف صفة نفسه المخلوقة على صورة خالقها ومصدرها . فإن أنكرت أن يكون فى الله والد ومولود من أجل أن ذلك لا يظهر لك مثل مايظهر فى الخلائق الثقيلة الغليظة فهلم حتى أريك مثال ذلك فى الخلائق روحانياً لطيفاً . فإذا عرفته بلطيف معرفة عقلك من غير أن يبلغ منطقك صفته أو تفسيره أيقنت أن ذلك فى الخالق أبعد من أن تبلغ معرفته بمنطق أو بعقل وأعلم قبلا كيف تولد كلمتك من عقلك بلا مفارقة منها لعقلك فتصل إلى كل من سمعها من غير أن تفارق والدها . وكيف يولد العلم من القلب بلا مفارقة له فيناله كل من تعلمه من غير أن يفارق القلب الذى

ولدمنه وكيف يولد الشعاع من الشمس بلا فرقة بينها فملا الشعاع الأرض كلها وما فيها من غير أن يفارق عين الشمس التى ولد فيها . وكيف يولد الضوء من النار بلا أفتراق منها فيضيء لمن أستضاء به من غير أن يفارق النار التى والدته . فهذه مواليد فى الخلائق معروفة لا توصف ولا يبلغ تفسيرها بمنطق لأن منها والد ومولود بلا قدم للوالد على المولود ، ولا فرقة لأحدهما من صاحبه لأن ليس لعقل الأنسان قدم على كلمته ولا لعين الشمس قدم على الشعاع ولا للنار قدم على الضوء ولكنه ما عد عقل مع كلمته فى غريزة العقل وما عد عين الشمس مع شعاعها فى جوهرها واحد وما عدت نار مع ضوءها فى خلق واحد وليس للقلب أيضاً قدم على العلم الغريزى ولكن ما عد قلب مع علم الغريزة مطبوعاً فيه وتلك المعرفة للخير والشر الطبيعى الذى خلق الله آدم عليها فأما علم التعليم فذلك بالأدب الداخل فى العلم الطبيعي ولو لم يكن فى خلقة الأنسان علم ما طبع عليه من معرفة الخير والشر والصواب والخطأ ما قبل علم الأدب كما لا تقبله البهائم التى ليس لها معرفة الأنسان .

والكلمة أيضاً فى الأنسان لها مولدان أحدهما مولد لطيف ساذج من غير منطق فى خفاء بفكر من العقل فى النفس ، والآخر مولد غليظ ظاهر بمنطق مؤلف من روح الهواء وأجتماع كثرة أعضاء جسمانية من بين قصبة وفم ولسان وأسـنان وشفتين وحمل من الهـواء لهـا إلى سـامعها حتى يوردها مسامعهم بالصوت . فمن أنزل كلمة الخالق المولودة من عقله الخالق كمنزلة كلمة الأنسان المخلوقة الظاهر بالمنطق والصوت فقط أضطر إلى أن يلزم جوهر الله الذى لا يوصف لطفه أعضاء بشرية ثقيلة من الفم وما فيه من مؤازرة الهواء على بيان الكلمة وظهورها بالصوت الذى يبلغها سامعيها وأن يدخل على الله ماليس منه وذلك كله خطأ وكفر فلا تطلبن تفسير ما لا تبلغه معرفة ولا تنطق بما لا ينطق به ولا تفكر فيما لا يناله عقل وأقتصر على معرفة الله الواحد فى جوهره المثلث بقـوام عقله وكلمته وروحـه تثليثاً بلا فرقة وتوحيداً لا

تخليط وأنه يعـلم كل شيء ، ويدبر كل شيء بعقـل خالق بلا خروج من كلمته وروحه من ذلك العلم ولا التدبير . ويخلق كل شيء بكلمته بلا خروج من العقل والروح من ذلك . ويحيى كل شيء بروحة بلا خروج من العقل والكلمة من ذلك . لم يزل الله خالقاً ولا يزال ولكنه لا يخلق إلا بكلمته ولم يزل الله من قبل الخلائق كلها لا بدء له يعرف أنه سيخلق الخلائق ولم يزل علم كل ما خلق ثابتـاً فى عقله من غير أن تجهل كلمته شيئاً من ذلك ولا روحــه ولكنه لم يخلق شـيئاً مما خلق حتى قال بكلمته كن فكــان ، فخلقه بكلمته مع مشـيئة العقل ومؤزارة الروح وأعطى آدم روح الحياة العاقلة الكلمانية بنفخة من روحه المحيى لكل شيء بمسرة العقل ومؤازرة الكلمة .

فنعم ما قال الأنجيل أن " فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان فى البدء الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان " (يو ١ : ١ - ٣) لأن الله لم يخلق شيئاً بغير كلمته ولقد كان الله قادراً أن يخلق فى ساعة واحدة جميع ما خلق فى الستة الأيام ولكنه أحب أن يعلمنا أنه لا يخلق بمعرفة عقله الخالق دون كلمته الخالقة وأنه قد علم فى اليوم الأول ما هو خالق فى غد فى اليوم الثانى ولكنه لم يخلق ذلك الخلق المخلوق فى اليوم الثانى اليوم الأول بما قد ثبت فى معرفته فى عقل الله حتى قال بكلمته فى اليوم الثانى كن فكان . وعرف فى اليوم الثانى ما هو خالق فى اليوم الثالث من نبات الأرض والشجر المثمر وعرف فى اليوم الثالث ما هو خالق فى غد فى اليوم الرابع من الشمس والقمر والنجوم وعرف فى اليوم الرابع ما هو خالق من غد فى اليوم الخامس من دواب الماء والطير ، وعرف فى اليوم الخامس ماهو خالق من غد فى اليوم السادس من دواب البر والأنسان ولكن لم يخلق شيئاً من ذلك بسابق العلم الثابت فى العقل من دون الأمر له بالكلمة أن يكون فيكون . ليس لأن عقل الله لا يخلق ولكن من أجل أن الله لا يبغض ولا يجزأ لأن واحداً يجمع عقله وكلمته وروحه جوهر ونور واحد وخـالق واحد وأمر واحـد وأرادة واحــدة

وقوة واحـدة بلا فـرقة بينهم فى شىء من ذلك . ليس يريد الكلمة ولا الروح إلا ما يريد العقل فكل ما فى العقل من القوة فهو فى الكلمة وفى الروح مثل ذلك والعقل خالق والكلمة خالق والروح خالق وهم خالق واحد ليس بخالقين أو ثلاثة ، وإله واحد وليس بآلهة ثلاثة . لا يخلق الله الخلق بعقله الخالق دون كلمته الخالق وروحه للخالق ولا يخلق روحه الخالق من دون عقله الخالق لأنه ليس يميز بين العقل والكلمة والروح شىء سوى الولادة للعقل والأبوة خاصة دون الكلمة والروح لأنه أب بقوام قائم دائم أبداً على الأبوة لا يحتال عنها إلى بنوة ولا إلى أنبثاق . والولـودة للكلمة والبنوة خاصـة دون العقـل والروح لأنـه (الكلمة) أبن بقوام قائم دائم أبداً على البنوة لا يحتال عنها أبداً إلى أبوة ولا إلى أنبثاق ، وللروح الأنبثاق خاصة دون العقل والكلمة لأنه روح القدس بقوام قـائم دائم أبداً على الأنبثـاق ولا يحتـال عنه إلى أبوة أو بنـوة وحيث العقـل معه الكلمـة وحيث العقل والكلمة معهمـا والروح إذ ليس من عقـل إلا له كلمة وروح .

فنعم كما قال المسيح كلمة الله فى الأنجيل إنى والأب شىء واحد وأنا فى الأب والأب فى ومن رآنى فقد رأى الأب وليس يقدر أحد أن يأتى إلى الأب الأبى ومن لم يؤمن بالأبن ولا الأب معه لأن الكلمة والعقل شىء واحد وهى فى جوهر العقل والعقل فى جوهرها ومن رأى الكلمة فقد رأى العقل لأنه لا يعرف عقل أبداً إلا بالكلمة الداله على العقل ولن يصل أحد إلى عقل أبداً إلا بالكلمة ومن لم يؤمن ولم يقبل الكلمة ورفضها فقد رفض العقل الذى ولدها معها وليس معه من العقـل شىء مع ذهاب الكلمة منه وكيف يكـون العقـل الذى لا يوجد ولا يعـرف إلا بالكلمة مع من ليس معه الكلمة . ذلك ما لا يكون إنما الكلمة من العقل والعقل مع الكلمة من غير مفارقة من الروح وكل ذلك فى جوهر واحـد ، فالله واحد بعقله الأب الوالد وكلمته الأبن المولود وروحه روح القدس المنبثق على ما أنزل الله فى كتبه على ألسنة أنبيائة الذين أختارهم وحقق للعبـاد ما أنزل إليهم على ألسـنتهم بما أجرى على أيديهـم من الآيات

المعجبة الرفيعة التى لا يقوى على مثلها مخلوق إلا بتقوية من الخالق كذلك أمر المســيح رسله الحواريين أن يعمدوا من آمن من الناس أجمعين والأمم كلهــا بأسم واحد موحــد بالجوهر مثلث أب والد وأبن مولود وروح منبثق يجمعهـم توحيد الجوهر الواحـــد وحقق ذلك بالآيات التى عملها الحــواريون أفضل مما عملت الأنبياء كى لا يبقى لأحد فى ذلك مقال . مع تحقيق ما علم الله ملائكته من تسبيحه دائماً بتثليث قدوس قدوس قدوس ثلاث مرات وختم ذلك بتوحيــد رب الصاباؤوت . وما أنزل الله على أنبيائه فى كتبه من ذكر الآب والأبن والروح القدس فى غير موضع وما أمر به المسيح رسله الحواريين من تعميد من دخل الأيمان بأسم الآب والأبن والروح القدس ، فقد تم القول فى توحيد جوهر الله وهو طبيعته وكيانه وبتثليث قواماته وأقانيمه ووجوه العقل والكلمة والروح .

وتفسير القوام أنه قائم دائم على حاله لا يحول أبداً ولا ينتقل لذلك الآب والد أبداً قائم دائم على الأبوة لا يولد أبداً . والأبن مولود أبداً قائم دائم على البنوة لا يلد أبداً . والروح القدس منبثق أبداً قائم دائم على الأنبثاق لا يلد ولايولد أبداً وكل قوام تام ليس فيه نقصان والجوهر الجامع لذلك تام ليس فيه نقصان لأن الله تام فوق كل تمام وكل شيء من جوهره تــام فوق كل تمام ليس فيه بعض أو جزء .

القسم الثالث

فى تجسد الكلمة وفى كيفية خلق المخلوقات

الفصل الأول

فى إن الله لم يخلق المخلوقات لحاجة إليها بل لحكمة سامية عنده

وينبغي للمؤمن أن يعلم أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق لحاجة كانت به إلى شيء منه ولا ليزداد بشيء مما خلق عزاً ولا رفعة ولا قدرة ، ولا لمنفعة أراد أن ينتفع بها من شيء من ذلك ولكنه خلق جميع الخلائق لسعة رحمته وكثرة صلاحه ولما أراد من نشر خيره وبسط فضله وعظيم أحسانه على جميع ما خلق .

فخلق أولاً أجناد الملائكة خلقاً روحانياً لطيفاً ساذجاً أرواحاً عاقلة كلمانية ليس لها أجساد ولا يخالطها شيء من الأثقال ولا من الغلظ ولا من الثقل ولا الحاجة إلى الطعام ولا إلى الشراب ولا إلى اللباس ولا إلى النوم ولا إلى التزويج والتولد ولكنهم أقوياء فيما يؤمرون به ينفذون فى كل خلق غليظ ثقلى بلطفهم ولا يمتنع منهم شيء منه ولا يحول بينهم وبين النفاذ حيث شاءوا . وخلق منهم كثرة لا تحصى عدتهم وجعلهم أجناد عشرة على ما فى الكتب جند أرفع وأنور وأقوى من جند وأعلاهم درجة أدنى الأجناد إليه وهم جند الساروفيم ثم جند الكروبين دونهم ثم جند المنابر ثالثاً ثم جند القوات ثم جند الأرباب ثم جند الرؤساء سادساً ثم جند السلاطين ثم رؤساء الملائكة ثم أدناهم درجة وجند الملائكة التاسع وهو أقرب الأجناد إلى الناس ، ومسكن هذه

الأجناد كلها فى العلو وكان الجند العاشر رئيساً على ما دون ذلك من الهواء وما تحت السماء فافتخر وتداخله العجب والتمس الترفع والعظمة وكفر بنعمة خالقه فألقاه الله من العلو ونزع عنه وعن جنده كسوة النور لدخلوهم معه وألزمهم الظلمة والسواد وكان رئيس ذلك الجند إبليس الجند إبليس فخر هو وجميع جنده فصاروا شياطين.

ثم خلق الله السماء والأرض وكل ما بينهما من الخلق الثقلى الغليظ المركب فى ستة أيام وأبتدأ بأساس ذلك كله وأركانه فخلقها من لا شيء كان قبل ذلك وهى أربعة الأرض والماء والهواء والنار ، فالأرض أثقلها وأغلظها وهى اليابسة ثم الماء الطف من الأرض وأخف وأرق وهو أثقل وأغلظ من الهواء والنار ثم الهواء الطف من الماء وأخف وأسفر وهو على ذلك أثقل من النار وأغلظ وهو الرطب ثم النار الطف من الهواء وأخف وأنور وهى الحارة . وخلق الخلق السفلى كله من هذه الأركان الأربعة وألفه معها وركبه وفرجه بحكمة عظيمة وقدرة قوية على أصناف مختلفة من الخلق على ما أحب . وجعل ما غلظ وثقل منه مسكناً ومأوى لما لطف وخف . وتبين لجميع أهل العقول أن كان خلق لطيف روحانى ساذج لا يرى ولا يوجد ولا يوصف لدى الخلق الأثقل منه والأغلظ إذا كان متبرئاً من الأثقال كلها . وأنه إذا خالط الخلق اللطيف الروحانى شيئاً من الخلق الثقلى الجسمانى رؤى فيه ووجد وأنتفع به على ما كان فيه . وعرف لدى الخلائق الثقيلة فعلى هذا صارت الأرض بيتاً ومستقراً للماء إذا خالطته تنزلت وتبرأت منه ورسبت لأنها أثقل منه . وصار الماء بيتا للهواء ومستقر إذا خالطه حركه وأثار أمواجه ثم ينزل ويتبرأ منه ويسكن من موجه وأضطراب به إذا خف الهواء عنه لأنه أثقل منه . وصار الهواء بيتاً للنار ومستقراً . تتبين من تلك أنه أغلظ منها وأثقل . وكذلك صار كل شيء فى جميع الخلائق المركبة من جزء الأرض مأوى لما فيه من جزء الماء ومستقراً وثقلاً وما فيه من جزء الماء مأوى لما فيه من جزء الهواء وما فيه من جزء الهواء مأوى لما فيه من جزء النار . فأمتزجت الأركان الأربعة على هذا المزيج

بأمر الله فأخذت الأرض من برد الماء المستقرة فيه فصارت باردة يابسة المزاج ، وأخذ الماء من رطوبة الهواء المستقرة فيه فصار بارداً رطباً بالمزاج ، وأخذ الهواء من حرارة النار لمستقرها فيه فصار رطباً حاراً بالمزاج ، وأخذت النار من يبس الأرض فنفذت بلطفها الهواء لدقته والماء لرقته ولم يحجبها عن الوصـــول إلى الأرض ولم تقدر على النفاذ من الأرض لغلظها وثقلها فأخذت من يبسها فصارت النار حارة يابسة بالمزاج وجرى ذلك المزاج فى كل خلق مؤلف مركب من الأربعة فى النبات والشجر والدواب كلها ما فى البرمنهـــا وما فى البحـــر والمياه ولم يبق خلق يرى إلا وقـــد خـــالطه مزاج الأربعـــة العناصر التى هى الأركان التى منها ألف الخلق كله وإليهـــا يعود كل ما أخذ منهـــا إذا تفرقت ألفت مزاج ذلك الخـــلق فهلك ورجـــع كل جزء إلى ركنه الذى منه كان .

فلما فرغ من جميع الخلائق كلها مما لا يرى منها من أجناد الملائكة للطف جوهرها ومما يرى منها من السماء والأرض والماء وما فيهم من خلق المصابيح وخلق النبات كله والشجر وخلق كل ذى نفس من الطير والحيوان والوحش والسباع وكل دابة تدب على الأرض وخلق ما فى البحار والمياه كلها من كل ذى نفس وغير ذلك قبل أن يخلق الإنسان ولم يكمل الأمر ولم يكن فيما ما بين الخلقين منفعة ولا معرفة تمام حكمة الخالق ولا بيان عظيم رحمته وصلاحه لأن خلق الملائكة الروحانى اللطيف الذى لا يرى لم تكن له حاجة إلى الخلق الثقلى الغليظ ولا كانت له فيه منفعة ولا كان بالخلق الذى قد يراه ولا يعرفه ولا كان فى شىء من الخلق الثقلى عقل يتناول به شىء من الخلق العلى فكان ذلك كله من الخلقين واقفاً على حدوده لا ينتفع بعضه ببعض حتى خلق الله الإنسان فجعله خلقاً جامعاً لامرين واسطاً بينهم مؤلفاً مركباً من جسد فيه أربعة أجزاء من العناصر الأربعة وهى الأركان التى ركب منها جميع الخلق ومن روح عاقلة روحانية كلمانية خلقها فيه من غير الأركان الأربعة الطف من لطيفها وأنور من نيرها خلقها بنفخة وصيرها خلقاً خامساً الطف من لطيف الأربعة وهى الروح التى خلقها الله على صورته وشبهه كما وصفنا فيما مضى من قولنا .

فصار الإنسان أكمل الخلق وأثمنه وإجمعه لأنه زمام بين الخلقين رئيس على الخلق السفلى كله مدبر له بعقله متناول لمعرفة الخلق العلى بلطيف عقله وفكره ملائم لما فوق بروحه العاقلة الكلمانية ولما أسفل بجسده السفلى الغليظ ، وصار سمائيا بروحه أرضياً بجسده باقياً دائماً بروحه زائلاً فانيا بجسده ، يرى بجسده ويحد ويوصف ولا يوصف ولا يحلى ولا يموت قبولاً لما يحتاج اليه الخلق السفلى من الطعام والشراب والنوم والكسوة والنكاح لما فيه من ثقل الجسد ولما يصل إلى الأثقال من المصائب بالجوع والعطش والنعاس والقر والغم والعرق وما يعرض لهم من الأمراض والوجع والبلاء والتغيير والفناء وقبولا لما فيه الخلق العلى من النور والفرح والعلم والقرب من الخالق بالتسبيح له ولزوم خدمته لم فيه من لطف الروح العاقلة الكلمانية وليس لما فيه من الروح الدمية . لأن النفس الدمية من العناصر الأربعة من جزء الهواء وكذلك هي في كل نفس من البهائم كلها كما قال الله في كتابه لنوح النبي أن نفس كل حيوان دمه وذلك حين رخص له في أكل اللحوم وأمره بالذبيحة . فقال له قد أعطيتكم أكل كل دابة ذات نفس مثل بقل العشب تاكلون كل شيء ولا تاكلوا لحماً بدمه ان دم كل حي نفسه فاهرق الدم وكل اللحم وإياكم أن تهرقوا دم الإنسان فان كل من اهرق دم الإنسان اهرق دمه مكان دمه لأني خلقت الإنسان بصورة الله . فبين أن للإنسان نفساً دمية مثل نفس الدابة من العناصر الأربعة من جزء الهواء وأن نفس الدواب ترجع إلى جزء الهواء عند موتها لأنها منه ، كما يرجع كل ما في الخلائق من أجزاء العناصر إلى أجزائها التي منها ألفت وأن في الإنسان روحاً سوى نفس عاقلة كلمانية بها فضل على جميع الخلق وأكرم وملك فإذا افترقت الفته رجع كل جزء في جسده من دم أو غيره إلى عنصره الذي هو منه رجعت روحه التي ليست من العناصر إلى الذي خلقها على صورته بروحه الخالقة

الفصل الثانى

فى سقوط الإنسان وخلاصة تاريخ العهد القديم

فلما فرغ الله من خلق الإنسان وأتم به جميع خلقه وجعله زماماً للخلقين المختلفين من العلى والسفلى وملكه على جميع الخلق السفلى وخوله له وأمره فسمى كل شىء باسمه ليناديه باسمه فيجيبه ، وجعل له فردوساً يسكنه بمنزلة قصر يحتجب فيه عن جميع ذلك الخلق وخلق له عوناً مثله من عظمه ولحمه إمرأة تؤازره على أمره وتكون له أنيسة ومبهجة ثم أوصاهما بوصيته التى بها يعرفان الطاعة من المعصية وهو يريد بها أنه ان حفظا وصيته وأطاعا بما جعل من الاستطاعة لذلك فى طبيعتهما وجوهر روحهما العاقلة من الفكر والفطنة ومعرفة الخير والشر ، والصواب والخطأ ، والحسن والقبيح فهو يرفعهما إلى مرتبة الجند الساقط من إبليس وأصحابه ويورثهما حياة دائمة لا يعرض لها موت وبقاء لا فناء له ولا يعرض له تغيير .

فعرف إبليس أنهما ان أطاعا أكرما وشرفا وان عصيا أطراحا وأقصيا مثل ما لقى اذ إفتخر وتجبر فحسدهما الخبيث وأراد أن يلزمهما ما لزمه من الذل والبلاء فدخل فى الحية وكلم المرأة طمعاً فى ضعفها ولينها وسرعتها إلى الطمع ورجاء الدخول على الرجل بها لأنسه بها واركانه إلى موافقتها وسرعته إلى اجابتها للطفها به وكانت وصية ربهما إياهما أن يأكلا من جميع ثمار شجر الفردوس ونهاهما عن ثمرة شجرة فى وسط الفردوس ، ليس لفضل تلك الشجرة على سائر الأشجار ولا لأنه حسدهما أكل تلك الثمرة ولكن ليكشفهما ويبلو طاعتهما ومعصيتهما بذلك وأعلمهما انهما آن عصيا وأكلا لزمهما الموت والبلاء وصار إلى فناء ورجع كل ما فيهما من

أجزاء العناصر كل جزء إلى عنصره حتى يعود جزء الأرض إلى الإرض التى منها أخذ . وقد عرف الله بسابق علمه ما هو كائن منهما وأنهما سيعصيان ويخرجان من الفردوس ولزمهما بذلك وعقبهما من بعدهما الموت والفناء ولكنه لا يلزم أحداً من خلقه ذنباً قبل أن يفعله لأنه تام فى عدله كما هو تام فى علمه .

فمن تمام علمه أن يسبق ما هو كائن فيعلمه من قبل أن يكون ومن تمام عدله أن لا يعاقب من قبل الذنب ولا يعجل على من لم يستوجب العقوبة بفعل الذنب فيعاقبه بما سبق من علمه فيه حتى يتم ذلك بالفعل وكذلك لا يثبت لمن لم يعمل الخير من قبل أن يفعله ولا يوجب ذلك بسابق علمه حتى يستوجبه بالعمل ولا يثيب الله أحداً ولا يعاقبه على العلم لأن العلم ليس بقائد ولا بسائق ولا مكلف أحداً أن يدخل فيما لا يريد من الوجهين كليهما ولو كان ذلك كذلك لكان العباد مجبورين على الخير والشر لو أن الله أجبرهم على شىء من ذلك لجبرهم على ما يحب من الخير ولم يجبرهم على ما يبغض من الشر لأنه ان جبرهم على ما يبغض فهو الذى كلفهم ذلك فكيف يغضب على من كلفه أن يعصاه قهراً ؟ هذا خلاف العدل وكيف يتم الله العدل التام مع العمل بخلاف العدل ؟ إنما العلم حافظ رقيب لا يأمر ولا ينهى والأمر هو الآمر والناهى والعلم مستور عن الخلق والأمر ظاهر معروف وليس للعباد فيما ستر الله عنهم حجة وإنما يلزمهما الثواب والعقاب بالأمر والآمر الناهى وعليه تحاسب العباد يوم الحساب كما حوسب به آدم أبوهم وحواء أمهم لأن الله قال لهما لأى شىء عصيتم أمرى وتركتما وصيتى إياكم أن لا تأكلا من ثمرة الشجرة التى فى وسط الفردوس فلو كان لهما فى سابق العلم متعلق لقالا لم يكن لنا بد من ذلك لما سبق من علمك به ولكنهما عرفا أنهما لو احتجا بذلك قال لهما ومن أين عرفتما ما علمت من ذلك قبل أن تفعلا والعلم مستور عنكما فانكسرت حجتهما وازداد عند ربهما غيا إذا أرادا صرف سبب ذنبهما اليه وهو مبغض للذنوب معذب أهلها عليها والعلم لا يورد ولا يصدر وانما هو رقيب حافظ ولو كان العلم يجبر لكان ناقضاً للأمر .

وقد تبين لجميع الخلق أن الأمر ظاهر معروف يأمر بالخير وينهى عن الشر وإنما يأمر الله عباده بما يحب وينهاهم عما يكره . فمن زعم أن العلم هو المورد فى البشر المكروه عند الخالق فقد أقر ان فى الرب أمرين مختلفين من الأمر والعلم أحدهما ينقض الآخر ولا يستقيم أن يكون فى الله تغيير ولا إنتقاص معاذ الله من ذلك ولو كان علم الله هو المورد للعباد فى الشر . ما امر ولاة الأمر من الملوك والسلاطين أن يحكموا عليهم بحدود العقوبات واعلمهم انهم ان تركوا ذلك فهم الفاسقون الظالمون . فقد صار على هذا الوجه يلزم الله عباده أمرين مختلفين يكلفهم بعلمه ان يخطئوا ويكلف ولا تهم بأمره يعاقبونهم ولكن جعل الله في خليقة الإنسان إستطاعة يعمل بها ما شاء من خير أو شر ثم أمره بالخير ونهاه عن الشر لما جعل اليه من تلك الإستطاعة ولو لم يجعل له أستطاعة ما أمره بما لا يستطيع ولا نهاه عما لا يقدر على تركه والخروج منه . ولذلك أمر الله آدم وحواء ونهاهما فعرف إبليس بالطمع الكاذب واخبرهما إنهما ان اكلا من ثمرة الشجرة التى نهيا عنها صارا مثل آلهة يعرفان الخير والشر فطمعت المرأة فى التأله وأخذت من ثمرة تلك الشجرة فأكلت وأطعمت زوجها فى ذلك واعطته من الشجرة فأكلا . فانتهكت سترتهما التى كانت تستر عورتهما وظهرت عورة عريتهما فاستحيا فخيطا ورق تين فأتزرا به واختبأ آدم وامرأته فى وسط الشجر الذى فى وسط الفردوس فنادى الله آدم وقال : أدم آدم أين أنت فقال آدم سمعت صوت مشيك فى الفردوس فخشيت لأنى عريان فأختبأت فقال الله له من أخبرك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التى نهيتك أن تأكل منها . فاعتذر أدم بالمرأة واعتذرت المرأة بالحية فلعن الله الحية واخرج آدم وامرأته من الفردوس واسكنهما أمامه وجعل معيشتهما بالكد والاجتهاد والهم والحزن والزمهما بالموت وفرقة الحياة والتغيير والبلاء . فلم يزل أولاد آدم مستمرين فى الخطأ والذنوب من بعد خطية أبيهم ومعصيته حتى تشعبوا فى كل وجه من وجوه الشر إلى أن كثرت خطاياهم فخرجوا منها إلى حد الكفر بالله وعبادة إبليس عدوهم وشياطينه بعبادتهم الأوثان التى عملوا بأيديهم

فاتخذتها الشياطين حجباً لهم وإتخذها أولاد آدم آلهة يعبدونها من دون الله ويقربون لها القرابين من أصناف الذبائح والأثمار والطعام والشراب وهى عمياء صماء خرساء لا تحس ولا تأكل ولا تشرب ولا تتحرك إلا أنها مأوى لابليس وجنوده ليعبدهم الناس فيها دون خالقهم : ولم يغفل الله مع ذلك كله عن آدم وأولاده ولم يضيعهم رحمة منه لهم وتحنناً عليهم ومعرفة بصنعهم لما فيهم من جزء الجسد الثقلى الضعيف البالى ولحبه إياهم لما فيهم من صورته وشبهه من الروح العاقلة الكلمانية التى أكرمهم بها على سائر خلقه ولما أراد إتمام رأيه فيهم لأنه لم يخلقهم حين خلقهم لحاجة به إليهم ولا لمنفعة منهم له إلا لسعة رحمته وعظيم صلاحه وفضله وما أراد من نشر ذلك عليهم وبسطه فيهم ووصول الخير إليهم لكثير مجده وطوله .

فأحب أن يتمم ذلك لهم بالعدل والحق من غير أن يكلفهم ولا جبرهم عليه لكيما يستوجبوا بارادتهم ومشيئتهم وطلبهم ذلك ما ذخر لهم مع نشره عليهم من الخيرات كلها . لأن كل مجبور مقهور ، والمقهور ليس بمحمود على ما قهر عليه من الإحسان ، ولا مستوجب ثوابه ممن قهره عليه وألزمه إياه كارهاً ، ولا ملام على ما قهر عليه من الإساءة ولا مستوجب عقابها ممن قهر عليه والزمه إياها كرهاً . فلم يزل الله خالق الخلق كله يدير جميع خلقه بالرحمة والقدرة والحكمة ولا يدع احكام ذلك بالحكمة التى لا تحتمل سقطاً ولا خللاً فى شىء من الوجوه . فهو خالق وحده ولا خالق غيره خلق كل شىء بكلمته وروحه لأنه ليس لأحد تدبير ما ليس له ولا كان للخلق مدبر غير الذى خلقه ، فالخالق أولى بتدبير ما خلق فكان من تدبير الله عباده من أولاد آدم – منذ أن أحب أبوهم آدم الخطية بالمعصية لخالقه والطاعة لعدوه وما لحقه من الكد والهم فى حياته والموت المفنى له ولعقبه من بعده – أن تعاهدهم بالأمر والنهى يأمرهم بما يقربهم اليه ويخلصهم من سلطان عدوهم عليهم بما كتبت أيديهم من طاعته إياه وامكانه من أدمغتهم بانقيادهم له بلا قدرة منه عليهم ولا قسراً قسرهم عليه وينهاهم مما يخالفهم ويبعدهم عنه ويقربهم إلى عدوهم ذلك الذى أورد أباهم وإياهم فى الشر ولم يصورهم .

وكان أمر الله اياهم ونهيه بوحى من روحه إلى من رضيه منهم من أنبيائه ورسله ومنطق من كلمته على ألسنتهم إحتجاجاً منه على العبادة بمن آتاهم بأمره ونهيه من أنفسهم وجنسهم من أولاد آدم الصالحين الأنبياء المختارين لما لزموا من أمره وهربوا عنه من نهيه وكان ذلك محققاً لرحمة أبيهم إذ كفروا به وعصوه ولم يمنعه ذلك من تعاهدهم والبعثة اليهم يدعوهم إلى ما عنده ويعدهم ثواباً للطاعة وعقاباً للمعصية وكانت تلك الرحمة بعدل أيضاً لأنه لم يجتلبهم كرهاً ولم يلزمهم طاعة بلا إرادة منهم نظراً لئلا تخطئهم ما وعد من الثواب إذ لم يستوجبوه بالطاعة فكان تدبيره إياهم بحكمة جامعاً للرحمة والقدرة والعدل وحقق لهم أجل ثوابه وعقابه بما عجل عليهم فى دار الدنيا من الثواب والعقاب ليصدقوا بما لحقهم فى العاجل من ذلك بما ذخر لهم فى دار الآخرة من جسيم الثواب والعقاب .

الفصل الثالث

فى خلاصة تاريخ الإنسان من آدم إلى التجسد

فعاقب قايين بن آدم بالإرتعاش وكذا الإرض بالعمل لا تعطيه ثمارها مع طول البقاء فى ذلك العذاب لقتله هابيل أخاه ونقل أخنوخ من أولاد آدم من خارج الفردوس إلى داخله لأنه كان محسناً ورده بطاعته من حيث أخرج آدم لمعصيته فبين لمن يفقد ما بين المعصية والطاعة والثواب والعقاب . فلما عظم الشر وكثر ولم يبقى فى الدنيا صالح إلا نوح وأولاده جاء بالطوفان فغرق أهلها ولم يبقى على ظهرها حى من إنسان ولا دابة ولا طائر إلا نوح وأولاده وما كان معه فى الفلك من البهائم والطير فحقق القدرة والعدل فى تدبيره نوحاً بإحسانه وفضله وحفظه إياه وخلاصه من ذلك الغرق العظيم ومن معه ، وبعقابه من غرق من الخلق بمعصيتهم وحقق رحمته فى تدبيره بحفظه من أحسن واستبقائه آبائه وأولاده وأهله وما ورد معهم من الدواب كلها والطير لما لهم في ذلك من المنفعة والمعرفة من بعد خروجهم من الفلك بعد إنحسار الماء ويبس الأرض إذ سكنوها أيضاً .

ثم لم يزل تدبيره كذلك فيما بعد ذلك من الأجيال جيلاً بعد جيل متعاهداً لمن استوجب ذلك منهم بوحى روحه وتكليمه لهم بكلمته وبعثه إياهم من أصحابهم يدعونهم إلى الطاعة والإيمان به والكفر بالشيطان وأصحابه والعمل بطاعة ربهم والمعصية لإبليس عدوهم واخرابه واظهار الثواب لمن استوجبه منهم

بالطاعة وانزل العقوبة على من استحقها منهم بالمعصية كما أثاب إبراهيم وولده بما رزقهم فى أموالهم البركة وأورثهم من أرض القدس وغيرها وأكرمهم به من الوحى والآيات التى أنعم بها عليهم وفعل مثل ذلك بأيوب الصديق وبيوسف بأرض مصر وغيرهم من الصالحين وكما عاقب أهل سدوم بمطر النار والكبريت عليهم واحراق بلادهم إلى أن صارت رماداً وعاقب فرعون وجنوده فغرقهم فى البحر الأحمر إذ خلص موسى وذرية يعقوب واجازهم فى يبس فى وسط ذلك البحر وأنزل عليهم المن والسلوى وأخرج لهم ماء من الصخرة وسترهم من حر الشمس بالسحاب وأنار لهم فى ظلام الليل بعمود من نار فى وسط معسكرهم وأنزل عليهم كتاب التوراة على يد موسى النبى وهرون أخيه رأس الكهنة ثم لم يلبثوا أن خالفوا فعصوا وكفروا بالله وعبدوا تمثالاً سبكوه من حلى نسائهم فعاقبهم الله بعدله وقدرته إذ أتاههم فى البرية أربعين عاماً حتى فنى ذلك الجيل كله وهلك فيها من رأى آيات الله وعجائبه منهم على يدى خادمه موسى وأستبقى أولادهم الذين لم يستوجبوا العقوبة لأنهم لم يحضروا تلك الآيات مع آبائهم ولا عبادة العجل من بعدها وإنما ولدوا فى البرية من بعد ذلك فادخلهم برحمته وقدرته أرض القدس ووفاهم بعهده لأبراهيم أبيهم وأسكنهم إياها وأخرج عنهم الأمم التى كان فيها الكفرة من أولاد كنعان بن حام بن نوح وأسكنهم فيها يشوع بن نون خليفة موسى من بعد وفاته . فلم يزالوا ينتقضون على الله فى كل زمان وقرن وجيل بعد جيل يدعون طاعة الله ولزوم سننه التى أنزلها الله عليهم فى كتبه ويكفرون به ويخالطون الأمم بعد نهى الله إياهم عن مخالطتهم فينقادون إليهم بهواهم لما فيه من الكفر ويعبدون أصنامهم وآلهتهم من الشياطين وسائر تماثيل الخلائق المخلوقة . ولم يدع الله مع ذلك صلتهم بالرحمة ولم يرفضهم لما فيهم من الكفروالخطايا حفظاً لمن فيهم من الصالحين وتمسكا برحمته لأولاد آدم على الرأى الأول من غير أن يضيع العدل والقدر فيهم بالعقوبات لمن أساء وعصا والثواب لمن أحب وأطاع منهم حتى أستمروا فى عبادة الأصنام وركب عامتهم الكفر والمعصية فسلط الله نبوخذ نصر ملك بابل عليهم وهو كافر صنمى وأهل مملكته معه لا يرون لهم إلهاً غيره فسبوا بنى إسرائيل وخربوا بيت المقدس الذى كان قد بناه سليمان بن داود لله هيكلا يعبده بنو إسرائيل فيه ويدعونه منه ويستقبلون نحوه

وخربوا المدينة أيضاً وأحرقوا كتب الله وحلية هيكله وسفكوا دماء كثيرة وجلبوا جميع الشعب بذراريهم وأموالهم إلى أرض بابل لأنه لم يكن فى الأمم من يعبد الله غير أمة إسرائيل فلما كفرت لم يجد الله أمة لها إيمان به ليسلطهم عليهم ينتقمون له منهم فسلط عليهم كفرة مثلهم . فلما نزلوا أرض بابل أقام نبوخذ نصر الملك صنما عمله من ذهب فى سهله كورة بابل طوله ستون ذراعاً وعرضه ستة أذرع فأمر أن يجمع جميع أهل مملكته ومن فى سلطانه من سبى الأمم إذا سمعوا صوت اللهو الذى أمر به الملك واللعب بين يدى ذلك الصنم أن يخروا أجمعين ساجدين لذلك الصنم الذهب الذى أقام وأعد لمن عصاه وخالفه أتون نار قد حمى سبع مرات وأمر أن من لم يخر ساجداً لذلك الصنم ساعة يسمع صوت اللعب واللهوأن يلقى فى ذلك الأتون فيحرق . فسجد لذلك الصنم جميع من سبى من أمة أسرائيل مع سائر الأمم الكفرة ودخلوا فى كفرهم غير ثلاثة فتية من سبط يهوذا من نسل داود النبى فأنهم أبوا أن يفعلوا ما أمر به الملك من ذلك فدعاهم الملك حين بلغه أمرهم وعرض عليهم طاعته و السجود لذلك الصنم وحذرهم من أتون النار فابوا أن يجيبوه إلى ذلك فأمر بالقائهم فى الأتون فاوثقوا وربطوا ورمى بهم قوم أقوياء فى ذلك الأتون فأكلت النار بلهبها الذين رموهم وما حول الأتون من سوى ذلك على تسع وأربعين ذراعاً وسلم الفتية الثلاثة فى وسط الأتون وأنحل رباطهم وصارت النار عليهم برد وريح طيبة وأستووا قياماً يسبحون الله ويمجدونه ولم تصل النار إلى أجسادهم ولم تحرق ثيابهم ولم تغير شعورهم ولم توجد فيهم رائحة نار . فلما سمع الملك تسبيحهم فى وسط النار ناداهم من الأتون فخرجوا إليه ، فخر ساجداً بين أيديهم وبارك آلههم وأمر المنادى فنادى بأن من جدف بأله شدرخ وميشخ وعبدنغو الفتية الثلاثة فقد حل هلاكه ونهب ماله لأنه لا يقدر إله آخر أن يخلص مثل هذا الخلاص فاثاب الله هؤلاء الفتية الصالحين الصائرين بذلك العجب والخلاص من أتون النار بعدله وقدرته لما أستوجبوا من ذلك لطاعتهم . وفعل مثل ذلك بدانيال النبى إذ خلصه من الأسد حين ألقى معهم فى الجب فلم يعرضوا له وألزم الله

البلية والعقوبة لمن أستوجبها من أهل المعصية والكفر . ولم يدع الله لزوم رحمته وأنفاذها على أيدى أنبيائه إذ خلق عباده لها ودبرهم بها على صرف بنى إسرائيل أو من أحب أن ينصرف إلى بلاد القدس وصاروا عبيداً للأمم يؤدون إليهم الطاعة رجاء أن يكون لهم فى ذلك عظة ومنفعة لكى لا يسيروا بسيرة آبائهم إذ كان الملك فيهم ونعم الله عليهم باقية فلم يشكروا وعصوا وكفروا وأستوجبوا نزع ذلك منهم فلم تنفع فيهم شدة ولا رخاء وصاروا إلى أسوء حال آبائهم من بعد رجوعهم إلى أرض القدس من بابل وبعد بنائهم بيت المقدس كما كان قبل الخراب فصاروا فى فساد عظيم وذنوب ظاهرة يرتشون فى الحكم ويرتكبون المعاصى وقتل الأنبياء .

الفصـــل الرابع

فى تجسد الكلمة

ولما جاء ملء الزمان الذى أعد الله فيه كمال رحمته على العباد عند كمال فسادهم وحيث لم يبق للخلق رجاء لما كان عليه جميع الأمم من الكفر بالله وعبادة الأصنام المخلوقة ولما آل إليه أمة إسرائيل من بعد الآيات والأنبياء وطول الوحى وسبوغ النعم وعظيم الكرامات من أستيلاء أبليس عليهم بمشيئتهم وأنقيادهم له بالكفر والمعاصى الكثيرة من بعد أحتجاج الله عليهم وطول تقدمته إليهم وإنذاره أياهم فى كتبه وعلى ألسنة أنبيائه . ولم يبق إلا أن يهلك الخلق كله ولكن بسعة رحمة الخـــالق بعدل وقـــدرة وحكمة لم يعجز الله ولم يقصر تدبيره عن بلوغ غـــاية الرحمة بالقدرة والعدل جميعاً .

فكان من عظيم التدبير وجليل الرحمة وكمال العدل ورفيع الحكمة أن بعث الله كلمته الخالق الذى به خلق كل شىء الذى هو من جوهره ليس بمخلوق ولكن مولود منه من قبل الأدهار كلها لم يكن الله بلا كلمته وروحه قط ولا كان الكلمة برىء منه قط ولا من الروح القدس لم يكن فى غير الله وكلمته لأنه روحه الخالق ومن جوهره فهبط كلمة الله بقوامه القائم الدائم الثابت الذى لم يزل ولا يزول فالتحم من مريم العذراء جارية طاهرة مختارة من الأصل المبارك من ذرية أبراهيم وأولاد إسرائيل وسبط يهوذا ونسل داود أصطفاها الله لهذا التدبير وقدسها بالروح القدس روحه الجوهرى حتى جعلها أهلاً لحلول كلمة الله الجوهرى فأحتجب الكلمة الخالق بأنسان مخلوق خلقه لنفسه بمسرة الله الأب ومؤازرة روح القدس خلقاً جديداً من غير نطفة أدمية جرت عليها الخطية ومن غير مجامعة بشر ولا نكاح ولا أنفكاك من عذراوية الجارية المقدسة أنساناً تاماً بجسده ونفسه الدمية وروحه العاقلة الكلمانية التى هى صورة الله فى الإنسان وشبهه لأنها كانت أولى خلق الله بسكنى الله وحلوله وأحتجابه للطفها عن

جميع ما لطف من الخلائق كلها كما فسرنا فى أول هذا الكتاب من أنه لا يرى شىء الخلق اللطيف إلا فى غليظ الخلق ولا يرى ماهو من لطيف الخلائق سواها فلذلك كانت أولى خلق الله بحجاب الله فكانت له حجاباً وكانت النفس الدمية لها حجاباً والجسد الغليظ حجاباً لما هو ألطف منه .

فعلى هذا خالطت كلمة الله الخالق جوهرية الأنسان كاملة بجسدها ودمها وروحها العاقلة الكلمانية وصار كلمة الله بقوامه قواما لذلك الناسوت الذى كمل جوهره بتقويم كلمة الله أياها لأنها لم تخلق ولم تكن شيئاً إلا بقوام كلمة الله الذى خلقها وقومها من لا شىء سبق قبل ذلك فى رحم مريم ولا من سبب كان لها به ميتدأ من نطفة ولا من غير قوام الكلمة الخالق الذى هو أحد التثليث الألهى فذلك القوام قوام معدود معروف مع الناس لما ضم إليه وخلق له والتحم به من جوهر الأنسان فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام كلمة الله الخالق واحد فى التثليث بجوهر لاهوته وواحد فى الناس بجوهر ناسوته وليس باثنين ولكن واحد مع الأب والروح وهو أياه واحد مع الناس جامع لجوهرين مختلفين من جوهر اللاهوت الخالق وجوهر الناسوت المخلوق بتوحيد القوام الواحد قوام الكلمة الذى هو الأبن المولود من مريم العذراء فى آخر الأزمان من غير مفارقة من الأب ولا من الروح القدس .

ولكن مثلما أن شعاع الشمس المولود من عين الشمس الذى يملاء ضوءه ما بين السماء والأرض يرد بيتاً من البيوت فيكون فيه حقاً بنوره ودفئه من غير مفارقة للعين التى يولد منها حقاً لأنه لم ينقطع من العين ولا من الضوء ، فكذلك سكن أبن فى الناسوت من غير أن يفارق الآب فهو فى الناسوت حقاً وهو مع الآب وروح القدس حقاً . ومثلما أن كلمة الأنسان المولودة من عقله تكتب فى قرطاس فهى فى القرطاس كلها حقاً من غير أن تفارق العقل الذى ولدت منه ولا يفارقها العقل الذى ولدها لأن العقل بالكلمة يعرف لأنه فيها فالكلمة كلها فى العقل الذى ولدها وكلها فى نفسها وكلها فى القرطاس الذى التحمت به ، فكذلك كلمة الله كله فى الآب الذى ولد منه وكله فى نفسه وفى الروح وكله فى الناسوت الذى حل فيه والتحم به ، وإن كان كل مثل مخلوق يعجز عن شبه الخالق ولكن لم يزل الله يضرب لعبادة الأمثال فى جميع كتبه ليفهموا ما لا يرون بما يرون ويعرفون ما لا يظهر لهم بما يظهر ، وليس حلول كلمة الله الخالق

والتحامه بجوهر الناسوت بأنتقال وتغيير أو تحول من أحد الجوهرين عن كيانه ، لا الألهى تحول عن أن يكون ألهياً خالقاً ولا الناسي تحول عن أن يكون ناسياً مخلوقاً .

ولكن مثل خلطة النفس والجسد أنساناً واحداً أحدهما ملتحم بآخـــر من غير أن تكون النفس تغيرت أو تحولت عن جـــوهرها أن تكون نفساً معروفة بفعالها ولا الجســـد تغير ولا تحول عن حـــاله وفعاله ، مثلما تخـــالط النار الحـــديد فتردها بلطفها ويلتحمـــان جميعاً فيكونان جمـــرة واحدة من غير أن تكون النار تغيرت أو تحولت عن أن تكون حديدة ثقيلة تشج وتقطع .

فعلى هذا الوجه من الخلطة دبر كلمة الله الخالق خلطته بالطبيعة البشرية فهو مسيح واحد أبن الله الوحيد المولود من الآب قبل الأدهار كلها . نور من نور . إله حق من إله حق . مولود ليس بمخلوق . مساو لأبيه فى جوهره وطبيعته ، وهو أياه أبن مريم العذراء المولود منها فى آخر الزمان بقوام واحد قوام أبن الله الوحيد الجامع للطبيعتين كلتيهما الألهية التى لم تزل فى البدء من قبل كل بدء والناسوتية التى كونت فى آخر الأزمان المقومة بالقوام الأزلى فهو مسيح واحد بقوام واحد أزلى متكون من طبيعة إلهية (١) لم تزل له وناسوتية خلقها له وألتحم بها من مريم العذراء وبقوامه

---

(١) ومن الغريب أن النسخة المخطوطة التى نقلنا عنها هذا الكتاب والتى عربت وكتبت بقلم أحد الأروام الأرثوذكس فيها بعد قول " فهو مسيح واحد بقوام أزلى وطبيعتين " ولا ريب أن أثناسيوس لم يكتب ذلك فرأينا من المناسب أن تحذف تلك الجملة لأنها ولا ريب نتيجة تلاعب أحد النساخ وهى تخالف قول أثاسيوس فى مقالة له على التجسد الألهى وقد أستشهد بها القديس كيرلس الأسكندرى أكثر من مرة وهى واردة فى تاريخ المجمع الأجنبى دفعتين فى الجزءين الأول والثـــالث وهى " وليس نقول عن هـــذا الأبن الواحد أنه طبيعتان واحدة نسجد لها والأخرى لا نسجد لها بل طبيعة واحدة لله الكلمـــة المتجسد " والدليل على أن تلك الكلمة من تـــلاعب النساخ أنه مكتوب بعد تلك الزيادة فى تلك النسخة حـــاشية مطـــولة لأحد النساخ فى أثبات الطبيعتين فحذفناها أيضاً .

ذلك قوام وأجتماع الطبيعتين فيه بلا أختلاط ولا تحول ولا فساد ولا فرقة أنقطاع ومع أنهما أتحدتا ببعضهما ولكن من غير أن تستحيل هذه إلى تلك وتلك إلى هذه وقد بين الله هذه الخلطة فى كتبه وأورى أنبياءه مثالها ورسمها فى غير موضع ليحققها للمؤمنين إذا سمعوها ولا ينكروا ما كرز به من أمرها . فأورى الله موسى نارا تلتهب فى شجرة عليق على طور سيناء فناداه من تلك الشجرة وقال له أنا إله أبراهيم وإله أسحق وإله يعقوب وإله آبائكم ، ذلك خلطة بين نار تحرق وشجرة تقبل الأحتراق من غير أن تتحول النار عن نورها وحرقها ولا تتحول الشجرة عن ثقلها وحليتها أنها عليقة لأن النار لم تضعف عن أن تحرق الشجرة ولم تتحول عن جوهرها ولكنها منعت نفسها بقوة قدرتها أن لا تحرق وأقامت تلتهب فى الشجرة والشجرة قائمة على حالها فى الخضرة لا تحترق ولا تتغير ولعجب تلك الخلطة التى كانت رسماً للخلطة فى المسيح تقدم موسى لينظر عظيم ماروئى له من ذلك أن العليقة تلتهب بالنار ولا تحترق ، فنودى من تلك الشجرة والنار . فأى قياس أبين من هذا للخلطة فى المسيح من نار جوهر كلمة خالق وبشرجوهرناسوت مخلوقه أورى الله أشعياء المسيح مثالا أبين من ذلك فى جمرة واحدة موضوعة على مذبح تناولها أحد السارافيم وهم أرفع أجناد الملائكة وأقربهم إلى الله فحملها بملقط حتى وضعها على شفتى النبى فمن لا يعلـم أن الجمرة الواحدة جامعة لطبيعتين وجـوهرين أحدهما النور والأخرى الحديد أو العود الذى ظهرت فيه النار ولولا ذلك ما رؤيت النار منفردة للطفها ، وإن السارافيم إنما أخذها من فوق المذبح بملقط لئلا تحرقه نارها .

ولولا أن تلك النار كانت فى ثقل غليظ ما أمسكها الملقط ناراً بلا ثقل غليظ كما لا يمسك لهب النار ولا شعاع الشمس بالملقط وإنما نقت الجمرة ذنوب النبى كلها بنارها لأن جوهر النار منق لكل دنس أفضل من الماء من أجل أنها ألطف من الماء فالماء ينقى ما ظهر من الوسخ والنار كل ظاهر وباطن من كل دنس .

فالجمرة الواحدة بقوام واحد ذو جوهرين مختلفين فيها يجتمعان بخلطه لا تخليط فيها ولا تحول لأحد الجوهرين لا من النار عن نورها وحرقتها ولا من الحديد والعود عن غلظه وثقله ولا فساد تغيير دخل أحدهما ولا فرقة من الخلطة بقوامين يعرف

أحدهما دون صاحبه وما منع نار تلك الجمرة أن تحرق النبى حين وضعت على فيه ضعف ولا تحول ولكن كف منها محرقها أن لا يحرق النبى بقوة قدرة كلمة الله الخالق على كل شىء لتعرف أن الجمرة قياس ومثال لخلطة نور جوهر كلمة الله الخالق ببشر جوهر الناسوت فى قوام مسيح واحد جامع الجوهرين بلا تخليط منهما ولا تحول ولا فساد وبلا فرقة بينهما بقوامين يعرف أحدهما عن الآخر وأنه كف نار لاهوته عن حرق البشر إذ سكنت فى مريم ومن بعد ذلك ومن أجل ذلك قال الله لذلك النبى أنطلق وقل لهذا الشعب يعنى أمة أسرائيل : سمعاً تسمعون ولن تسمعوا وبصراً تبصرون ولن تنظروا . فمن هو هذا الذى أتى بنى إسرائيل من بعد أشعيا النبى المتنبى بهذا فسمعوا كلامه ولم يفهموا وأبصروا فعاله ولم يؤمنوا غير المسيح الذى كانت تلك الجمرة رسماً له وقالبا وقياساً بينا ، ولذلك غضب الله عليهم غضباً ليس له مرد وأخبر به ذلك النبى إذ قال له تبعاً للقول الأول أنه لن يرجعوا إلى ولن أبرئهم . فقال له النبى إلى متى يارب فقال له الله إلى أن تخرب المدائن من أجل أنه ليس من يسكن فيها وتخرب الطرق من أجل أنه ليس من يسلك فيها وذلك ما لا يكون أن تخلو المدن والطرق حتى لا يكون أحد يسكنها ولا يسلكها ما كانت الدنيا لأن الآخرة تأتى على أهل الدنيا بغتة فليس لغضب الله على من كفر بالمسيح من أمة إسرائيل أنقطاع ولا من بعده عنهم رضـــاء ما أقاموا على كفرهم به وكذلك فى الأنجيل أن المسيح قال من أجلهم من الأحتجـاج عليهم بســمعهم كلامه ومعاينتهم فعاله وبقائهم مع ذلك على كفــرهم " لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية وأما الآن فخطيئتهم باقية " لأنهم قد رأونى فأبغضونى كيما تتم الكلمة المكتوبة فى ناموســهم أنهم أبغضونى بلا سبب .

فالمسيح واحد من قبل التجسد ومن بعد التجسد ، هو أياه المولود من الأب قبل الأدهار كلها بلا أم وهو أياه المولود من مريم العذراء فى آخر الأزمان بلا أب بتوحيد ذلك الأقنوم بعينه ذى الجوهرين الألهى والأنسانى المجتمعين فى ذلك الأقنوم مسيح واحد أياه نادى الأب من السماء فى موضعين أحدهما نهر الأردن يوم المعمودية وثانيهما طور تابور يوم التجلى فقال هذا هو أبنى الحبيب الذى به سررت وأياه كانت

مريم تدعوه أبنها ليس أبن الأب آخـــر وأبن مريم آخر معاذ الله من ذلك أن الطبائع لا تلد ولو أن أمرأة ولدت طبيعة لكان ينبغى أن تلد الناس كلهم لأن الطبيعة الواحدة لا تلد الناس كلهم وأنما تلد الأقانيم ، ولا تلد أمرأة أقنومين فى ولد واحد دون أن يكون لكل أقنوم ولد على حدته مثل التوأم ولا يستقيم أن يكون للشيء توأمان مختلطان أبداً لأن الطبيعة جامعة للقوامات ، والقوامات مفرقة للطبيعة فكيف تستقيم ألفة مجتمعة فى مسيح واحد مع فرقة قوامين وأنما القوام على الفرقة فأن كان المسيح ذا كيانين مختلفين كما هو حقاً وكان مع ذلك ذا قوامين مختلفين فما الذى جمعه سوى الكيانين والأقنومين ذلك ما لا يوجد أبداً وقد عرفنا أنه لا تكون طبيعة بلا أقنوم ولكن أيضاً لا تكون طبيعة بأقنوم واحد لأن الطبيعة الواحدة تجمع أقانيم كثيرة والأقنوم الواحد لا يجمع الطبيعة فطبيعة المسيح الألهية أزلية لم تزل وقوامها فذلك القوام هو الذى أخذ طبيعة أنسانية فضمها إليه فكان هو قوامها منذ كونها . لم تكن من قبل حلول ذلك الأقنوم الألهى بمريم فلما حل بها كون منها كيانا وهو الطبيعة الأنسانية وقومها بقوامه وألهها مع تكوينة أياها فكان أخذه أياها وتكوينه لها وتأليهه أياها معاً جميعاً .

فناسوت المسيح ذو أقنوم معروف أنه قوام أبن الله أخذه وقومه بقوامه وخلقه له هيكلا . لم يكن ذلك الناسوت من قبل حلول قوام الكلمة أبن الله بمريم ولم يخلق فيعرف له قوام نادر حتى خلق قوام الأبن الألهى وكان له هو قواماً لم يزل ذلك البشر منذ كان بشراً للكلمة كلمة الله ونفس كلمانية لم يعرف ذلك البشر بغير قوام كلمة الله قط فهو أبن الله واحد مولود من الأب بلا أم ومن الأم بلا أب هو أبن الله وهو أبن مريم ، وكذلك علمنا المسيح فى الأنجيل إذ سأل الرسل عن نفسه وكشفهم عن قول الناس وقولهم فيه ونسب نفسه حين سألهم عن ذلك الأمر فقال من يقول الناس إنى أنا أبن الأنسان يعنى بالأنسان مريم . فقالوا أن بعضهم يقول أنك يوحنا وآخرون يقولون أنك إيليا وآخرون أنك أرمياأو أحد الأنبياء فقال لهم وأنتم من تقولون إنى أنا أجابه سمعان بطرس فقال " أنت المسيح أبن الحى " فقبل مقالته وطوبه ونسب قوله إلى أبيه الذى فى السموات وأنه هو الذى أطلعه عليه وقال على هذه الصخرة أبنى كنيستى " يعنى بالصخرة أساس الأيمان الذى بنى عليه أساس الكنيسة " فلا يقدر على هدمها

شيء فقد بين إذ سمى نفسه أبن الأنسان مريم وسماه بطرس أبن الله الحي فقبل ذلك منه وشدده له ولمن بعده من أهل الكنيسة أنه أبن واحد المسيح أبن الله الحي وأبن مريم وأن التوحيد أنما هو للقوام .

فبأي شيء يكون المسيح واحد من غير توحيد الأقنوم أن لم يجمع لاهوته وناسوته قواما واحداً ؟ فلئن لزم المسيح أقنومان فقد لزمه عدد الأثنين ويلزم تثليث اللاهوت تربيعاً إذا صار قوام الأبن قوامين ودخل على الله التغيير إذا صار من تثليث إلى تربيع ودخلت عليه الزيادة وأنتقصت المعمودية عن الثلاث الصفات التي أمر بها المسيح رسله يصبغوا بأسم الآب والأبن والروح القدس ، ولزم من زعم أن للمسيح قوامين أن يصبغ في المعمودية أربع صبغات لأن الأسماء الثلاثة إنما هي أقانيم الأب والأبن والروح القدس التي نصبغ بها ثلاث صبغات فإذا صارت الأقانيم أربعة فلا بد من أربع صبغات إلا أن لا يتعمد من يقول أن للمسيح أقنومين بالمسيح كله ولكن بنصفه إذا ترك أحد قواميه لم يصبغ به فقد تبين أن المسيح واحد لم يكن من قبله مسيح مثله غيره ولا يكون أبداً .

إن كلمة الله لم يزل منذ الأزل مع والده لم يكن الله بلا كلمة قط ولا كانت مفارقته قط كما قال الأنجيل " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله " ثم أتبع ذلك فقال " والكلمة صار جسداً وحل " فحقق أن قوام الكلمة واحد لم يزل مع الأب وأنه أياه الذي أخذ طبيعة البشر فصار بشراً بسكناه في البشر الذي خلقه خلقة جديدة من مريم العذراء بلا زرع بشر فكان الكلمة المكون لذلك البشر في مريم شبه الزرع الذي منه يكون سبب خليقة البشر فهو ذلك الأقنوم المعدود في التثليث القدوس وهو أياه المعدود مع الناس واحد منهم نادر بقوامه ذلك يسوع المسيح أبن الله الحي إله تام مع الأب والروح القدس بلا فرقة بينهم في كيان اللاهوت وجوهرها من غير تحول ولا تغير من أحدى طبيعتيه عن جوهرها لا من اللاهوت عن جوهر اللطف والأنبساط إلى غلظ الناسوت وتركيبها ولا من الناسوت عن الغلظ والتركيب إلى لطف وأنبساط من غير تخليط فاسد مغير لأحدهما عن شيء من جوهرهما صغر أو كبر حتى صارتا من

كيانين كياناً واحد مختلطاً فإن ذلك كفر وتجديف على الله أن يلزمه شيء من التغيير فيحتال من جوهره الخالق إلى جوهر مخلوق أو يتحول ما خلق من البشر لنفسه مسكناً عن جوهره المخلوق فيصير خالقاً ولو كان الكيانان قد أختلطا خلطة تخليط حتى صارا جميعاً كياناً واحداً كما كان المسيح من جوهر الأب وروح القدس بعد تجسده أن جوهر الأب وروح القدس جوهر لطيف ساذج نور خالق لا يدخل عليه التركيب فكيف كان يستقيم للأبن المتجسد أن يعد مع الأب وروح القدس من بعد خروجه من جوهرهما بما لزمه من تخليط التركيب ، أم كيف يسلم له أن يكون إلهاً واحداً مع الأب وروح القدس مع ما دخل على جوهره من ذلك التخليط وأذن لما كان ناسوت المسيح أيضاً مع ما تغير من حال جوهره عن الناسوتيه إلى الأمتزاج بجوهر اللاهوت والتحول المغير لما كان عليه الناسوت واللاهوت من الحال .

ولكن نؤمن بمسيح واحد موحد بتوحيد الأقنوم المؤلف بين جوهر اللاهوت وجوهر الناسوت الضام لهما جميعاً بلا تخليط ولا تحول ولا تغيير ولا فرقة ولا أنقطاع ولا تبرؤ للاهوت من الناسوت وبالعكس ومثلما نعرف أن الله خلق في بدء خلق الدنيا النور الساذج اللطيف فأقام على حاله منبسطاً في الهواء ثلاثة أيام أولهما الأحد الذى فيه خلق ثم خلق الله لذلك النور جسداً ثقلياً يوم الأربعاء ووضعه فيه وأسكنه أياه بخلطة لازمة وألفة ثابتة فسماها جميعاً شمســاً بأسم واحد جامع لطبيعة نور الشمس وطبيعة جســـدها بتوحيد قوامها الواحد . أنها شمس واحدة لم يسم نورها من قبل جسدها شــمساً ولا يقال لجسدها بغير نورها شمساً ولكنها شمس واحدة نورها مع جسدها جميعاً . كذلك نعرف أن نور لاهوت المســيح لم يسم من قبل تجسده بالبشر من مريم مســيحاً ، ولا يقال لناسوته بغير لاهوته مسيحاً ولكنه مسيح واحد بلاهوته وناسوته جميعاً .

الفصـــل الخامس

فى أيضاح تجسد الكلمة من أعماله العجيبة

فهو من جوهر الآب وروح القدس بلاهوته وهو من جوهر أمه وساير الناس بناسوته بغير الخطيئة لأن الخطيئة ليست من جوهر الطبيعة ولكنها عرض دخلت على الطبيعة بالمعصية فهو طاهر لأن الخطيئة لم تنبت بناسوته الذى خلق فى مريم كما فى سائر البشر من زرع الرجال ونطف الشهـــوة من بعد أنفضـــاض القذرة ولذة المجامعة والتغيير بذلك لم يكن للخطيئة ببشره مسلكاً لأنه خلقه طاهراً نقياً من جارية طاهرة عذراء مصطفاة مطهرة بروح القدس وقوة العلى وحلـــول الكلمة كما قال لها رئيس المـــلائكة جبرائيل حين بشرها بالمسيح فأنكرت أن تحبل وتلد من غير معرفة رجل فقـــال لهـــا روح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك والمولود منك القـــدوس أبن الله يسمى فحقق توحيد الجوهر وتثليث الأقـــانيم بذكره الله العلى وكلمة الأبن المولود وروحه القدس .

أهــــدى العباد إلى الطاعة ونصـــــــرهم بها وعلمهم أياها ليخرجهـــم من ظلمة المعصـــــية التى أوردهم فيها آدم لأنه لم يزل بجوهر ناســــوته مطيعاً لجوهر لاهوته منذ لبس البشـــــر ولم يزل هوى ناســــوته منقاداً لهوى لاهـــــوته ولم يتناول شـــيئاً من الطعـــــام والشـــراب من ذلك لقدرة جوهر لاهوته المخالطة

لناسوته بتوحيـــــد القوام على كف كل كلفة وحـــاجة من جوهر ناسوته ولكنهـــا خالطت جوهر ناسوته ليتحــــقق بذلك ناســـــوته وأنه على حـــال ثابتة لم تتحول إلى جوهرها (١)

وقد تبين لاهوت المسيح من فعاله وثبت فى الأنجيل ببرهان وشهادة عدول من الحواريين المرسلين وسائر التلاميذ المختارين ومن حصر فعاله من الناس أجمعين أنه خلق من طين عينى المولود أعمى وخلق خمراً من ماء فى عرس « قاناً الجليل . وأنه كمـــا قـــال الأنجيـــل لم يكن يحتاج إلى أن يخبره أحد عن شىء ما لأنه كان يعرف ما فى الأنسان وكثيراً ما كان يخبر الناس بفكرهم وما يحدثون به أنفسهم . وكان يغفر الذنوب بأمر نافذ وقدرة بينة كما فعل ببيت سمعان الفريسى ثم صرف المرأة بسلام . وفعل مثل ذلك بكفر ناحوم حيث أقام المفلوج وغفر له خطاياه وعرف أفكار المتذمرين فكل هذا من فعال الله وحده وعلام الغيوب وغفار الذنوب وإذا ما أراد أمراً قال له كن فيكون وأنه قال للحوارين ومن آمن به من الناس أنه حيث يجتمع منكم أثنان على أسمى فى كل موضع فأنا هنالك فى وسطهم ، وهذا الأمر لا يقدر عليه مخلوق لاملاك ولا غيره لأن كل مخلوق محدود وليس يحد الله موضع فتبين بقوله هذا أنه إله لايحد وهو فى كل موضع مع كل من آمن به وأنه يبعث جميع من فى القبور يوم القيامة لأنه قال للرسل ومن حضره من الناس الحق الحق أقول لكم تأتى ساعة حين يســـمع فيها جميع من فى القبور صـــوت أبن الله فيخرج الذين عملوا الحسنات إلى قيامة الحيـــاة والذين عملوا الســـيئات إلى قيامة عذاب ، وتحقيق ذلك أنها تأتى

---

(١) قبل هذا الكلام أدخل الناسخ جملة تثبت طبيعتين ومشيئتين للسيد المسيح موهماً أنها من كلام أثناسيوس ومن يقرأها يتصور أن القديس أثناسيوس كان أحد أعضاء مجمع خلكدون الذين حضروا مناقشاته ونابوا عن بابا رومية فى الدفاع عن الطبيعتين ، على أن أثناسيوس كان قبل ذلك بمدة لذلك حذفنا تلك الجملة لتأكدنا من أنها محشورة فى كلام القديس بلا مناسبة .

ساعة وهى الآن فيها يسمع كل الذين فى القبور صوته فمن سمع عاش ولم يقل فى هذا الموضع جميع من فى القبور ولا أنهم يســمعون كلهم فيخرجون ولكن من سمع عاش ولأنه قال تأتى ساعة وقد حضرت يعنى بها الساعة التى نادى فيها لعاذر من القبر لأن كلامه هذا كان قبل أقامة لعاذر من القبر بقليل فلذلك قال وقد حضرت . ثم قال ومن سمع عاش يعنى أنه لا يسمع صوته إلا لعازر وحده لأنه لم يدع الموتى يومئذ مبهما ولكنه سمى لعازر بأسمه فالذى سمى سمع وعاش فاما القول الآخر فهو الصوت الذى يدعو به جميع من فى القبور يوم القيامة جملة لا يسمى أحد فيخرجون أجمعين إلى قيامة حياة أو عذاب على قدر أعمالهم . فقد تبين أن الباعث من فى القبور يوم القيامة وحقق ذلك فى الجملة بما نفذ من أمره فى الخاصة إذ نادى لعازر فأقامه بمشيئته وصوته وهكذا أخبر عن نفسه بأنه سيدين الناس بالترتيب الذى ذكر فى الأنجيل (متى ٢٤) مما يدل على أنه الملك ذو العرش والسلطان المحاسب والديان والمعطى كل واحد كعمله .

وإن قال قائل . لماذا لم يبين أنه يبعث من القبور يوم القيامة وأنه سيدين الناس بأفعال ظاهرة كما بين أنه علام الغيوب وغافر الخطايا بكشف أفكار الناس وغفران خطاياهم وقلنا لقد صدق ذلك بأقامته بعض الأموات حيث برهن أنه يستطيع أن يقيم الموتى . وأما أمر الدينونة فيحققه تجليه بالعظمة والجلال مع موسى وإيليا على الجبل حيث بين للتلاميذ مقدار سلطانه ومدى مجده .

فأن قال قائل فكيف لم يقل المسيح فى الأنجيل للناس أنه إله فينقطع الشك فى ذلك ؟ قلنا أن المسيح لو قال أنه إله لا دخل من آمن به فى خطأ كبير لأن من قال الله فقد سمى الجوهر الألهى والكيان الواحد وجمع فى قوله الله الأقانيم الثلاثة الآب والأبن والروح القدس ، فلو قال المسيح إنى الله فقد نسب نفسه إلى أنه الآب والأبن والروح القدس وأن الأقانيم الثلاثة له وأنه هو الوالد والمولود والمنبثق وذلك الباطل والخطأ وبالتالى يتحتم أن يدخل على الله تغيير فيصير الوالد مولوداً والمولود والداً والمنبثق مثل ذلك مولوداً وإذا لقلنا أن الجوهر كله قد تجسد فصار الآب والأبن والروح

بالكلمة فقد صدق بالعقل ومن كذب الكلمة فقد كذب العقل فإذا كان ذلك كذلك فبقى الخالق أولى أن يكون لأن الخالق أولى باللطف والقدرة مع بعد الدرك من المخلوق فمن آمن بكلمة الله الخالق فقد آمن بالعقل الخـالق الذى لا يصل إلى معـرفته دون كلمته ولا يقدر على ما فى العقل إلا بكلمته المظهر لما فيه لمن آمن به ، ومن عبد الكلمة فقد عبد العقل والروح جميعـاً ولا يرضى العقل أن يعبد دون كلمته وروحه لأنه لا فرقة بينهم منفردة منقطة لأنه إله واحـد موحد بتوحيد الجوهر بلا تخليط من خواص أقانيمه الثلاثة العقل الوالد والكلمة المولود والروح المنبثق ولا أنتقال من الوالد عن أبوته ، ولا من المولود عن بنوته ، ولا من الروح عن أنبثاقه ولا تبرؤ من أحدهـم عن الآخر ولا فرقة من توحيد جوهرهم التام بتثليث خواصه وتوحيد نوره فالآب نور والأبن نور والروح القدس نور وليسوا بثلاثة أنوار مفترقة ولكن ثلاثة أنوار أقنومية مجتمعة بنور كيان واحد لأن الأقانيم إنما تعرف بأختلاف العدد وليس بأختلاف الجنس والكيان . فى جميع أقانيمه تام فكل كيان اللاهوت تام فى أقنوم الأب وكله تام فى أقنوم الأبن وكله تام فى أقنوم الروح القدس إله واحد تام .

ولا نقول أن أقنوم الآب ولا أقنوم الروح القدس تجسدا ولا أنهما شاركا الكلمة فى الخلطة بالناسوت إلا بالأرادة والمسرة ونقول أن كل كيان اللاهوت خالط كل كيان الناسوت لأنه لم يبق شىء مما نصبه كلمة الله وخلقه فى طبيعتنا أبدياً إذ خلق آدم أولاً إلا وقد أخذه الكلمة الخالق وضمه إليه الجسد والنفس والروح العاقلة الكلمانية وذات ذلك كله لأن كل شىء من الحيوان يعدمه شىء من ذات الأنسان ليس هو بأنسان فأقنوم الكلمة بكل اللاهوت أخذ كل ما للناسوت وخالط الكل بالكل لكى ما يهب الخلاص بكل للكل لأنه مالم يؤخذ لم يبر فخالط كلمة الله البشر بتوسط من العقل بين نقاء الله ولطفه وبين غلظ البشر وثقله لأن ملك النفس والجسد كليهما العقل من أجل صفاء النفس ونقائها وملك العقل الله . فكان إذا خلا العقل من الأفضل أظهر سلطان نفسه ولكنه كان يغلب من الأقوى وينقاد إليه الأفضل فيفعل ما تريد الأرادة الألهية فصار العقل الأنسانى مأوى للاهوت المخالط له والبشر مأوى للعقل ولو كان إنما خالط بعض اللاهوت بعض الناسوت إذن لما كان المسيح على كيان الآب والروح القدس من بعد تجسد الكلمة ولا على كيان أمه مريم وسائر الناس .

القدس متجسدين جميعاً فولد الوالد بالجسد من مريم والمنبثق أيضاً وأنتقل الوالد عن الأبوة إلى البنوة وذلك تحول وتغيير وقد كفر من أدخل على الله تغييراً ولكنه قال الحق وهو أنه أبن الله المولود من الآب قبل الأدهار كلها بخاصة البنوة والجوهر الألهى بلا بشر ولا أم وهذا أيضاً المولود فى آخر الأزمان بتلك الخاصة خاصة البنوة والجوهران جميعاً جوهر اللاهوت الأزلى وجوهر الناسوت المضموم إليه بخلطة جامعة للجوهرين بتوحيد خاصة البنوة المولودة ولادتين بحق . واحدة من الآب أزلية بلا بشر وواحدة من الأم زمـــانية بالبشر ، فهو أبن واحد أبن الله وأبن مريم لذلك لم يزل يقـــول ويعلـــم ويصرخ ويكرز أنه أبن الله ويردد ذلك على الحواريين وسائر الناس فى غير موضع إذ قال " هكذا أحب الله العالم حتى بذل أبنه الوحيد لكى لا يهلك كل من : يؤمن به بل تكون له الحيوة الأبدية لأن الله لم يرسل أبنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص العالم به – فمن آمن بالأبن لم يدن ومن لم يؤمن به فقد دين – لأنه لم يؤمن بأسم أبن الله الوحيد " وأنه قال لليهود " أن حرركم الأبن فبالحقيقة تكونون أحراراً " وجل كلامه كان فى تحقيقه أنه أبن الله وأن الله أباً والداً مع كثرة ذكره الروح القدس أيضاً لئلا يخرج من أنسانية نفسه إلى أقنومه الذى هو له خاصة غير أقنوم الآب وأقنوم الروح المقدس من غير أن يدع أعلام الحواريين وسائر الناس توحيده مع الآب والروح القدس بجوهر اللاهوت الواحد الجامع لهم إذ قال " من رآنى فقد رأى الآب وأنا والآب واحد وأنا فى الآب والآب فى ومن آمن بالأبن فالآب معه " وقال أن الروح يأخذ مما لى ويعطيكم وأوضح من ذلك كله أن تلميذاً من تلاميذه يقال له فيلبس قال له أرنا الآب وكفانا فقال كل هذا الزمان أنا معكم ولم تعرفنى يافيلبس . من رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت آرنا الآب . أما تؤمن إنى فى الآب والآب فى وأنا والآب واحد وقال فى موضـع آخر أنه لا يقدر أحد أن يقبل إلى الآب إلا بى .

وصدق لأن هذا الأمر لا ينكره أحد من المخلوقين لأنه لا يقدر أحد على أن يصل إلى عقل مخلوق إلا بكلمته المخلوقة المولودة من عقله ولا يصدق عقل إلا بالكلمة الممتزجة إلى السامعين بما فى العقل وكل ما فى العقل فهو مستور حتى تظهره الكلمة ومن عرف الكلمة فقد تناول بها معرفة العقل الذى لا يعرف من دون الكلمة ومن صدق

ولكنا نقول أن خلطة المسيح من كيانين كليين لأن كل كيان هو كلى ما دونه من خاصة أقانيمه وليس يوجد كيان خاصى مفرد فخالط كلمة الله بأقنومه الخاصى أقنوم البنوة المفرز له من الآب والروح القدس كيان البشر الذى أخذ من مريم العذراء كيانا كلياً مقوما بأقنوم كلمة الله المفرز لذلك البشر من مريم وسائر الناس وفى ذلك الأقنوم الواحد كلية ما فى الآب والروح القدس من كل كيان اللاهوت وذاته وكلية ما فى مريم وسائر الناس من كل كيان الناسوت وذاته وبذلك يقوم فيه لاهوت ويقوم فيه ناسوت وعلى ذلك نؤمن به أنه أبن الله الوحيد من بعد التجسد وهو أبن الأنسان أياه لاغيره مسيح واحد ورب واحد يسوع ربنا مولود مولدين مولد من الآب من قبل كل دهر فوق كل سبب وكلمة وفكر وزمان ومولد من الأم فى آخر الأزمان من أجل خلاصنا مولد مثل مولدنا وفوق مولدنا . أما مثل مولدنا كان أنساناً ومن إمرأة وفى وقت المولد لتسعة أشهر وأما فوق مولدنا أنه ليس من زرع ولكن من الروح القدس ومن مريم العذراء المقدسة فوق ناموس المولد لسلامة عذراوية أمه بعد مولده منها . الخالق ثابت فيه اللاهوت والناسوت المخلوق ثابت مخلوق المائت مائت والذى لا يموت لا يموت المحدود محدود والذى لا يحد لا يحد الذى يرى يرى والذى لا يرى لا يرى أحدهما يتلألأ بالعجائب والآخر يحتمل المصائب لذلك تولت كلمة الله المصائب لأنها مصائب بشرها القديس وأنالت البشر من العجائب لتحقيق الخلطة بالأقنوم الواحد وأنه مسيح واحد الفاعل آيات اللاهوت مع ناسوته والمحتمل مصائب الناسوت مع لاهوته فهو الكلمة الخالق الحال بمريم العذراء من غير أن يفارق الآب والروح القدس بلاهوته وهو يسوع الذى حبلت به مريم بناسوته مع لاهوته هو الذى بعث جبرائيل رئيس الملائكة إليهما مبشراً لها بحلوله بها ومولده منها وهو الذى خلق بلاهوته ناسوته من بشرها وهو الساكن فيها محدود بناسوته غير محدود بلاهوته هو القدوس المولود من مريم الذى يسمى أبن الله بلاهوته كما قال جبرائيل وهو يسوع أبن داود بناسوته الذى يعطى كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية . وليس نقول ذلك بأنه ولد من مريم مرتين ولا بأنه ولدان ولكن لأنه مولود واحد بناسوت ولا هوت بلا

خلطة تغيير ولا فرقة تبرئه هو المولود بناسوته فى بيت لحم اليهودية وهو مطلع النجم بلاهوته في المشرق نجم نو عجب عظيم دليل على لاهوت المســـيح كان ســـياراً فى أسفل الفلك يظهر نهاراً لعظم نوره ويختفى ليلا لقدرة مطلعه للمجوس ليهديهم به إلى القدوم إليه للسجود له وحمل الهدية إليه من الذهب لأنه ملك ومن اللبان لأنه إله ومن المر لأنه ميت من العباد . وهو الذى بعث الملاك بلاهوته ليبشر الرعاة بمولده وأيا ه سبحت عساكر الملائكة على الأرض فقالوا المجد لله فى العلا لأنه لم يبرح من العلم بلاهوته ، وعلى الأرض السلام لأنه قد ظهر عليها بناسوته مع لاهوته ، وفى الناس المسرة لأن الله قد أذن بخلاصهم . وهو الملفوف بالخرق الموضوع فى مذود الدواب فى المغـارة والهـــارب إلى مصر بناسوته وهو الذى بعث المـلاك بلاهوته إلى يوسف فـــأمره بحمله وحمـــل أمه إلى مصر ثم أمره من بعد موت هيرودس الذى أراد قتله أن يرده وأمه إلى أرض إسرائيل . هو الذى عمده يوحـنا بن زكريا فى ماء الأردن عرياناً بناسـوته ، و هو الذى أنفتحت له السموات بلاهوته ونزل الروح القدس عليه بشبه الحمامة وناداه الأب من السماء هذا هو أبنى الحبيب الذى به سررت . وهذا الذى أختار من بعد المعمودية أثنى عشر تلميذاً بسابق علم لاهوته ومعرفته بما عليه خافية قلوبهم من الطهر والصحة وهو الذى كان معهم ثلاث سنين وستة أشهر فيما بين اختياره أياهم إلى أن صعد عنهم إلى السماء وواكلهم وشاربهم وجالسهم وماشاهم بناسوته . هو الذى عمل العجائب وعظيم الأيات بلاهوته فبصر العمى وأسمع الصم وأنقى البرص وأطلق المقعدين يمشون وشفى النازفـة الدم وأبرأ المجانين وأقام الموتى بلا عمل ولا علاج ولا تضرع ولا دعاء ولكن بلاهوته يقول بالكلمة لما شاء أن يكون فيكون وبذلك يعرف الله أنه إذا ما أراد أمراً إنما يقول له كن فيكون ، وهو الذى أحتمـــل المصائب بناســـوته وجاع فأكل وعطش فشرب ونعس فنـــام ومشى فتعب وعرق وبكى لأنه لا يعرف اللاهوت إلا بافعاله وهكذا الناســـوت فلو لم يقل اللاهوت ويفعل أفعاله إذا لما كان إلهاً ولو لم يقل قول الناســـوت ويفعل فعاله إذاً لما كان متأنســـــاً وفوق ذلك لم يدخل على كيانه التخليط مع خلطة الناســـية بالألهية ولا فرقة مع أختلاف هذه عن تلك بالقوة والفعال ولم يخرج من توحيد أقنومه لواحد أقنوم البنوة لا من قبل تجســـده ولا من بعد تجسده ، هو الرب أخذ طبيعة العبد

وهو اللطيف بلاهوته والغليظ بناسوته هو . الذى لا يرى ولا يحد بلاهوته وهو الظاهر المحدود بناسوته . لم يزل لاهوته فى أرتفاعه وشرفه وعزه وكبـــره وقدرته مع الخلطة بالناسوت ولم يغير ناسوته عن شيء من حالاته مع خلطته باللاهوت مع المسيح الواحد الجالس بلاهوته على العرش مع الآب والروح القدس وهو الســـاعى بناسوته على الأرض مع أمه وتلاميذه وغيرهم من الناس . هو الذى نام فى الســفينة بناسوته وهو الذى زجر البحر والأمواج بلاهوته فهربت . هو الذى تفل على الأرض بناسوته وعمل طينة ، وهو الذى صير ذلك الطين عينين وخلقهما كما خلق آدم من طين فبصر الأعمى المولود بلا عينين . هو الذى دمعت عيناه على لعـــازر الميت بناســوته وهو الذى ناداه من القبر بعد أربعة أيام وقد أنتن وأكله الدود فيها فأقامه هو الذى ســمرت يداه ورجـــلاه على خشبة الصليب بناسوته ، وهو الذى أظلم الشمس فى جميع الدنيا بلاهوته وزلزل الأرض وبعث الموتى من قـبورهم وهو على الصليب وهو الذى طعن جنبه فجرح بناسوته وهو الذى ترك نفس ناسوته حين أراد من قبل أن يطعن جسده بقدرة لاهوته على أن يدع نفس ناسوته إذا شاء ويأخذها أيضاً إذا شاء . هو الذى مات بناسوته المحتمل الموت بمفارقة نفسه المخلوقة جســده المخلوق وهو الذى قام فى اليوم الثالث بقدرة لاهوته على أقامة هيكله الأنسانى . هو الذى هبط نفســه الأنسانية فى الجحيم ووضـــع جسده الأنسانى فى قبر يوسف الجديد ، وهو الذى أخرج أنفس الصـــديقين مع نفس اللص المصلوب معه الذى آمن به وأدخلها فى كرامة الفردوس بقدرة لاهوته الذى لم يبرح ناسوته منذ خالطه ولن يفارقه الدهر أبداً الذى به قويت نفس ناسوته على أخراج الأنفس من الجحيم وأدخلها الفردوس المحروس من أولاد آدم بالكـــاروبيم وحر النار لئلا يقدر أحد على ســـلوك تلك الطريق ففتحها المســـيح بقدرة لاهوته الذى به أيضاً حفظ جسد ناسوته فى القبر بلا تغييـــر ولا نتن صحيحاً ســليماً حتى رد لاهوته نفس ناسوته إلى جســـده فقام فى اليــوم الثالث من الأموات .

مسيح واحد بلاهوته مع ناسوته فرئى ناسوته للحواريين ومشى معهم أيضاً وأكل وشرب وفحصوه حتى عرفوا آثار المسامير فى يديه ورجليه وأثر الطعنة فى جنبه وأنه حقاً ذو لحم وعظام وجسد ونفس .

وهو الذى دخل عليهم والأبواب مغلقة غير مرة ونفخ فى وجوهم كما نفخ فى وجه آدم بلاهوته فأعطاهم بنفخته روح القدس وقوة على غفران الذنوب وصعد بهم إلى طور الزيتون وأرتفع بين أيديهم وطلع إلى السماء من حيث نزل وهم ينظرون إليه حتى توارى عن أعينهم وبعث إليهم ملاكين وهم مقيمون ينظرون إلى السماء قياماً فأمرهم الملاكان بالأنصراف وأعلماهم أن يسوع هذا الذى صعد عنكم إلى السماء كذلك يأتى على حال ما رأيتموه منطلقاً فى السماء فهو يسوع بناسوته الذى عاينه الحواريون صاعدا إلى السماء وهو أبن الله الديان الصاعد بلاهوته ومصعد معه ناسوته الذى يأتى فيجلس على المنبر مع لاهوته بناسوته فيدين الناس بأعمالهم بلاهوته مع ناسوته بلا فرقة بين كيانيه أبداً ولا خروج لأقنومه من توحيده أبداً وهو الذى نزل بلاهوته من غير أن يفارق الســماء وهو الذى صعد بلاهوته وناسوته من غير أن يفارق الأرض بلاهوته .

الفصــــل السادس

فى رد أعتراضات على التجسد

إن قال قائل : وما الذى دعا الله سبحانه وتعالى إلى أن بعث كلمته الجوهرى الأزلى النور من النور الإله الحق من الإله الحق إلى العالم حتى تجسد وحبل به وولده وصار إنساناً يأكل ويشرب وينام ويمشى ويعرق ويحتمل المصائب الناسية كلها غير الخطية ثم يصلب ويجرح ويموت ثم يقوم من بعد ذلك ثم يرتفع إلى السماء وما الذى الجأ الكلمة الخالق العزيز العلوى إلى أحتمال ذلك كله من الذل والتواضع ؟ فإن قال المؤمن : فعل الله ذلك وأحتمله كلمته لخلاص الناس الطغاة من سلطان أبليس عليهم بطاعتهم له وكفرهم بخالقهم ولأرادة الله أنقاذهم من ذلك بكلمته وأدخالهم فى العبادة لله وأخراجهم من معصيته إلى طاعته ورفع طبيعة الإنسان المخلوقة على صورة الله وشبهه الساقطة من شرفها بكفرها وخطيئتها فى أسفل السافلين إلى أعلى المنازل كلها فوق أجناد الملائكة كلهم وكل شرف شريف وعلو رفيع بمخالطة كلمة الله أياها خالقها ومقومها ومدبرها ومخلصها ورافعها . قال المخالف . لقد كان الله قادراً على أن يفعل ما يشاء من ذلك كله بكلمته الخالق وأن يقول لما شاء أن يكون فيكون من غير أحتمال هـذه الأمور التى لا تشـبهه . فصار المخالف فى نفسه مسيطراً على الله يريد أن لا يعمل الله مايشاء إلا بما يراه المخالف من خطأ نفسه صواباً ومن قبيح نفسه حسناً حتى يلزم الله ما لا يلزمه من الخطأ والقبيح بما دلته عليه جهالته من أستحسان ذلك وعاذ الله أن يدخله فى شىء من أموره خطأ أو قبيح .

فنرجع فيما قد سلف من قولنا فى هذا الكتاب رغبة فى تثبيت أهل الأيمان ورجاء أن يفهم أهل الخلاف ونقول . حقاً أن الله قادر على مايشاء أن يفعله وما تسبق إرادته فعله لأنه يفعل مايشاء حين يشاء ليس بين إرادته أن يفعل مايشاء وبين فعاله حد ولا فرقة ولكن الله تام فى جميع ذاته تام فى قدرته وتام فى رحمته وتام فى عدله وتام فى حكمته ليس بتام فى قــدرته فقط وغير تام فى رحمته وعدله وحــكمته لذلك لا يفعل بقدرته ما لا يوافق رحمته وعدله وحـكمته حتى لا تكون قدرته أتم من رحمته ولا رحمته أتم من عدله ولا عدله أتم من حكمته ، فهو قادر أن يفعل كل ما يشاء وليس أن يفعــل كل ما تبلغه قدرته لأن قدرته تبلغ أن تزيل السـموات والأرض وتبيد الخــلق كله فى طـرفة عين ولكنه لا يشــاء ذلك لرحمته وعظيم رحمته أيضاً تبلغ أن تغفر لجميع الخلق كفرهم وتتجاوز عن ذنوبهم كلها ولكن لا تشاء ذلك لعدله وحتى لا يكون المسيىء والمحسن عنده سواء فلا يخشى المسيىء عقاباً ولا يرجو المحسن ثواباً فبكمال حكمته أحكم خليقته كل ما خلق وتدبير كل ما دبر ، ولو شاء أن يخلق الدنيا من قبل الوقت الذى خلقها فيه من هذه السنين المحسوبة من عهد آدم لكان على ذلك قادراً ولكنه لم يفعل ذلك على حسب قدرته دون رحمته وعدله وحكمته . ثم إذ خلق الخلائق كلها فى ستة أيام قد كان قادراً أن يخلقها جميعاً فى طرفة عين ولكنه لم يفصل بين الخلائق بتلك الأيام ولم يميزها بعضها من بعض لضعف قدرته عن أن يخلقها فى ساعة واحدة ولكنه ليجمع مع القدرة الرحمة والعدل والحكمة فخلق فى كل يوم ما ينبغى أن يخلق فيه ثم خلق الأنسان بآخره وجعله رئيساً على كل ما خلق وسيده على ذلك كله . وكان للمخالف أن يقول لقد كان ينبغى لله أن يبدأ بالأنسان الرئيس على ماسواه من الخلق المسيد عليهما فيخلقه حتى يكون بدء الخلق كله ثم يخلق له بعد ذلك حاجته . وجوابنا على هذا القول أن الذى فعله الله أعدل وأصوب وأحكم . كما قال داود النبى فى الزبور لله " كل شىء بحكمة صنعت " .

ومن تلك الحكمة أن الله جعل لكل خلق حدوده ودرجته وصنفه لرحمته بما خلق وألا يقع بينهم تخليط ولا فساد ليعرف كل شىء من الخلق موضعه وحده ووقته فيسعى فيما ينفعه ويجتنب ما يضره عدلا من الله فيما فعل ذلك بقدرة وحكمة إذ زين السماء بالمصابيح وزين المياه بما خلق فيها من أصناف الخلق الذى لا يحصى وزين الهواء بما نشر فيه من نور المصابيح وآخرى فيه من أصناف الطيور وزين الأرض بما أنبت

فيها من أصناف النبات والثمار وأخرج منها من الطيب والأجساد المعدنية فهيأ ذلك كله للأنسان من قبل أن يخلقه ثم بآخره وأدخله على جميع ما هيأ له من الخلق كما يدخل العريس على جهازه والملك على هيئة ملكه وجعل له الفردوس منزلاً خاصاً دون سائر كل خلق ذى نفس بمنزلة قصر للملك يأوى فيه هو وأمرأته ويحتجب عن سائر الخلق به ويعتـز ، فكان آدم فى خليقته على درجـة واسطة فيما بين الخلق العلوى والسـفلى (١) .

وكان مابيناه من سقوط آدم فكان عدل الله يتطلب عقابه ورحمته تتطلب الرفق به والله لا يعمل عملا إلا إذا ناسب كافة صفاته .

فأراد أن يعمل عملاً تتجلى فيه حكمته ورحمته وعدله وقدرته فبصر على الناس ودبرهم على الشريعة قديماً ولم يزل يدبر خلقه كذلك منذ خلقهم إلى أن ختم ذلك التدبير كله بأعظم التدبير وأحكمه وأشده بياناً لتمام رحمته وقدرته وعدله بتمام حكمته أن بعث كلمته إلى الناس من غير أن يفارقه فأحتجب بخلق ثقلى من غير أن يخرج من لطفه والتحم ببشر أنسانى من غير أن يناله تغيير ولا دنس فخلص ذرية آدم من الكفر ومن سلطان أبليس عليهم بأنقيادهم له وطاعتهم أياه فى عبادته وأوثانه من دون خالقهم وهداهم إلى الأيمان به وبكلمته وبروحه إلهاً واحداً موحدا بالتثليث مثلثاً بالتوحيد وبصرهم مجاهدة أبليس عدوهم الساعى من البدء فى هلاكهم الشامت بهم المسرور ببعدهم من خالقهم لكفرهم به وخلافهم طاعته ودلهم على الوجه الذى يصرعونه به ويهدمون به سلطانه وقدرته عليهم . وهو الآمر المخالف لرأى أبليس وهواه من التواضـــع الهادم لعظمته ونخوته التى لم يزل عليهمـا ، وبها خر من الســماء ومن شرف درجــته التى كان عليها إلى أن أفتخـر على ربه ونافق ، فألقـاه الله فى السفل الدنىء وأقصـاه من الـنور إلى الظلمة فطغى وأطغى جنده معه ثم حسـد آدم على موضعه من الفردوس فأطغاه بمثل ما طغى به وأطغى أصحابه من بـاب العجب

---

(١) هنا يعيد قصة سقوط آدم كما جاءت بالفصل الثانى من القسم الثانى فلم تستحسن التكرار فحذفناها .

المخالف لله المكروه لديه الذى لا يقبل الله من عبد من عبيده معه إيماناً ولا صلاحاً لأنه يحب التواضع ويبغض العجب ويرفع كل متواضع ويضع كل مفتخر . فالتواضع يهدم كل سيئة والفخر يهدم كل حسنة لذلك تواضع كلمة الله ليعلم أولاد آدم أحكام التواضع فيصرعون به عدوهم ويهدمون به سيئاتهم ويبلغون به مسرة خالقهم فجمع كلمة الله الخالق وهو الأبن بما دبر من ذلك بمسرة العقل الخالق وهو الآب ومؤازرة الروح الخالق وهو الروح القدس من مخالطته البشر وأحتجابه بكيان آدم وألتحامه بجوهر أنسانى من غير تغيير ولا أحتيال من أحد الجـــوهرين عن حاله ، لا من الألهى ولا من الإنســـانى .

ثم الرحمة وأعظمها تفوق كل رحمـة ظهرت على قدر كثرة تواضعها ورضاها بمخالطة البشر ورحمة لمن أرادت خلاصه من أولاد آدم وأحتمالها ذلك بالكيان الأنســانى ذاته إلى أن بلغ ذلك الجـراح والصلب والمـوت فــلا رحمة أعظم من هــذه ولا أرفـــع ولا أعجب من رحمتة خـــالق لمخلوق حتى بلـــغ من التعجب بما جاء منها أمتنــاع كثير من الناس أن يصدقوا بذلك ولا يؤمنون . وأتم القدرة أن الكلمة قدر على الأمتناع من جميع مالزم حجابها من الجوهر الأنسانى الثقلى المحتمل للمصائب والموت ولا يصل إلى جوهرها الألهى شيء من ذلك مع التحامه بالجوهر الأنسانى وأنه ألتحم من بشر مريم العذراء بكيان بشرى تام ولم ينقص من بشر مريم شيء وحبل به بذلك البشــر . ولم يفارق الآب ولا الروح وسكن الرحم ولم يخل منه موضع من الســـموات ولا من الأرض وولد بالبشر الثقلى من مريم ولم تنفك عذرتها ووضع فى مذود فى مغارة فى بيت لحم وســبحت له أجناد الملائكة فى السماء والأرض وكان على الأرض ولم تخل منه السماء ومشى فى الســـفل ولم يخل منه العلو وأحتمل الجوع والعطش والنوم والأزحاف والعرق والجراح والموت بكيان ناموسه ولم ينل جوهر لاهوته من ذلك شيء وعلق بالناسوت على خشبة الصليب وزلزل الأرض من أساســـها ووضع بالبشــرة فى القبر وفتح أبواب الجحــيم وخلص الأنفس وردها إلى الفردوس فى ذلك اليوم .

فلا قدرة أعظم من هذه ولا أجل ولا أعجب لأنه لا يعجب من عزيز يحارب من الذل يسلم من الذل ولا من فارس متبرىء من القتل ولا من نقى خارج من الدنس يسلم من الوسخ ولكن العجب من عزيز يخالط الذل فلا يناله ذل ومن فارس يباشر القتال فيسلم من القتل ومن نقي يخالط الدنس فلا يصل إليه وسخ بمنزلة الشمس تشرق على الدنيا فتخالط الرطوبات كلها والنجاسات وكل قذر وفساد فتغيب ولم يلزمها من ذلك شيء منذ أدهار كثيرة من حين خلقت تفعل ذلك فى كل يوم فلا يلحقها مما تخالطه من الفساد شيء ولا يتغير نورها من صفائه وبهائه فلا عجب من قدرة الخالق على مخالطة ما أحب من خلقه من غير أن يناله شيء من الغلظ ولا الدنس ولا الضيق من بعد قدرة الشمس وهى خلق من خلقه على أن تفعل مثل ذلك والملائكة تخالط الأثقال كلها وتنفذها بلطف جوهرها ولا يلحقها منها غلط ولا دنس . وإذا كانت الخلائق تقدر على مثل ذلك فالخالق عليه أقدر كثيراً وأحق به ولذلك تكلم المسيح كلمة الله بلاهوته ليظهر لاهوته وفعل كذلك بناسوته ليحق بكلام اللاهوت وفعاله عظيم قدرته وأنه وهو العزيز لم يذله التواضع ، وهو العلى لم يضعه التنازل ، وهو اللطيف النقى لم يغير جسده لطفه ولم يتحول عن نوره لمساكنته البشر .

الفصل السابع

لماذا خلص الله آدم ولم يخلص الشيطان

تمام العدل إن كلمة الله الخالق خلص بنى آدم من عبودية أعدائهم الشياطين بالعدل والحجج البينة وذلك أن جميعهم خلقته وعبيده لأن الشياطين خلقوا روحانيين من نار لطيفة ليف معها ثقل ولا بشر يحتاج إلى طعام ولا شراب ولا كسوة ولا نوم ولا تصل إليهم مصائب البشر من الأزحاف والأمراض والموت وخلق آدم من طين وأثقال وروح وخلقت زوجته من بشرة وذريتهما من دم وبشر فهم أقوياء لما فيهم من الروح ضعفاء لما فيهم من الجسد الثقلى وأن الشياطين خلقوا ملائكة ثم صاروا من بعد طغيانهم شياطين وكان طغيانهم من قبل أبليس رئيسهم لأنه أفتخر على خالقه ونافق من قبل أنفسهم لأنهم تبعوا أبليس فى رأيه ولزموا الفخر معـــه والنفاق فالقاهم الله جميعاً من الشرف والمجـد والنور وأقاموا على معصـــيتهم لا ينزعون عن خطاياهم أو حسدوا آدم وأولاده على الخير وصاروالهم أعداء ليس لهم همة إلا أطغائهم وتزيين الشر لهم ليوردوهم فى مثل ما أردوا أنفســـهم فيه من البعد عن الله والهلاك . وخلق آدم وأمرأته صـــالحين لا يعرفان الخطأ فدخل لهما أبليس فى المكر بهما وحسدهما على منزلتهما من خالقهما فأحتجب بالحية وكلم المرأة منها وزين لها أكل الثمرة التى نهاهما الله عن أكلها وأدخلهـــا فى باب الفخـــر فى أطماعه أياهما أن يكونا شبه آلهه إذا أكلا من تلك الشجرة فخدعهما وأوردهما فى المعصـــية حتى أدخل عليهما بها البعـــد من الله والموت ، ثم عرف آدم وزوجته بعد المعصية فضل ما بين الطاعة

وما كانا فيه من الكرامة معها ، وما بين المعصية وما صـــارا إليه من الشقاء إذ خرجـــا إليها فتابا إلى خالقهمـــا وأطالا لتضرع إليه والبكاء طلباً لرضائه فقبل الله منهمـــا ومات آدم صـــديقاً ثم كان أحد ولديهما هـــابيل المقتـــول صديقاً ثم كان شيت ولدهما الثالث صديقاً ثم ولده من أنوش صديقاً ، ثم أخنوخ من بعد ذلك أرضى الله فنقله إلى الفردوس ، ثم نوح شهد الله أنه صديق ثم أبراهيم أتخذه الله لصـــلاحه خليلا ، ثم من لزم سيرته وأيمانه من الآباء والأنبياء إلى أن ظهر كلمة الله فى البشر فكان من عدل الله أن لا يكون أبليس وجنده وآدم وذريته عنده بمنزلة واحدة ، لأن أولئك فى كيان خليقتهم أقوياء ليس فيهم ضعف الأثقال ولا يحتاجون إلى شيء مما يحتاج إليه البشر ولأنهم أبتدأوا بالمعصية من قبل أنفسهـــم والنفاق لم يدعهم إلى ذلك غيرهم ولم يدخل لهم بمكر ولا خديعة لأنهم أقاموا على المعصية والنفاق لا ينزعون عن خطاياهم ولا يطلبون التوبة إلى الله من ذلك ثم لم يقتصروا على ذلك حتى نصبوا لآدم ولمن بعده من ذريته عدواة وأدخلوهم فى كل باب كفر وخطيئـــة حتى أستولوا عليهـــم بطـــاعة أولاد آدم لهم وأتبـــاعهم أياهم إلى أن عبـــدوهم وأوثانهم من دون الله وتســـلطوا عليهـــم بذلك وملكـــوهم وأفتخروا فقـــالوا أن لا خـــلاص للآدميين من أيدينا .

فـــلذلك رأى الله بعـــدله أن الآدميين أولى بالرحـــمة لضعف كيان خليقتهم البشـــرى وكثرة ما يلزمه من الحـــاجة وما يدخل عليه من المصـــائب والموت ولأن آدم لم يبدأ بالمعصية من قبل نفسه ولكن غيره مكربه وخدعه وأطمعه وأورده فيه ، ولأنه لم يمت حتى تاب عن خطاياه وأرضى ربه وتبعته طائفة من ذريته فى التوبة فأرضوا ربهم من قبل موتهم ولكنه بقى جمهـــور الناس فى كفر وضـــلال مبين وركوب السيئات الفاحشة والأعمال المنتنة وكان من يموت من التائبين أيضاً يرجون القيامة من بعد الموت ، ويوقـــنـــون بالبعث فكانت لذلك أنفســـــهم فى الجحيـــم مقيمة إلى أن تدركهم رحمة الله بعدله عند حلول كلمته الخالق فى البشر الذى ألتحم به من مريم . فخـــــالطه ليخلص ذرية آدم من أبليس وجنـــوده وليجمع مع رحـــمته الناس عـدلاً على الشـــياطين فلا ينزل هؤلاء من أولئك قســـراً ولا يخرجهم من عبـــادتهم ومملكتهم لهـــم قهراً لئلا تبقى الحجة لهم بأنهم قهـــروا من رب قادر على عبيد مثلهم تبعـــوهم طوعاً ويقلون غلبنـــا عبيد مثلنا وغلبنا ربنا فلا عجب . لذلك دبر كلمة الله خلطته بالناســـوت بأتم العـــدل مع تمام الرحمـــة والقـــدرة فمكر بأبليس

كما مكر بآدم وكان خير الماكرين (١) وأحتجب ببشر آدمى كما أحتجب أبليس لآدم ببشرالحية وخدعه بمولده بالبشر من مريم العذراء كما خدع بكلامه حواء وهى عذراء وصرعه وأصحابه بعود الصليب كما صرع آدم وأمرأته بعود الفردوس وحمل خطيئة كانت لازمة لآدم وذريته من الموت فما دونه بالعدل لإحتماله ذلك عنهم ببشره الناسى الذى لم يستوجب شىء من ذلك لطهره .

ففك عن آدم وأولاده اللعنة بأحتماله لعنة الصلب طوعاً من غير أستحقاقه الصلب وأنما كان يصلب من الناس كل لص ملعون ، وفك عن حواء وبناتها شقاء الحبل بالأولاد والحزن عند ولادتهن برضاها أن تحبل بها أمرأة بلا وحم ولا مؤونة وتلدها بلا طلق ولا دم ولا دنس ولا تغيير من القدرة وفك من جميعهن خلقه الموت وفداهن منه بأحتماله الموت بالناسوت عنهن طوعاً وأقامته ناسوته فى اليوم الثالث بحياة مؤبدة مزيلة للموت المزيل للحياة الأولى . لذلك عاش المسيح حياتين ومات فيما بينهما ليحقق بموته زوال حياة الدنيا ويحقق بقيامته زوال الموت بالحياة الأخيرة وأنه خلص كيان آدم الذى التحم به من مريم من الموت بمخالطة كيان لاهوته أياه بتوحيد أقنومه الواحد أقنوم البنوة الجامع للكيانين وفك كلمة الله أيضاً خلقه الأنفس التى كانت فى الجحيم عنها فأخرجها من الشقاء والظلم ونقلها إلى الفردوس وحقق بقيامة كيانه الناسى من بعد الموت إلى حياة مؤبدة مزيلة للموت لا موت بعدها لجميع أولاد آدم القيامة الجامعة الكلية حتى عرف المؤمنون أنه مثلما دخل الموت على جميع الناس من خطيئة آدم الواحد ، كذلك دخلت الحياة على كليتهم من جهة المسيح الواحد ، ولكن لاسواء لأن الموت لحق العامة من الواحد رويدا لأنه لا يموت الناس كلهم فى ساعة وفى يوم ولا فى سنة واحـدة ، وأن الحياة تلحق العامة بالواحـد بغته فى طرفة عين من أجل أن الموت

---

(١) هذه الجملة المقتبسة من القرآن تدل على تصرف النساخ وتبرهن على إنهم دسوا بين كلام القديس مالم يقله .

هدم وفســـــاد وكسب المعصية والقيامة بالحياة من بعد الموت بنيان وعمران وكسب الطاعة . فالله فى الهدم والفساد بطىء لأن ذلك مخالف لصلاحه وهو فى البنيان والعمران سريع لأن ذلك موافق لصــلاحه ، وكذلك يقـــوم كل بنى آدم الذين ماتوا فى طول الدهر فى ســاعة واحدة فيحيون أجمعين حياة مخـلده تزيل. الموت زوالاً دائماً فلا له أثر ولا ذكر .

ولولا أن المسيح أحتمل الموت فميز به مابين الحياتين وفصل به الزائلة من الدائمة ما روجئت القيامة ولا الحياة الدائمة من بعد الموت ولكان المسيح وإن طالت حياته عند الناس كبعض من طال عمره من الأبرار مثل أخنوخ وإيليا يتوقع له الموت مثلهما وقد كان فى الناس من قد قام من الموتى قبل المسيح ممن أقامهم هو والأنبياء من قبل ذلك ، ولكن لم تكن قيامة اولئك إلى حياة دائمة لأنهم عادوا من بعد قيامتهم إلى الموت فكانت قيامتهم عادية زمنياً ثم صاروا وقدرته وعدله وحكمته خلص كيان آدم وذريته من ملك الموت وعبودية أبليس وجنده وأحياه حياة مؤبدة ورفعه إلى أعلى المراتب معه بلا فرقة بينهما وبينه من بعد الخلطه أبدأواشمته بالشامت به وسرت بذلك أجناد الملائكة الذين كانوا محزنين على سقوطه وهلاكه وقهر العبيد المنافقين له واستكمانهم منه وتسلطهم عليه فجمع كلمة الله الخالق بهذا التدبير الذى قبله أهل الأيمان وأنكره أهل الخلاف تمام الحكمة بتمام الرحمة والمقدرة والعدل .

فخلص آدم وذريته ورد كيانه إلى منزلة أرفع من التى كان عليهامن قبل المعصية وسرت الملائكة المقربون المسبحون بأمور كثيرة من ذلك الذى أظهر لهم بكيان الناسوت ما كان يستتر عنهم ولا يطمعون فى رؤيته من كيان اللاهوت الذى لم يزالوا على عبادته وتسبيحه مقيمين . ثم تم لهم عدد أجنادهم العشرة على ماكانوا عليه من قبل سقوط أبليس وجنوده بتمام من خلص من ذرية آدم وأيقنوا أنه يتم منهم تمام عدد الجند الساقط ويكمل بأهل الخلاص من ذرية آدم وفرحوا بخلاص العبيد الضـعفاء المخدوعين من ايدى العبيد الظلمة المنافقين برحمة من ربهم لهم وقدرة على خلاصهم وعدل بين على من أنقذهم من أيديهم بحكمة وغير أستطالة منه على المنافقين

ولاإنتصار لهم ولا قهر فيما دبر من خلاص من أفاق من الأدميين وعرف الهدى فآمن . ولوأن الله أراد أن يقهر جميع خلقه ما قدروا على أن يمتنعوا منه ولكن لم يكن الله بعدله ليوجب له المحسن حسن ثواب إذا كان أحسانه ولا قهراً يوجب على مسيء عقاباً إذا كانت أساعته قهراً ، فلذلك لم يلزم الله أحداً من خلقه طاعة ولا معصية كرهاً . ولقد عرف الله أن أبليس سيعصو فلو شاء لقدر على منعه من المعصية ولكن يدعه عدله أن يفعل ذلك به وعرف أيضاً أن آدم سيعصو فلو أراد ما خلقه ولكنه كما عرف معصيته كذلك عرف توبته وعرف كل ما يكون من ذريته ، وما هو كائن من تدبيره أياهم ، وما يصير إليه أمرهم ، وما تؤول إليه عاقبتهم إلى يوم البعث فأغتفر الله لمعرفته بذلك كله من يأتى من الشر لما يأتى من أهل الخير ، وصبر على الكفرة لمكان المؤمنين وعلى المسيئين لمكان المحسنين ، ولم يأسف لمن أبقى مع أبليس وجنوده فى جهنم لسروره بمن تخلص مع أجناده الملائكة القديسين من الناس الصالحين .

وقد ضرب المسيح فى الأنجيل لذلك مثل الزوان كما فى أنجيل متى فبين بهذا المثل تركه فى هذه الدنيا الكفرة مع المؤمنين والمسيئين مع المحسنين يحيون ويربون جميعاً . لم يسلط الملائكة على قتل أحد الخطاة لأنهم لا يعرفون ما تؤول إليهم عاقبة الأنسان فيعجلون بالموت على المسيء من قبل توبته ، وعلى الكافر من قبل أيمانه فأغتفر الله هلاك من هلك طائعاً بسروره بخلاص من تخلص طائعاً وصبر على الصنف السوء من أولاد آدم لما يجتمع له فى ملكه من بنى النور والصنف الصالح يوم القيامة ، فلذلك بعث الله كلمته الخالق الأبن الوحيد ليخلص الناس بأتم الرحمة لأنه تحنن عليهم على بعدهم منه وطلبهم قبل أن يطلبوه وعطف عليهم قبل أن ينصرفوا إليه وبأتم القدرة لأنه بلغ من ذلك كل ما أراد وأخذ الكيان الناسى تاماً بكل ذاته غير الخطية ولم يخرج من شيء من ذات كيانه الإلهى فتأنس وأله الناسوت من غير تغيير وبأتم العدل لأنه أنقذ ذرية آدم بأتم الحكمة من سلطان أبليس من غير تعدى ولا أقتصار له ولكن بعدل بين ومكافأة حقة بمثل ما فعل وقصاص له بالجراح التى جرح آدم وذريته من بعده إلى أن أتاهم نص الله بكلمته المخلص المنتقم فبصرهم مصارعته والأحتيال لصرعه .

وقياس ذلك بمنزلة رجل ملك كان له عبيد شتى منهم العاصى المنافق ومنهم المقيم على طاعته وأن الذين عصوا منهم ونافقوا أفسدوا الذين كانوا فى الطاعة وخدعوهم حتى أنقادوا لهم وطغوا معهم وصاروا لا يقدرن على التخلص من أيدى المنـــافقين لقهرهم لهم وتعبدهم أياهم عند أستمكـــانهم بخلعهم طاعة ملكهم وما لحقه من غضبه عليهم ورفضه أياهم ، ثم أن الملك رحم عبيده المخدوعين الذين أغتروا فخرجوا من طاعة سيدهم ورفضوا ولم يصيبوا عند المنافقين الذين لعبوا بهم ربحاً ولا عطفاً من التعبد لهم وأرادوا أنقاذهم مما وردوا فيه فلم يباشر مع المنافقين القتال وهو على حال ملكه لئلا يتعدى العدل عليهم لمعرفته بأنهم لا يقاومونه أن أتاهم بملكه بل يهربون ولا يلبثون أمامه ولا يعجب من قهر ملك عزيز لعبيد فسقطوا وطغوا ولا يكون لأنقاذه العبيد الآخرين من أيديهم بهاء ، فرأى الملك بحكمته أن يستتر عن جميع العبيد بهيئة العبيد الذين يريد خلاصهم حتى يطمع فيه المنافقون ويظنوه كأحد العبيد الذين أستذلوا ولا يهربون من قتاله ففعل ذلك ولقى المنافقين مستتراً بهيئة العبيد المقهورين فقاتل رأسهم وذا القوة منهم فصرعه بوجه من القتال محكم أزاء العبيد المستذلين ويصرهم الأحتيال به ولزوم أثره فيه ، فقهر المنافقون وهزموا وتعلم العبيد الآخرون مصارعتهم وقتالهم وأجتروا عليهم بما لزموا أثر الملك فى ذلك حتى أعتادوا قتالهم وهان عليهم صرعهم فتمت الملك همته فى إنقاذ من انقذ من عبيده برحمة لهم وبقدرة فيما نفذت فيه حيلته من هزيمة المنافقين وبعدل عليهم فى غير قهر لهم وبحكمه فيما علم الأذلاء من مقاتلة الأقوياء وصرعهم .

كذلك فعل المسيح إذ تهيأ بهيئة الأنسان لئلا تهرب الشياطين منه وقاتل أبليس رأس الشياطين بشبه الأنسان فصرعه وهزم الشياطين ولذلك صام من بعد المعمودية أربعين يوماً وأربعين ليلة لم يأكل ولم يشرب لا لأنه كان محتاجاً مع طهره إلى ذلك الصوم ولكنه عرف بسابق علم لاهوته أن أبليس لما قد رأى السموات مفتوحة إذ عمد فى نهر الأردن وروح القدس ينزل عليه بشبه حمامة وسمع صوت الله الآب من السماء

يقول له هذا أبنى الحبيب الذى به سررت . أغتم وفزع وجبن عن قتاله وهم بالهرب منه فشاء لناسوته الصوم " ليحقق بذلك أنه أنسان " حتى يجربه على لقائه وليتعلم العباد التسلح بالصوم عند لقائهم أبليس وأصحابه مثلما فعل هو ومن أجل ذلك أتاه أبليس يبلو ما عنده وهل هو أبن الله حقاً كما سماه الصوت من السماء أم لا ، فسأله ثلاثة مسائل ليعرف حاله بما يرد عليه فيها ولم يخرج فى المسائل الثلاثة من ذكر أبن الله الذى أفزعه إذ قال له أن كنت أبن الله فقل لهذه الحجاره أن تكون خبزاً وأيضاً إن كنت أبن الله فالق نفسك من فوق إلى أسفل فأجابه المسيح بصبر وتأن لئلا ينفره بجواب لم يجعل له فيه مخرجاً مما طلب ولا قول يبين له شيء مما أراد معرفته به ، فقال له حين ذكر الخبز أنه ليس بالخبز فقط يعيش الأنسان ، وقال له حين ذكر طرحه نفسه من فوق إلى أسفل أنه مكتوب فى الكتاب لا تجرب ربك والهك ولم يفسر له شيئاً وتركه في غمه ، ثم سأله ثالثه مسألة ثقيلة رجاء أن يغضبه فيخرج مما في نفسه فأراه مجد العالم وزعم له أنه قد أعطاه كله ووعده أن هو خر ساجداً له أن يعطيه ذلك كله فتحنن المسيح وصبر على ذلك كله أيضاً فقال له أنه مكتوب فى الكتب لربك وإلهك تسجد وأياه وحده تعبد . فأنطلق أبليس بغمه في ما سمع من ذكر أبن الله ولم يصب لما طلب من معرفة تحقيق ذلك عند المسيح ثباتاً ، وأتى للمسيح ملائكة يخدمونه ولذلك أيضاً كانت الشياطين الذين فى المجانين كثيراً ما يصرخون إليه إذا أمرهم بالخروج من أولئك المجانين فيقلون مالنا ولك ياأبن الله العلى قد عرفنا من أنت . فيزجرهم ويمنعهم من ذكر ذلك لمعرفته بأنهم ليس يقولون ذلك بأيمان به ولكن ليقعوا على معرفة ما طلب أبليس رئيسهم من تحقيق أن المسيح أبن الله فلا يمكنهم من ذلك حتى يفرغ من صرعه أبليس وهزمهم معه .

الفصل الثامن

فى أن السيد المسيح أمر تلاميذه بالأقتداء به وساعدهم على ذلك

فعل المسيح ذلك ليعلم بنى آدم قتالهم وليجربهم عليهم ويبصرهم صراعهم بالتواضع والصبر كما فعل بهم هو حتى هزمهم وبلغ فى ذلك أيضاً حد تمام التعليم لأن المعلم التام لا يعلم ما لا يفعل ولكنه يفعل ما يريد أن يعلم قبلاً ثم يأمر الذين يريد تعليمهم أن يفعلوا مثلما فعل وكذلك المسيح فعل فى كل ما أراد أن يعلمنا من وجوه الخير والتواضع والصبر أنه أبتدأ به ففعله قبلاً ثم أمرنا أن نفعل مثلما فعل إذ غسل أرجل تلاميذه ومسحها بتواضع مدهش وقال لهم : فإن كنت أنا الرب والمعلم قد غسلت أرجلكم فينبغى لكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض فإنى إنما فعلت بكم ذلك إن كنتم تعلمون لأعطيكم مثالاً بذلك أن تفعلوا مثله ببعضكم بعضاً ، فقد تبين تمام المسيح فى كل أمر ولتمام تعليمه بأنه أحتمل الموت عنا قبلا بناسوته ثم بعد ذلك أمرنا بأحتماله عنه وكذلك أجترى الذين آمنوا به على الموت من بعده وبذلوا الأنفس والدماء دونه وزهدوا فى الدنيا وكل ما فيها من البهاء والفخر والمال والملك ورفضوا ذلك كله ولحقوا بالأودية والجبال والبرارى ودخلوا الصوامع وكثر الشهداء الذين أسلموا أنفسهم للقتل على الأيمان به فى كل جيل وزمان أتباعاً لأثره وأرتفع عددهم على أن لا يحصى لأنهم مثل نجوم السماء وأمتلأت الدنيا من قبورهم وعظامهم وآثارهم وبركتهم التى تشفى المجانين وتبرىء الأمراض المبرحة من الأجساد وأسقام الأنفس فى كل موضع لهم وتجتمع إلى مواضعهم وآثارهم والمجامع الكثيرة فيسبحون الله فيها وكلمته المخلص وروحه القدس وينالهم من القديسين الشهداء البركة والشفاء

فهذه آثار تدبير المسيح كلمة الله وأبنه الوحيد مع آثار عظيمة أخـــرى لأن أهل الدنيا أجمعين من الأمم كلها كانوا عباد أوثان وهى عبادة الشياطين وكانت أمة بنى إسرائيل التى أختارها الله من بين الأمم لما كان أبراهيم خليله عنـــده ومن أرضى الله من أولاده فأنزل الله عليهـــم الكتب وبث فيهم من الأنبياء وأكثر الآيات المعجبة فيهم وأراهم من قدرته وعزه بلا تواضع ولا تنازل ولكن بجلال وعظمة أموراً رفيعة ودبرهم بذلك فيما بين موسى والمسيح أكثر من ألف وســـتمائه سنة فلم يزالوا مع ذلك كله يســـخطون الله فى كل حين وزمان ويخرجون من الأيمان به إلى عبـــادة أصنام الأمم ويخلعون طاعته وينتقضـــون عهده فعذبهم الله بأصـناف العقوبات ليمنعهم بذلك من مثل ما يفعلون ثم يرحمهم ويعطف عليهم لما كان فيهم من الصالحين فلا يلبثون أن يعودوا إلى شر مما فعلوا حتى أتاهم المسيح وهم على أسوأ حالاتهم فعاينوه ولم يؤمنوا ورأوا أياته العظيمة فلم يقبلوها وأقاموا على كفـــرهم به والتحامل عليه وطلبوا قتله وإبطـــال أمره فأتى المسيح الدنيا وقد أطبقت المعصـــية على جميع أهلها وعمهم الكفر والخـــطايا الكثيرة وعظم الجـــرح فلم يقدر الأنبياء على علاجه ويئسوا من نجاة الناس .

فعند ذلك قدم رئيس الأطباء الأكبر فعالج جراح أولاد آدم وأبرأها ولم يغلب عظمها وخبثها أحكام طبه ولم يقتصر على أبرائها حتى أورث من آمن به علم الأدويه والمراهم يتعالجون بها أن جرحوا بعده ليبرأوا وعلمهم ، أياها على يدى تلاميذه الحواريين وجعلها عندهم عقيدة لكل ما يحتاجون إليه من علاج أنفسهم وكان تدبيره أمر رسله الحواريين أيضاً برحمه وقدرة وعدل وحكمة لأنه أختار تلاميذاً له من بنى إســـرائيل قوماً أميين لا يعرفون الكتابة صيادين ضـــعفاء فقراء لا مال لهم ولا قوة ولا سلطان فأرسلهم فى جميع الأمم إلى سائر الناس كافة وعراهم من كل أمر دنيوى يتقوى به أحد وأمرهم إلا يقتنوا ذهباً ولا ورقاً ولا نحاساً ، يعنى بذلك الدنيا والدرهم والفلس ولا يتخذوا ثوبين ولا حذاء ولا عصا ولا يحملوا إليهم جهازاً ولا سفرة ولا عصا فى الطريق فلم يدع لهم أمراً يتقوون به مما يتقوى به أهل الأرض ووهب لهم عوض ذلك ما هو أقوى منه وأرفع وأكرم وأبلغ فيما يريدون وأعظم خطراً فأعطاهم قوة يطئون بها الحيات والعقارب وجميع قوة العدو ويبرئون المرضى وينقون البرص ويشفون المجانين ويقيمون الموتى فهذا ما أعطاهم من قبل قيامته .

ثم زادهم من بعد القيامة إنه نفخ فى وجههم فأعطاهم الروح القدس وقال لهم من تركتم له خطاياه تركت ومن حبستموها عليه حبست وما ربطتم على الأرض كان مربوطاً فى السماء وما حللتموه على الأرض كان محلولاً فى السماء ثم أمرهم من قبل صعوده إلى السماء أن يقيموا فى أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعالى وأخبرهم من قبل ذلك أنه لن يدعهم يتامى إذا فارقهم وأنه باعث إليهم البارقليط الروح القدس وبين لهم أن البار قليط روح لا يقدر العالم على أخذه لأنه لا يراه ولا يعرفه ويعنى بالعالم بنى الدنيا الذين لايؤمنون وإن الحواريين هم يرونه لأنه يسكن إليهم وفيهم يكون فأفصح أنه روح وليس بأنسان ولا متجسد (وترجمة البارقليط المعزى) وأعلمهم أنه إذا أتاهم علمهم كل شىء وذكرهم كل شىء قاله لهم وأنه يمجده لأنه من ذاته يأخذ فيخبرهم ثم قال كل شىء للآب فهو لى لذلك قلت أن الروح من ذاتى يأخذ ويخبرهم ، فبين بهذا القول توحيد ذات الآب والأبن والروح القدس أنه ذات واحد لأن أمرهم واحد ، فلما صعد إلى السماء من طور الزيتون شرقى بيت المقدس أنصرف الحواريين من ذلك الطور إلى صهيون فأقاموا على ما أمرهم به فى الغرفة التى كانوا أكلوا الفصح فيها مع المسيح حيث أطعمهم القربان بالخبز وأخبرهم أنه جسده وسقاهم كأس مزاج الخمر والماء وأخبرهم أنه دمه حتى إذا كان تمام خمسين يوماً من قيامة المسيح بعد عشرة أيام من طلوعه إلى السماء وهو يوم الأحد نزل عليهم الروح القدس كما وعدهم المسيح وهم مجتمعون فى تلك الغرفة يشبه صوت ريح شديد عاصف مقبل من السماء ورؤيت لهم ألسنة منقسمة فقعد على كل واحد منهم لسان من تلك النار وأمتلأوا من الروح القدس وأبتدأوا يتكلمون بألسنة غريبة مثل ما أعطاهم الروح أن ينطقوا فتكلموا بكل لسان يحتاجون إليه وأعجب من ذلك أن جميع من كان فى أورشليم من اليهود القادمين من جميع الأمم لعيد عنصرتهم وهى لتمام خمسين يوما من فصحهم الذى يتكلمون فيه بألسنة الأمم التى يسكنون بلادها لما سمعوا ذلك الصوت من السماء أجتمعوا وأنصتوا إلى الحواريين ، فكلمهم الحواريون بتعظيم الله بجميع تلك الألسنة على وجه معجب لا تبلغه معرفة بشرية .

وكان بطرس ينطق بلسان واحد وأن جميع من حضره من جميع الأمم كان يسمع مقالته بلسان الأمة التى تعرفه فاشتد لذلك عجبهم وبهتوا وآمن كثير منهم وبلغ عدد من آمن فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل ثم أنتشر الأيمان من ذلك اليوم . وبعده أفترق الحواريون بوحى الروح القدس فى جميع الأرض وأقتسموا الأمم على ما علم كل رجل منهم من كلام ألسنة الأمم التى علمه أياه الروح القدس وأفرزه له ووجه دعوتهم إلى الأيمان وهدى من أهتدى منهم فأنطلقوا ضعفاء بأمور الدنيا أقوياء بالأمور السمائية فبين بذلك فيما دبر المسيح من أمورهم أتم الرحمة لمن بعثهم إليهم من الناس لأنه لم يبعث إليهم قوماً متجبرين بسلطان ولا متطاولين بغنى ولا مفتخرين بعلم وحكمة دنيا ولكن بعث إليهم قوماً متواضعين أبراراً أهل لين ورقة ورأفه وصبر ، وأتم بقدرته بما أعطى المرسلين من القوة على وطء الحيات والعقارب وجميع قوة العدو أبليس وشياطينه ومن أبراء المرضى ونقاء البرص وشفاء المجانين وأقامة الموتى وغفران الخطايا لمن أستوجب ذلك الأيمان وحسبها على من أستحق ذلك بالكفر ونفاذ ذلك كله على أسمه بمسرة الآب ومؤازرة الروح القدس حتى قتلوا بكلمتهم وأحيوا بها وأبرأوا كل مرض وجنون وحملتهم السحاب وأتم العدل أنه أمرهم أن يدعوا الناس أجمعين إلى الهدى فمن آمن منهم قبلوه وعمدوه وعلموه كل ما أوصاهم به ، ومن عصا منهم وخافهم تركوه ولم يكلفوه بالأيمان كرهاً ولم يعرضوا له بشىء بل يردون على أولئك الغبار الذى يتعلق بأرجلهم من تراب أرضهم ولم يرد أن يؤمن به أو يعبده أحد كرهاً ولو أراد ذلك ما أحتاج إلى شىء من التدبير حديثاً ولا قديماً ولقصر الناس والشياطين على ما أحب صاغرين لأنهم خلقه لا يقدرون على الأمتناع من أمره إذا شاء .

الفصل التاسع

فى أن شريعة السيد المسيح أفضل من الشريعة التى تقدمتها

وتمام الحكمه الجامعة لذلك كله إنه خلق الخلق كله بحكمة تامة ودبر كل ما خلق قديماً وحديثاً بحكمة تامة إلا أن تدبيره الآخر أفضل من الأول وأرفع وكذلك لم يزل الله يفعل فيما خلق ودبر أنه خلق بدء ما خلق أدنى كله وكذلك بدأ بأدنى درجة من التدبير وهو ناموس الطبيعة الأول الذى خلقه الله فى كيان آدم بالمعرفة للخير وما جعل الله فيه من الأستطاعة على العمل به واللزوم له والأقامة عليه وعلى الخروج منه إلى خلافه من الشر فإن الشر إنما هو خلاف الخير وخروج من الطبيعة كما فسرنا فى أول هذا الكتاب ولم تكن لآدم معرفة بالشر حتى عصا ربه فعرف الشر بالمعصية خلاف الطاعة التى كان عليها فبذلك الناموس الطبيعى أهتدى آدم وأولاده من قبل الكتاب فاستوجب أهل الطاعة منهم ثواب الله فى العاجل والآجل حتى أنزل الله ناموس الكتاب على يدى موسى ليس بمخالف لناموس الطبيعة ولا ناقض له لأنه إنما أمر بالخير الطبيعى ونهى عن الشر المخالف للطبيعة وللخير ولكنه كان مقوياً للناموس الأول بحجة من الله على العباد من بعد حجة وزيادة فى الترغيب فى الله على ما قبله والزهد فى أبليس على ما قبله بشرائع الله وفرائض وسنن تقرب إليه وتصرف قلوب الذين يلزمونها وأهوائهم إلى الله من أهواء أبليس وشياطينه التى كانت تستميل قلوب بنى آدم وأهوائهم وتسبى عقولهم .

إن بنى إسرائيل الذين انزل كتاب الناموس عليهم كانوا يرون سائر الأمم الذين يعبدون أبليس وأوثانه يقربون لأوثانهم ذبائح من أصناف الحيوانات والطير فيأكلون لحومها ويطلبون شرب الخمر واللعب عليها أياماً ثم يتعاهدون ذلك فى كل شهر وحين ، ويتبارون فيه ويتكاثرون فى تلك القرابين والذبائح فأشتهى بنو إسرائيل أن يكون فيهم مثل ذلك وتاقت نفسهم إلى مثل تلك الأعياد والنعيم فعرف الله ذلك من فكرهم وأهوائهم فأمرهم أن يقربوا له ذبائح ويعيدوا له أعياداً ليجمع بذلك أمكانهم مما وقعت همتهم فيه ويكون ذلك له ولأسمه ليصرفهم به عن الكفر والطغيان مع أصحاب الأوثان ولا تبقى لهم حجة ولا مطمع إلى شىء مما فيه الكفرة إلا وهو عندهم غير أن يقيموا على الأيمان به وترك العبادة لغيره . وكذلك تاقت أنفسهم أيضاً إلى أن يكون لهم ملوك يملكونهم مثل ملوك الأمم ففعل الله ذلك بهم بعد أنذاره وتحذيره أياهم من ثقل ماطلبوا من أمر الملوك عليهم وما يلزمهم من أستدلالهم أياهم فأبوا غير الذى هووا من ذلك فهذه أمور دنيا وشرائع بشرية كانت فى ناموس الكتاب زيادة على ما كان فى ناموس الطبيعة .

حتى جاء الناموس الثالث التام الروحى على يدى رسل المسيح الحواريين وهو الناموس الداعى لمن قبله إلى الأنتقال ليس من مصر إلى أرض القدس من كورة فلسطين مثل أنتقال بنى إسرائيل ولكن من الأرض إلى السماء حيث تقدمنا أبن الله المتجسد كلمة الله الخالق يسوع المسيح الواحد فوق كل حجاب وشرف وعلو وكرامة . وإلى غفران الذنوب بالمجاز ليس فى بحر القلزم الذى جازه بنو أسرائيل فى ناحية من الأرض ولكن فى المعمودية التى هى فى جميع الدنيا حيث ينصبغ فيها من آمن فيخلص من ذنوبه كلها ويخرج منها نقياً حراً معتقاً ، ليس من عبودية فرعون المصرى وجنوده من القبط ولكن من عبودية المتفرعن على جميع الدنيا أبليس وجنوده من الشياطين ويغرقهم جميعاً فى مائها . الآن قوتهم على الناس وتعبدهم إياهم إنما هو بالكفر والخطايا فإذا صبغ المؤمن فى المعمودية وخرج بالأيمان طاهراً من الخطايا وغرق الكفر الذى كان عليه والذنوب فى تلك الصبغة صبغة الله أحسن الصبغات وأفضلها فقد غرقت قوة أبليس وشياطينه وسلطانهم على ذلك المصبوغ وغرق تعبدهم أياه مع

الكفر والخطيئة اللذين بهما ملكوا على الناس وصار المصبوغ من بنى النور قد نوره روح القدس بنوره وتبناه الآب وآخاه الأبن المسيح فساغ له أن يسمى الله أباً بأخوته المسيح وحلول روح القدس فى نفسه . وإلى قربان زكى نقى يقرب إلى الله بمخالطة لطيفة طاهرة طيبة مقدسة تجمع بيننا وبين المسيح ، ليس كالمخالطة التى جرت بيننا وبين آدم بالمجامعة والزرع ولكن بالتحام بين من لحم المسيح ودمه ببشر نأكله . وإلى ذبيحة بلا دم تفوق الذبائح كلها لأنها جسد المسيح الذى يصنع كل يوم على موائده المقدسة ويقسم بين المؤمنين لمغفرة الخطايا - وتفسير ذلك فى آخر هذا الكتاب مع تفسير المعمودية بين .

فهــذه نواميس ثلاثة لم تزل لله حجسه بها على عباده أنه لم يهملم ولم يدعهـم بلا تدبير منها ناموس الطبيعة ثابتاً فى الخليقة على يدى آدم ، وناموس الكتاب ثابتاً فى التوراه على يدى موسى ، وناموس الموهبة ثابتاً فى الأنجيل على يدى المسيح ورسله وأرفعها وأفضلها هذا الأخير لأن الله كذلك فعل إذ خلق أفضل خلقه بآخره وأظهر أفضل تدبيره بآخره وكذلك يفعل كل والد بولده وكل معلم بتلاميذه وكل أستاذ بالمتعلمين عنـده ويبتدىء الآب فيبلو ولده بصغار الأمور ثم من بعد ذلك يمكنه من كبارها ، ويبتدىء المعلم بتعليم تلاميذه من أدنى العلم ثم يرفعهم درجة درجة حتى يمكنهم بآخره من أرفع العلم . ويبتدىء الأستاذ فيمكن المتعلمين من ساذج العلم وأيســـره ثم يرفعهــم من شىء إلى شىء حتى يمكنهم بآخره من علاج أحكم الأعمــال ، فعلى هــذا كان تدبير الله وذلك ما لا ينكره من يعقل . وتحقيق ذلك أنه لم يسلم من الناس بالناموس الطبيعى إلا قليل منهم ولم يسلم بالناموس الكتابى إلا بعض من أمة واحدة بنى إسرائيل فى ناحية من الأرض مع كثرة أنبياء ووحى وآيات عظام وقتال بالسيف وهزايم للأعداء كثيرة وفتوحات معجبة وقوة وعزاء بينين وعجائب ظاهرة فلم يتم مع ذلك كله خلاص تلك الأمة بأسرها ولا عامتها فلما ظهر الناموس الروحى ناموس الموهبة الرفيع على يدى الحواريين أنتشر الأيمان فى جميع الدنيا وبطلت عبادة الأوثان وذلل تجبر أبليس وزال سلطانه وملكه وهدمت هياكل الأصنام والقيت فى المزابل وأنبسط الأيمان بالله فى كل أمة وعظم الهدى ونودى بالله فى كل سهل وجبل .

وسمى أسمه كل أسود وأبيض وعرفه كبير وصغير على ما تنبأت الأنبياء .

وعمت منفعة المسيح من فى السماء من الملائكة لأنهم قدروا كما قلنا قبل ذلك على رؤية نور الله بحجاب الناسوت ولم يطمعوا فى رؤيته منكشفاً وأيقنوا بتمام عدد جندهم الناقص من العشرة بمن تبع المسيح من المؤمنين لأنهم كانوا فى غم وحسرة من إنهم يسبحون الله أمد الدهر ولا يرون نوره ظاهراً حتى أحتجب بالناسوت فرأوا ما لم يروا . وكانوا أيضاً فى حزن على الجند الساقط منهم يغيظهم نقصانه حتى رأوا كثرة من آمن من أولاد آدم فأيقنوا بتمامه منهم فكشف المسيح منهم الغم والحزن وعظم فرحهم وسرورهم . وعمت منفعة المســـــيح أيضاً من فى الأرض من مؤمن وكافر وكل عالم أو جاهل على هذه الصفة . أما من صـــبغ فى المعمودية من أولاد آدم فقد آمن به أنه إله أبن الله الحى وأنه والآب والروح القدس إله واحـد تام وعرفوا توحيد جوهر الله الواحد وتثليث أقانيمه الثلاثة التى صبغوا بها على الصبغة التى أمر المسيح رسله أن يصبغوا بها من آمن به ثلث صـــفات بسم الآب والأبن والروح القدس وإما من لم يصبغ فى المعمودية من بنى إســرائيل فقد حجبهم ما رأوا من فعال الأمم وكسرهم أوثانهم ولزومهم عبــادة الله والأيمان به من أن يعــودوا إلى مثل ما كانوا لا يزالون يفعلون من كفرهم بالله ودخولهم مع تلك الأمم فى عبادة أوثانهم وكفوا عن ذلك حياء من أن يدخلوا فى كفـــــر قد تركه أهله وخرجوا منه فنفعهم المسيح من قبل ذلك الوجــــه أشد المنفعة .

وأما سائر الناس فلم تبق أمة من الأمم إلا وقد أنتشر فيها ذكر المسيح لأن رسله بلغوا أقطار الأرض وسمع الناس أجمعون بكرازتهم وأعمالهم بالأيات والعجايب التى لم يظهر مثلها فى الأرض قط ، وقرىء الأنجيل فيهم وعرفت لديهم النصرانية وحال أهلها من الشهداء والرهبنة وأهل النسك والزهاده ولم تبق برية ولا واد ولا جبل ولا صومعة إلا وقد ورد بعضهم فيها ، فكل قد سمع وليس كل آمن لأن الله لا يريد أن يؤمن به قهراً ، وكل قد صدق بالمسيح أنه مسيح الله وحقق أمره إلا أنهم أختلفوا فى

الأيمان به (١) فأى منفعة أفضل من منفعة المسيح وأى تدبير أتم من تدبيره وأى ناموس أرفع من ناموسه قد عظم ذكره ومجده فى السماء حيث هو ، وفى الأرض سبح وأمتلأت المشارق والمغارب من نور هداه وتمم بكل رسم رسمه الأباء الصديقون وكل نبوة تنبأ بها الأنبياء المرسلين من قديم خلقة الدنيا بتحقيق أمره فأن الله لم يزل منذ بدء الخلق يضع للمسيح وتدبيره رسوماً بلا منطق ونبوات بمنطق كيما إذا جاء

الحق لم ينكر لما قد سبق قلبه من الرسوم والنبوات عليه وما النبوات بالقول بأقوى من نبوات الرسوم لأن مثل ذلك من الوجهين كليهما مثل ملك أراد أن يبني لأبنه مدينة جديدة شريفة رفيعة يحكم بنيانها ويكثرعجائبها فأحب أن يبشر أهل مملكته بذلك لما يكون لهم فيها من المنافع فدعا رجلين من أصحابه أمينين يثق بهما فأطلعهما ماستر عن غيرهما مما أجمع به من أمور تلك المدينة ثم بعثهما يبشران بذلك وكان أحدهما أمياً لا يكتب والآخر كاتباً فانطلق الأمى إلى ثياب فرسم فيها تلك المدينة على ما أنهى إليه الملك وحملها معه فلما أتى أهل المملكة أراهم الأمى الرسوم التى معه وأنهى إليهم ما فيها بمعاينة الشبه من غير كلام وأقتصر بذلك عن الكلام وأنطلق الكاتب فوضع صفتها فى كتب وحملها معه فلم يكن الكاتب بأبلغ فيما أوصل إليهم من ذلك الأمر من الأمى الذى أراهم الرسوم ولا بد من أن نوقع ذكر تلك الرسوم والنبوات جميعاً فى آخر هذا الكتاب أنشاء الله على كل ما جاء المسيح بتحقيقه شيئاً شيئاً حتى يعرف من آمن به أنه لم يبق شىء من تدبيره إلا وقد وضع له من قبل ذلك رسماً معروفاً وتنبأ عليه نبوءة ثابتة فى الكتب .

---

(١) هنا يذكر الناسخ أعتقاد المسلمين فى المسيح بقوله " وبعضهم يقول " أنه كلمة الله وروحه نبى طاهر ولد بلا أب من مريم العذراء المصطفاة على نساء العالمين " ولم يشر إلى أن هذا ليس من كلام القديس مع أن الأسلام ظهر بعد أثناسيوس بقرون . فلم نعجب إذاً حينما نرى الناسخ يلقى بين كلام القديس القول بأن المسيح ذو طبيعتين ؟

القسم الرابع

فى النعم والعطايا التى وهبنا أياها المسيح

لنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر ما أعطانا المسيح على يدى رسله الحواريين من الأدوية والمراهم كما ذكرنا قبل ذلك لتكون عتيدة لنا نعالج بها أنفسنا من مرض يعرض لها :

١ - المعمودية التى تنقل من صبغ فيها من الكفر إلى الأيمان وتنقى النفس والجسد جميعاً لأنها ليس من ماء ساذج ولكن من ماء ثقلى مخلوق وروح خالقة تخالط الماء عند دعاء الكاهن كما خالط ماء نهر الأردن يوم المعمودية المسيح فيقدس الماء بقدسه وينير المصبوغ فيه بنوره ويحل فى نفسه فيعرف الأمور الروحية التى لا يعرفها الجسمانيون لأن المصبوغ فيه ينصبغ بأسم روح القدس مع الآب والأبن ولذلك يحل فيه تنوير الله وتصير نفسه منيرة تهتدى بذلك النور فى دنياها ومسا كنتها الجسد ومن بعد فراقها الجسد ، فكما لابد لبصر الجسد من نور حسى مخلوق يدخل عليه فيبصره من أجل أن بصر الجسد لا يبصر بغير نور ولا ينتفع الجسد ببصره من دون النور ، كذلك النفس إذا فارقت إن لم يكن لها نور عقلى لطيف خالق داخل عليها مع الماء فى صفة المعمودية لم تبصر وصارت فى ظلمة من أجل أنها لا تقدر أن تبصر من غير نور ولا ترى النور أبداً لأنه لا يظهر نوراً أبداً لا خالق ولا مخلوق من دون ثقلى يخالط من أجل أن كل روحانى لطيف لا يرى ولا يوجد بعينه من دون مخالطة الثقل الذى يرى فيه ويوجد معه ، وكذلك خلقة الأنسان من نفس لطيفة مخالطة جسد ثقلى لا ترى النفس ولا توجد عند الثقليين إلا فى الجسد ومعه ولذلك جعل الله دواء الأنسان من الكفر والخطايا وتنقيته من ذلك بمعمودية من ماء نقى ونور

روح لطيف خالق فإذا أنار ذلك النور نفس المصبوغ بوروده فيها مع الماء المنقى للجسد ثبت ذلك النور مع تلك النفس ولم يبرحها أبداً لا من قبل فراقها الجسد ولا من بعد خروجها منه ولا إذا عادت إليه يوم القيامة فلا يزال معها الدهر فهى فى نور لا ظلمة معه إبداً ، فأى دواء أكرم من هذا وأية عطية أرفع من هذه وأية نعمة أسبغ من هذه ؟

٢ - ثم أعطانا دواء آخر لمن أخطأ بعد تنقية المعمودية وتدنس بالذنوب وهو القربان الذى يغفر الخطايا لمن يقربه بأيمان به أنه جسد المسيح ودمه وذلك أمر بين لا يجهله أحد يعقل . إن كل ذى نفس وجسد ثقليين من الخلائق إنما يربى ويبقى بمادة من الطعام والشراب يصل إلى أجزاء العناصر التى فيه التى إنما بقاؤه مع بقائها وزواله مع زوالها ، غير أن تلك المادة من الطعام والشراب ليس كلها تصل إلى أخلاط الأجساد من أجزاء العناصر لأن فى ذلك الطعام والشراب غليظ ولطيف ساكن فى ذلك الغليظ ولا ينفذ غليظ من غليظ مثله أبداً ، لذلك جعل الله فى كل جسد يرده الطعام والشراب قوات طبيعية تطحن ذلك كله وتعفنه ثم تطبخه وتميز بين لطيفه وغليظه فتورد لطيف ذلك كله فى تلك الأجساد فينفذ بلطفه حتى يصل إلى أخلاط تلك الأجساد التى فيها من أجزاء العناصر التى لا تقوم ولا تدوم إلا بها وتبرز تلك القوات غليظ ذلك كله فى مجارى تخرجه وتنقيه من تلك الأجساد . والطعام والشراب صنفان : صنف منهما لابد منه وصنف يحتاج إليه ومنه بد . وتربية الأجساد وقوامها يستقيم من غير جنس الطعام والشراب الذى منه بد ، وليس يستقيم ذلك من غير الصنف الذى لا بد منه وهو الخبز من الطعام ومزاج الخمر والماء من الشراب كما قال داود النبى فى الزبور : أن الخبز يقوى قلب الأنسان والخمر يفرح قلب الأنسان . فلما تواضع كلمة الله الخالق من أجل خلاصنا ورضى أن يتأنس أحتمل ذات الناسوت من الطعام والشراب الذى لابد منه من أكـــل الخبز وشرب مزاج الخمر والماء .

لذلك أكل المسيح وشرب ودبر تربية جسده على مجرى تربية أجساد الناس وأجرى الخلطة بينه وبين كل من آمن به على وجه نقى طيب واسع يجمع كل من آمن به بكيفية أسمى من كل كيفية ، وبصفة أجمل من كل صفة . ولبيان هذه الحقيقة السامية أى أن أتحادنا بالمسيح بتناولنا من جسده ودمه أسمى من كل أتحاد هو أن مخالطته بوجه أكل خبز القربان وشرب مزاج خمره ومائه أمر يعم كل بعيد وقريب ممن آمن به من

جميع الناس وتضمهم إليه بمخالطه لطيفة نقية طيبة كريمة مقدسة وذلك أن الخبز الذى غذى به لحمه ومزاج الخمر والماء الذى غذى به دمه إذا وضعت على موائده المقدسة فى الكنائس التى يجتمع فيها على أسمه كما أمرنا ورسم لنا على يدى رسله المقدسين وتقدم الكاهن بين يدينا . فقام مبتهلاً قدام المائدة يدعو بالدعاء الذى علم المسيح الرسل وأمرهم أن يورثوه خلفائهم من الكهنة فنزل روح القدس على ذلك القربان فصيرالخبز لحماً بقدسه وقوته وصير مزاج الخمر والماء دماً حتى لا يبقى فى شيء من ذلك غليظ ثقلى فإذا ورد جسد آخذه بالأيمان كان كله روحانياً نافذاً فى أخلاط الجسد من أجزاء العناصر الأصلية لا يبرز من القربان شيء مع الأثقال التى تبقى فتبرز وتلقى ، ولكن يصير كله لحماً ودماً مقدساً بروح القدس فيصير ذلك ألقربان خلطة معجبة بين المسيح وبين من أكله وشربه فمن آمن به أنه لحم المسيح ودمه من أجل أن لحم جسده الذى أخذ منا ودمه غذى وربى بمثل ذلك الطعام والشراب ، ولأن قدس روحه تخالط من أخذ ذلك القــــربان مع أكله أياه وشربه مثل ما خالطته مع أنصباغه فى ماء المعمودية .

وهذا أمر بين أن لا يرى الخبــز أحد من الناس فيقول هذا جسدى إلا كان صادقاً ، لأن لحم جسده الذى أخذ إنما غذى به وربى ولطيف الخمر صار فى جسد آكله لحماً حقاً ولا يرى أحد من الناس مزاج الخمر والماء فيقول هذا هو دمى إلا كان صادقاً ، لأن دم جسده به غذى وربى ولطيف ذلك المزاج صار فى جسد شاربه دماً حقاً ، وما ينكر أحد أن يكون روح القدس الخالق أقوى فعالاً من المعدة والكبد فى الأجساد المخلوقة كلها فقد قويت المعدة على طحن الطعام والشراب وتمييز صفوه من ثقله وقويت الكبد على طبيخ ذلك الصفو وتمييز لطيفه من غليظه وتغيير ذلك اللطيف عن حاله إلى أن صيرته دماً حتى نفذ فى جميع الجسد وخالط إخلاطه من أجزاء العناصر الأربعة فكيف لا يقوى روح القدس على تغيير ذلك الخبز ومزاج الخمر والماء من القربان كله ويصيره لطيفاً نافذاً فى إخلاط الجسد مع ورود قدس الروح القدس بذلك القربان فى نفس آخذه حتى يكون خلطة تامة وقدساً تاماً يغفر به الخطايا لمن آمن وصدق أنه لحم المسيح ودمه حقاً أعطانا أياه لمغفرة الخطايا . ومن ينكر أيضاً أن تكون كلمة الله نافذة لأن المسيح الذى ناول تلاميذه الخبز فقال لهم خذوا كلوا هذا هو

جسدى الذى يصنع من أجلكم ومن أجل كثيرين ويقسم لمغفرة الخطايا ثم ناولهم كأساً فيها مزاج خمر وماء فقال لهم أشربوا منه كلكم هذا هو دمى الذى يسفك عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا ثم قال أفعلوا هذا لأجل ذكرى فأنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت أبن الأنسان وتبشرون بقيامته إلى أن يجيء .

فنحن بذلك موقنون بصدق وعده ونثق بأن كلمة الحق الله حقاً وأنه الكلمة الذى خلق به كل شيء وأنه الذى قال للأرض أن تنبت نباتاً يزرع زرعاً على الأرض على جنسه وشبهه وشجراً مثمراً زرعها في ثمارها على جنس ذلك وشبهه وأن بذلك الكلمة وقوله الواحد ينبت كل نبات من زرعه إلى اليوم وتثمر كل شجرة ثمرتها فيها زرعها إلى اليوم . وهو الكلمة الذى بارك كل ذى نفس من الطير ، وما فى المياه من السمك وسائر الدواب كلها ، وما فى البر من السباع والوحوش والبهائم كلها وبارك آدم وأمرأته فقال لذلك كله شبوا وأكثروا بالزرع فهم على ذلك إلى اليوم ولا ينقطع نسلهم ولا يبطل قول ذلك الكلمة الأزلى إلى أن تفنى الدنيا فهو ذلك الكلمة الذى قال للرسل من أجل خبز القربان أن هذا جسدى ومن أجل مزاج الخمر والماء أن هذا دمى ، وقوله نافذ يجرى فى ذلك الخبز والماء والخمر على كل مائدة مذبح يوضع ذلك عليها فى كل حين وكل يوم لا يبطل ما كانت الدنيا من تصيير ذلك الخبز لحماً والخمر والماء دماً على ما قال ويحل بذلك القربان روح القدس فيقدسه ويقدس نفس من يتقربه بأيمان وجسده جميعاً لأن الروح مع الكلمة والكلمة مع الآب وهم إله واحد لا فرقة بينهم . فأما من تناول هذا القربان من غير إيمان به فأنما يأكل خبزاً سانجاً ويشرب خمراً وماء سانجين ليس فيه قدس . ولا عجب في أن يكون القربان الواحد لمن آمن به لحماً ودماً ، ويكون لغير المؤمن جبزاً وخمراً وماءاً فإن قدرة الله كذلك تعرف بأن يبسط خيره على من أستوجبه ويمنعه عن من لم يستوجبه ويحل عقوبته بمن أستحقها ويكفها عن من لم تحقق عليه ، وينقل الطبايع ويغيرها كيف شاء كما فعل فى أتون النار الذى أستوقده نبوخذ نصر ملك بابل للثلاثة الفتية أن صير ناره على أولئك الفتية برداً وندأ وأحرق بها الذين ألقوهم فى الأتون وكل من حول الأتون على بعد تسعة وأربعين ذراعاً ، وكما فعل بالماء بأرض مصر أن صيره للقبط دماً ولبنى إسرائيل ماء ..

٣ - وأعطانا المسيح الصليب سلاحاً نافذاً ينفذ فى النار والهواء والماء والأرض ولا يحجبه عن ذلك شىء وقوة لا يقاوم . بسبيلها تهرب الشياطين متى رسم لها رسمها والصليب لواء المسيح ، والملائكة يحبون لواء ملكهم ويجرون إليه حيث يرون رسمه ليغيثوا صاحبه فلا تقوم الشياطين والملائكة حين يحضرون إلا بتخلية من الله للشياطين أن يلزموا من لزمهـم من الناس بالكفر وسـوء الأعمـال عقوبة من الله لاولئك أن يخلوا وما رضوا به لأنفسـهم ، والصليب طابع لملك الملوك لايرى رسـمه شيئاً من الخلق إلا أجاب وأطاع إلى أن يضعف إيمان حامل الرسم ويشتد نفاق من عصا فلا يقصره الله على الطاعة كرهاً . فإما بين المؤمنين بالمسيح فليس يرد طابع صليبه ولا يختم شىء لديهم إلا به وهو حفظ لهم من كل سوء ومدفع لكل شر وتقوية لكل ضعف ، وصلاح لكل أمر رسم المسيح الذى صلب عليه طوعاً وخلص به الخلق . والصليب رسم فى كل خلق لمن طلب معرفة ذلك . وأن للدنيا بأسرها أربعة وجوه منها الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ولم يعدو ذلك أن يكون صليباً مصلباً ، وللدنيا أيضاً طول وعرض وعلو وعمق وذلك صليب أيضاً وقد وصـف الأنبياء رؤس الملائكة من السـارفيم بستة أجنحة لهم وأخبروا أنهم يغطون وجوهم بجناحين وأرجلهم بجناحين ويطيرون بجناحين ، وذلك رسم للصليب بين لأن الجناحين اللذين يغطيان وجه الملك منتصبان إلى فوق واللذين يغطيان رجليه منتصبان إلى أسفل والأثنين اللذين يطير بهما منتصبان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فذلك صليب سواء . والأنسان إذا قام فى صلاته باسطاً يديه إلى ربه فهو صليب سواء لأن طول كل أنسان كبيراً كان أو صغيراً أو عرضه قدر واحد لا يزيد بعضه على بعض شيئاً ، ولم يخلق الأنسان على نجارة خشب الصليب ولكن كل صليب ينجر على حدود الإنسـان الذى يصلب عليه والصليب على مثال الأنسان عمل وليس الإنسان على قالب الصليب خلق . فأصل رشم الصليب الأنسان لأن الله خلقه خلقاً تاماً من أربعة عناصر الدنيا وكل تربيع هو الصليب فقد تبين أن الأنسان خلق صليباً ولذلك دبر كلمة الله الذى خلقه خلاصه بالصليب وإنما سمى خشب الصليب صليباً على تصليب خلقة الأنسان ومن أجل أن الصليب كان أقطع وجوه الموت وأقصى غاية المعاقبين . لذلك أحتمـل المسيح الصلب طـوعاً بكيـان ناسوته المحتمـل ذلك فداء لبنى آدم من أقصى غـاية العقوبـات للموت . والصليب فى الكتب رسـوم كثيرة ونبوات فيه سـنضعها أنشـاء الله فى آخـر هذا الكتـاب مع الرسوم والنبوات فى المسيح .

٤ – وأعطانا المسيح القيامة بقيامة الحق على يقين الرجاء للحياة الدائمة من بعد الموت المزيلة للموت بثقة لا شك فيها حتى صار الموت بذلك اليقين عند من آمن بالمسيح نوماً .

٥ – وأعطانا يوم قيامته يوم الأحد الذى قام فيه من الموت عربوناً على أتمام ما وعد من قيامتنا يوم البعث فى مثل ذلك اليوم الذى قام فيه . وعلمنا رسله الحواريين وخلفاؤهم من بعدهم من الآباء المعلمين معرفة فضل ذلك اليوم يوم الأحد . أن الواحد حقاً لم يخلق الله يوماً غيره لأن الله خلق النور بداءاً وسمى ذلك النور يوماً وهو يوم الأحد أول أيام الدنيا لم يخلق الله نوراً غيره فهو ذلك النور المتردد من المشارق إلى المغارب ثم من المغارب إلى المشارق أيضاً ، فكلما أطلع من المشارق عد يوماً ثانياً ثم ثالثاً ثم رابعاً إلى أن يعود سبع مرات ثم يرجع العدد الواحد ليس لأن النور نوران ولا ثلاثة ولا سبعة أنوار ولكنه نور واحد جعله الله فى المصباح إلى الأحد الأكبر مصباح الشمس لأن من نور الشمس يأخذ القمر والنجوم النور فوضع الله الشمس فى فلك السماء ليدور بها ساعياً النهار والليل لا يقف فكلما عاد بها إلى موضعها من مشرقها عد ذلك يوماً ثانياً ثم ثالثاً إلى السبع الدورات ولو حسبت الدورات منطلقاً إلى ألف دورة وما زاد لعدت أياماً ليس لأن الأيام ألف يوم ولا أكثر من ذلك ولا أقل وإنما هو يوم واحد يدور متردداً وكان سبب عدد السبعة لأن الله خلق خلقه فى ستة دورات من النور الذى خلقه بداءاً فسماه يوماً وهو اليوم الأول يوم الأحد ، وفرغ الله من جميع ما خلق فى دورة ذلك اليوم السابعة التى عدت يوماً سابعاً وجعل الله ذلك النور يوم راحة وفراغ وأمر بنى إسرائيل باكرامه فى كتب التواره التى أنزلت على موسى ومن بعده من الأنبياء ولذلك أجرى الناس حساب الأيام على سبعة ولم يعط الله بنى إسرائيل أرفع الأيام ولا أرفع النواميس ولاأرفع العلم كما وصفنا فيما سلف من هذا الكتاب لذلك أدخل الله الأحد للناموس والثالث التام الروحانى ناموس المسيح كل ما جاء به المسيح كلاماً تاماً لا شيء أتم منه فشتان ما بين يوم الأحد الذى هو النور

بعينه الذى سماه الله يوم الأحد وبين يوم السبت الذى إنما هو دورة من ذلك النور كسائر الدورات التى لا تحصى فالأحد هو اليوم الأول من بدء الخلق وهو النور الأول لا يزال ما كانت الدنيا متردداً كما دبره خالقه حتى تفنى الدنيا على تمام التدوير السابع وهو يوم السبت فتفرغ الدنيا وتبطل فى الفراغ والبطلان ثم ذلك اليوم الآخر اليوم الأول أيضاً وهو الأحد لأن يوم واحد لا يتبعه ليل ولا ظل ولا يزول أبداً وهو يوم الآخرة ، فحق ليوم الأحد الفضل والكرامة لأنه يوم الدنيا كلها الساعى المتردد فيها حتى تنقضى وهو يوم الآخرة القائم الدائم لا براح له ولا منتهى ولذلك قام المسيح من الموت يوم الأحد لأن سبب القيامة الكلية وتحقيقها إنما هو بقيامة المسيح . من أجل ذلك يقوم الناس كلهم بسن ناسوت المسيح يوم قام شاباً وكهلاً ليس فيهم أصغر من ذلك ولا أكبر وعلى ذلك خلق آدم شاباً تاماً لم يخلق طفلاً ولا صبياً وغلاماً حدثا ، وعلى مثل ذلك السن نبتت حواء إمرأته أيضاً من ضلعه .

٦- وأعطانا المسيح المشرق قبلة نخرها لمن آمن به ليس لأنه منعها عن غيرهم حسداً معاذ الله من ذلك ولكنه دبر تدبيره بحكمته وأعطى كل أهل زمان بقدر أحتمالهم فبدأ الناس بأدنى درجات الأدب ثم رفعهم كلما تأدبوا إلى أرفع من ذلك حتى أتم لكمال العلم وأحكام الأمر مثل ما ذكرنا قبل ذلك من فعال الأدب بأولاده والمعلم بتلاميذه والأستاذ بالمتعلمين عنده ، فالمشرق هو القبلة الأولى حيث نصب الله لآدم أبى البشر الجنة وأكرمه بوضعه أياه فيها حتى عصى وصيته فأخرجه منه وأسكنه أمامها حتى يراها فكان آدم يصلى لله مستقبلاً الجنة حيث عهد ربه . ومن المشرق جعل الله أشراق النور على الدنيا ولذلك سمى مشرقاً لأن منه تطلع المصابيح كلها فيشرق نورها على الأرض ، وإن الله خلق الأنسان من أربع نواح الأرض والماء والهواء والنار ليكون تاماً ويكون رئيساً على ذلك كله فجعل لجسده أربع نواح منها مقدم فيه وجه ومؤخر وجنبين أحدهما يمينه والآخر شماله . وكذلك خلق الله الدنيا على أربع نواح منها شرق وغرب ويمين وشمال فاليمين والشمال من نواحى الدنيا ليس يختلف فيها أحد . أن ناحية اليمين حيث تجرى الشمس نهاراً أبداً وحيث أنهباط الأرض وسهولها ليس فيها جبال منيفة شامخة تحول بين النور الشمس وبين الدنيا ولا تستر دونها ولذلك هى ناحية الدفع والحر وريح تلك الناحية تسمى اليمين أيضاً وهى الناحية

الحارة ، وأن ناحية الشمال حيث تجرى الشمس ليلاً أبداً وحيث أرتفاع الأرض وجبالها المنيفة الشامخة التى تحول بين نور الشمس وبين الدنيا وتستتربونها ولذلك هى ناحية البرد والطرد وريح تلك الناحية تسمى الشمال أيضاً وهى الريح الباردة . فمن أراد أن يصلى لربه لا بد له أن يستقبله بوجهه فإذا قام الأنسان على حال ما خلقه الله وعلى حال ما خلقت عليها الدنيا وأراد الأستقامة حاذى ناحية الدنيا اليمنى بجنبه الأيمن وناحيتها الشمال بجنبه الشمال فصار مؤخره محاذياً للغرب ووجهه مستقبلاً الشرق ليس ليسجد للجنة التى فى الشرق ولا لنور المصابيح من الشمس والقمر والنجوم التى يشرق نورها على الدنيا من الشرق ولكن لرب ذلك كله وخالقه كما قال داود النبى فى الزبور أسجدوا للمتعالى على سماء السماء فى المشرق . فأى شهادة فى المشرق أوضح من هذه ، ثم شهادة أشعياء النبى حين تنبأ عن المسيح فقال والمشرق أسمه ، ثم شهادة زكريا أبى يوحنا إذ بشر الناس بالمسيح وهو فى فى بطن مريم حين ولد له أبنه يوحنا فسماه كما سماه له جبرائيل رئيس الملائكة يوحنا وأستطلق لسانه من بعد الخرس فتنبأ من أجل المسيح فى تسبحته وقال فى آخرها أنه قد أطلعنا مشرق من العلو ليضىء للذين فى الظلمة وظل الموت جلوساً فسمى المسيح فى نبوته مشرقاً كما سماه أشعياء ، وكذلك قال المسيح للحواريين عن العلامة الأخيرة حين سألوه عنها فتقدم إليهم وحـذرهم من تصديق أى واحد غيره حتى يأتيهم ، وجعل لهم عـلامة بينة وقال لهم أن قالوا لكم ههنا المسيح أو هنـاك فلا تصدقوا وإن قالوا هوذا هو فى البيت فلا تؤمنوا أو هوذا هو البرية فلا تخرجوا فإنه مثل ما يخرج البرق من المشارق فيرى إلى المغارب كذلك يكون مجىء أبن الأنسان . فأفصح أنه يأتى ديانا ليوم الآخر من المشرق وخاتم ذلك كله فى قبلة المشرق وأنها قبلة لا تحد ولا يلزمها تغيير إذا أنتهى إليها وكل قبلة تحد فى موضع تغيير وتنتقض إذا أنتهى إليها وقبلة المشرق لا تحد لأن غاية من يصلى قبالتها ليس إلى شيىء من الخلق فى أرض ولا فى سماء ، ولكن كما قال داود النبى إلى الرب الخالق الجالس على سماء السماء بالمشرق الذى يحد كل مشرق ولا يحده شىء .

✳✳✳✳✳

في الفصل الآتي يذكر القديس أثناسيوس آثار فلسطين الدينية وقد مات أثناسيوس بعد إيمان قسطنطين بمدة أى بعد أكتشاف تلك الآثار بواسطة أم قسطنطين بما لا يقل عن أربعين سنة فلا ريب أنه تلقى بالتفصيل خبر ما كتبت عنه .

☆☆☆

الفصل الأول

فى ذكر الآثار الباقية من عهد المسيح
التى تنبىء بصدق حوادث الأناجيل

أعطانا المسيح آثاره وأماكن قدسه فى الدنيا ميراثاً وعربوناً على ما وعدنا من ملك السماء وكرامات الآخرة فلم يبق موضع إلا ومجده الله وقدسه مسيحه فيه وحلول روحه القدس فى سهل ولا جبل ولا موضع كلم الله فيه أحداً من أنبيائه قبل ذلك أو أرتأت فيه عجايب إلا وقد صير ذلك كله فى يدى من آمن بالمسيح ميراثاً يتوارثه الأبناء عن الأباء كل الدهر حتى يأتيهم بملك السماء الذى لا يفنى فجمع لنا المسيح بما ورثنا من تلك الآثار والمواضع بركة وقدساً وقرباناً إليه وغفراناً للذنوب وأعياداً يجتمع فيه على أسمه وفرحاً روحانياً لايزول وشهادات محققة كما نطق بها كتاب الأنجيل من قصته وفعاله وما نطقت به الكتب من قبل الأنجيل من أمور الأنبياء أيضاً على هذه الصفة .

فتشهد كنيسة الناصرة من جليل الأردن ببشرى جبرائيل رأس الملائكة لمريم بالحبل بالمسيح . وتشهد كنيسة بيت زكريا من كورة إليا بقدوم مريم إلى نسيبتها اليصابات . وتشهد كنيسة بيت لحم بمولد المسيح فيها فى مغارة . وتشهد كنيسة نهر الأردن بمعمودية المسيح فى ذلك النهر . وتشهد كنيسة قانا الجليل بحضور العرس فى تلك الضاحية . وتشهد كنيسة المجدل قرب طبرية بأخراج سبعة شياطين من مريم المجدلية . وتشهد كنيسة جنيسارات بأن المسيح بارك هناك خمس خبزات وسمكتين وأشبع منها الجمع الغفير . وتشهد كنيسة كفر ناحوم قرب طبرية بأن المسيح أبرأ

فيها رجلاً يابس اليد وآخر مفلوجاً . وأنه أقام أبنة يايروس من الموت وتشهد كنيسة بانياس من الحولة بشفاء نازفة الدم . وتشهد كنيسة الكرسى فى بحر طبرية بأنه أبرأ المجنون الذى كان فيه شياطين كثيرة . وبأنه أطعم هناك من سبعة خبزات وشىء من السمك أربعة آلاف نفس : وتشهد كنيسة نايين من الفلجة باقامة أبن الأرملة . وتشهد كنيسة طور تابور بتجليه على الجبل مع موسى وإيليا . وتشهد كنيسة صور شفاء أبن الكنعانية . وتشهد الكنيسة التى يقال لها موضع الغنم فى بيت حسداً بشفاء المخلع منذ ٣٨ سنة . وتشهد تلك الكنيسة أيضاً بأن مولد مريم أم الميسح كان فيها . وتشهد كنيسة سلوام فى آليا بتفتيح عين المولود أعمى ، وقيل أن تلك العين نشر عندها أشعياء النبى فغشى عليه وهو ينشر فصلى فأخرج الله له تلك العين فشرب من مائها وأرتدت نفسه ولذلك سميت سلوام (المرسل) .

وتشهد كنيسة أريحا بشفاء الأعميين . وتشهد كنيسة طبرية والقنطرة المبنية على شاطىء بحرها بأن المسيح مشى على ماء ذلك البحر . وتشهد أيضاً بأن المسيح هدأ الرياح هناك وأسكن الأمواج . وتشهد كنيسة بيت عنيا القريبة من آليا بأقامة لعازر وبأن أختيه صنعتا له هناك عشاء قبيل موته . وتشهد أيضاً بأنه هناك دهنته مريم أخت لعــازر فى بيت سـمعان . وتشهد كنيسة طور الزيتون بأن المسيح كان يعلم تلاميذه هنــاك . وتشـهد أيضــاً بأنه مــن هنــاك بعث أثنين مــن تـلاميذه ليحضرا له أتانا يدخــل به أورشليم .

وتشهد كنيسة جبل صهيون بأن المسيح أكل فصح الناموس فى غرفتها يوم فصح اليهود وهو يوم الخميس الكبير مع تلاميذه الحـواريين كيما يتم كل ما فى الناموس ولا يدعو منه شيئاً تحتج به كفرة بنى أسرائيل فيقلون لولا أنه ترك كذا وكذا من الناموس لآمنا به وليعرفوا أنه هو وحده المتمم الناموس كان نيراً ثقيلاً جعله الله على بنى إسرائيل لشدة أعناقهم وقسوة قلوبهم كما وصفهم الله وموسى وسائر الأنبياء فى الكتب . ولم يكن أحد يقدر أن يتمم ذلك الناموس لثقله حتى أتمه المسيح الطاهر من كل ذنب الذى لم يفعل خطيئة ولم يوجد فيه غش كما تنبأ عليه أشعياء النبى . فلما أتم

أكل فصح الناموس مع تلاميذه فى تلك الغرفة أعطاهم فصح الناموس الجديد ناموس الموهبة الروحانى فأطعمهم وسقاهم القربان وقال لهم هذا الخبز جسدى وهذه الكأس دمى للعهد الجيد وأمرهم أن يلزموا ذلك حتى يأتيهم دياناً من السماء فى اليوم الأخير وجعل ذلك عهداً بينه وبينهم وبين جميع من آمن به فبين بأثباته العهد الجديد أنه قد تمم عهد ناموس التوراة العتيق فأتم المسيح ناموس الكتاب الثانى مع ناموس الطبيعة الأول بطهره من كل ذنب ثم ألغى ثقل ناموس الكتاب الجسمانى عن أهل دعوته وألزمهم ناموس موهبته الروحانى ، ومن أجل ذلك قال المسيح فى الأنجيل لجميع أهل دعوته منادياً هلموا إلى يا جميع المتعبين المثقلين فأنا أريحكم . أحملوا نيرى عليكم وتعلموا منى فإنى بار متواضع القلب فإن نيرى صالح وحزمتى خفيفة . فإما قوله فى الأنجيل لم أجىء لا بطل الناموس ولكن لاتمه فأنه حق بين لا ينكر لأنه لم يقل لم يجىء أبطل الناموس ولكن أقيمه وأثبته وألزمه للناس بل قال لم أجىء أبطل الناموس ولكن أتمه لأن الناموس أسم واحد جامع لكتب كثيرة ولاسفار أنبياء كثيرة منها أسفار موسى وسفر يشوع بن نون وسفر القضاة وأسفار الملوك وسفر الزبور وسفر أيوب وسفر حكمة سليمان وأسفار ستة عشر نبياً وذلك ينسب كله إلى التوراة فيقال له ناموس . وكانت تلك الكتب كلها من أولها إلى آخرها ملأى من الرسوم للمسيح والنبوات عليه لم يتم منها حرف حتى جاء المسيح صاحبها الذى له وضعت وفيه قيلت ، فأتمها كلها ولم يبق منها شىء إلا وقد حققه بتدبيره فلو أن المسيح لم يجىء لبطلت كتب النـــاموس وجميع ما فيها من تلك الرســـوم والنبوات فلذلك قال المسيح لم أجىء لأبطل الناموس ولكن لأتممه لأنه أتم ما فى كتب النـــاموس من النبوات عليه بالرســـوم والمنطق وبين لجميـــع الناس أن المسيح حقاً الذى له وضعت جميـــع الرسوم فى الكتب وعليه تنبأت الأنبيـــاء كلهـــم وأنه لا حجه لمؤمن ولا كافر فى تكذيبه بعد أتمام ما فى الكتب .

وتشهد كنيسة القيامة فى آليا وموضع تلك الجلجلة المقدسة أن المسيح خلص ذرية آدم بأحتماله الصلب على ذلك التل الذى قرب عليه أبراهيم الأب المخلوق أسحق أبنه الحبيب وخلص ذرية آدم بأحتماله الصلب ولم يرث له من الموت لطاعته ربه وإن ذلك كان رسماً للآب الخالق أنه لم يرث لأبنه الحبيب من الموت بالجسد ليخلص به عبيده ونصب

صليب المسيح فى الموضع الذى فيه نصب أبراهيم المذبح لأبنه وأتم المسيح كل ما كان باقياً من الرسوم والنبوات الثابتة فى الكتب على الصلب أيضاً وفى الموضع الوسط بين أهل الدنيا لأن كنيسة القيامة والجلجثة فى وسط الدنيا وسرتها (١) وذلك عن عدل من كلمة الله المسيح لأنه يعم جميع من آمن به من الناس كلهم بخلاصه أياهم كما قال داود النبى فى الزبور متنبئاً عليه " عملت الخلاص فى وسط الأرض " فلما فرغ المسيح من ذلك قال وهو على الصليب بصوت عال قد تم كل شىء ثم أطلق نفس ناسوته المخلوقة بمشئيته حين أراد ثم أخذها أيضاً حين أحب وأظهر قوة لاهوته وأنها لم تفارق نفس ناسوته ولا جسدها منذ خالطتها على حال ولا تفارقها أبداً بما حضر صلبه من الآيات العظام فى السماء والأرض أن ستر الهيكل أنشق لاثنين من فوق إلى أسفل مؤذناً بذهاب عهد بنى إسرائيل وإنقطاع ما بينهم وبين الله من الميثاق وأن الشمس أظلمت فى جميع الدنيا (٢) من الساعة السادسة إلى التاسعة من ذلك اليـــوم وهو يوم الجمعة الكبيرة وصارت تلك الثلاثةالساعات على جميع الدنيا ليلاً وتزلزلت الأرض وأنشقت الصخور وأنفتحت القبور وقامت أجساد كثيرة من القديسين الموتى كما قال الأنجيل ودخلوا من بعد قيامة المسيح فى مدينة آليا وتراءوا لكثيرين . ومما حضر موته من الآيات أيضاً أن نفسه الناسية وردت الفردوس من ساعة فارقت جسدها وأوردت نفس اللص المؤمن معها وهبطت إلى الجحيم وأنقذت أنفس الصالحين من سجنها هناك ونقلتها مع نفس اللص إلى الفردوس أيضاً وفعلت ذلك بقوة اللاهوت الساكنة فيها لا تفارقها أقام ناسوته فى يوم الأحد فى اليوم الثالث من يوم الجمعة يوم موته على الصليب طائعاً وظهر للحواريين المؤمنين من بعد قيامته وأقام معهم أربعين يوماً يأكل ويشرب ويبصرهم ما فى الكتب من ذكر قيامته ويحققها لهم بالمعاينه منهـــــم له والتفتيش لآثار الجـــراح فى جسده وأنه هو أياه المصـــــلوب على تلك

---

(١) لعل هذه الكلمة أضافها الناسخ الرومى ليثبت قولهم أن كنيستهم بالقيامة فى منتصف الدنيا .

(٢) لعل هذا كان الأعتقاد فى عصر أثناسيوس أما الآن فالمسلم به أن الظلمة كانت جزئية أى ببلاد فلسطين وما جاورها فقط .

الجلجـــلة بأرادته والمقــبور فى ذلك القبر بمشيئته فى وســط الأرض وســط كنيسة القيــامة الذى قام منه فى اليوم الثــالث بقدرته وهو مغلق الباب بحجر عظيم والحجـر مختوم بخاتم بيلاطس الوالى ورؤســاء اليهود وعليه الحراس يحروسنه لكى لا يسرقه الحواريين فيقولون قد قام ولم يقم . فكان حذر اليهود تقويتهم وتشديدهم لقيامته حيث. حفظوا وختموا وحرسوا ثم قام وخرج من غير أن يحرك الحجر ولا الخواتم .

وتشــهد غرفة صهيون المقدسة بأن هناك دخل المســيح إلى تلاميذه والأبواب مغلقــة وقال لهم ســلام لكم وبأن هناك قابل توماً ووبخه على عــدم إيمــانه ، وتشهد كنيســة عمواس من كورة فلسطين على طريق آليا بمقابلة التلميذين من الســبعين الذين كان منطلقين إليها . ويشهد موضــع كنيسة على شاطىء بحر طبــرية يقال لها موضع الجمــر بمقابلة المخلص لتلامــيذه بعد قــيامه كما جاء فى أنجــيل يو ص ٢١ .

وتشـــهد غرفة جبل صـــهيون أيضاً بدخول المســيح لتلامذه مرة أخــرى حيث أعطوه جــزءاً من سمك مشـــوى وقطعة من شهد عسل فأخذ وأكل أمامهم كما فى لو ٢٤ وتشهد كنيسة طور الزيتون التى على رأسه بصعوده إلى السماء أمام عيون تلاميـــذه وتشـــهد هذه الغرفة المقدســـة أيضاً بحـــلول الروح القدس على المؤمنين فيها وأنبعاثه من الآب إليهم . وليس معنى ذلك أن الروح القدس يحضر ويغيب وينبعث من موضع يفارقه ويأتى موضعاً لم يكن فيه لأنه من جوهر الله يسع كل شىء ولا يســـعه شىء ولا يخلو منه موضع ولكن بعثه معناه حلوله حيث يحب وأظهاره قوته ونفاذ فعـــاله فى من يشـــاء كما أن نزول كلمة الله ليس عن فراق ما فوق وطلوعه ليس بتركه ما أســـفل لأن الله وكلمته وروحــــه إله واحـــد كله فى كل ولا يخلو منه موضـــع ولا يسعه الكل أنه يملأ الكل ويحـــدق بالكل وهو من وراء الكل وكل شىء فى قبضته .

وتشهد كنيسة الجسمانية فى الوادى الذى بين طور الزيتون وبين الهيكل (١) بأن المسيح جمع جميع تلاميذه من حيث كانوا متفرقين فى أقطار الأرض بقدرته فحملهم السحاب إلى صهيون فى آليا حيث توفيت أمه مريم ليحضروا موتها وجنازتها ويقبروا جسدها الطاهر المقدس فلم يبق أحد منهم إلا وجاء فى ساعته إلى صهيون غير توماً الذى كان فى الهند فإن المسيح آخره كما أحب من أظهار أرتفاع جسد مريم المبارك من قبرها إلى حيث أكرمه الله وأن يحقق ذلك على يدى توما كما حقق قيامته على يديه أيضاً بأمكانه أياه من تفتيش آثار المسامير فى يديه وآثار الطعنة فى جنبه على ما طلب فنظر وآمن وثبت لمن بعده الأيمان بذلك ، فحضر الحواريون وفاتها وتباركوا من المباركة وخرجوا بجنازتها من كنيسة صهيون ومعهم خلق كثير من النصارى ويعقوب أسقف أورشليم أول الأساقفة يمجدونها ويعظمونها ويهللون ويباركون ويكرمون الطاهرة الطيبة ويسمعون تسبيح الملائكة فى الهواء بيناً قد حضروا جنازتها منطلقين معهم لا يفارقهم الصوت حتى أنتهوا إلى موضع كنيسة الجسمانية فوضعوا جسدها الطاهر المقدس فى تابوت من خشب نظيف وأغلقوه بأغلاق ووضعوا التابوت فى نقرة صماء يدخلها التابوت مرتفعاً من الأرض لا يصيبه تراب ولا نداوة وأرادوا الأنصراف إلى صهيون فإذا بصوت تسبيح الملائكة على حاله يسمعونه لا ينقطع فكرهوا الأنصراف من قبل أن تنصرف الملائكة فأقاموا بمقامهم ثلاثة ليال لم ينقطع تسبيح الملائكة من الهواء ولم يبرح الحواريين من موضع القبر يسبحون الله ويعظمون قدرته ويمجدون مريم القديسة ويطيبون الطيبة فلما أنقطع الصوت من بعد ثلاثة أيام بلياليها ولم يسمعوه أنصرفوا حتى كانوا على طرف الوادى طالعين إلى آليا وذلك من القبر بمقدار غلوه بسهم لقيهم توما وقد ألقاه السحاب هنالك فأخبره الحواريين بكل ما حضروا وسألهم توما أن يرجعوا إلى القبر

---

(١) كلام أثناسيوس هذا يدل على أنه شاهد تلك الآثار بعينه والتاريخ شاهد بأن هيلانة أم قسطنطين لما أنشأت الكنائس بأورشليم ولا سيما كنيسة القيامة طلبت أثناسيوس ليكرسها لها فمضى وكرس الكنائس ولذلك كان يصفها وصفاً دقيقاً .

ويفتحوا له التابوت حتى يتقدس ويسجد لذلك الجسد الكريم ويتبارك منه كما تباركوا فانصرفوا إلى القبر معه وفتحوا له التابوت فلما تقدم توما ليسجد ويقبل الجسد المبارك ويتبارك منه كما تباركوا فإذا إلا كفان فارغة ليس فيها جسد فبهت متعجباً وأخبر أصحابه فتقدم الحواريون كلهم ونظروا فى الأكفان فإذا لا جسد فيها فعرفوا أن المسيح قد أكرم ذلك الجسد الذى تجسد منه ورفعه إليه فى منازل الشرف بقدرته على ما يشاء وعلموا أن .أقامة الملائكة ثلاثة أيام بلياليها إنما ليرفعوا ذلك الجسد من بعد أن يمضى عدد الوقت الذى قام المسيح فيه من الأموات فأنصرف الحواريون جميعاً يسبحون الله الآب والأبن الروح القدس ويعظمونه على ما عاينوا من عظيم عجائبه ويمجدون قدرته التى تفعل ما تشاء ثم أن ملوك الروم النصارى من بعد زمان مضى على موت القديسة مريم بنوالها فى مدينة القسطنطينية كنيسة رفيعة شريفة وأرسلوا يحملون إليها ذلك التابوت بما فيه من الأكفان ووضعوه فيها وبقى القبر المنقور فى الصخر الذى كان التابوت فيه فى كنيسة الجسمانية تتبارك الناس منه ويسبحون الله جل أسمه ويمجدونه . وتشهد كنيسة بطرس الرسول التى فى مدينة رومية الكبيرة بالمغرب بأنه صلب فى طاعة ربنا المسيح وهان عليه الموت على أسمه وجسده هناك للآن . وتشهد كنيسة بولس الرسول التى فى كورة مشرقة على دمشق بأن المسيح ظهر له فى طريق تلك المدينة وهداه إلى الأيمان .

الفصل الثانى

عود إلى فضل دعوة المسيح

وهكذا نجد أن أخبار الرسل وما صنعوه من عجائب وكرازتهم بأسم المســيح بعد أنتشارهم فى العالم وهدايتهم الخلق الكثير مما لا تسعه الكنيسة حيث أخرجوا الناس من عبادة أبليس وشياطينه ومن السجود والتقريب لأوثانهم وأظهروا عبادة الله فى جميع ذرية آدم حتى ختموا ذلك بتسليمهم أنفسهم وبذلهم دماءهم عن المسيح فصاروا معلمين بالقول والفعال قد ألزموا كل من قبل تعليمهم بما سمع من قولهم وعاين فعالهم شدة حب الله والتصديق بوعده والتواضع والصبر فى الحياة فى رضاء الله فأكرم الله أجسادهم وقبورهم حيث كانت من الأرض وأمتلأت كل بلدة من كنائسهم التى تمجدهم الأمم ويحج الناس إليها ويعظمون أمرهم ويستشفون بها ولذلك كثر الشهداء من بعدهم مما لزم طريقتهم وأخذ بأخذهم من الزهد فى كل ما فى الدنيا والرغبة فيما وعدهم المسيح من ملك السماء فى الآخرة والصبر على الموت الزائل فى طاعته فيما يصرون إليه من الحياة الدائمة من بعده والأختيار له على الحياة الزائلة كما يصير إليها من خالف الله من الموت الدائم من بعدها فأمتلأت الدنيا أيضاً من قبور أولئك الشهداء وعظامهم وتبينت قدرة المسيح فيها بأن يحج الناس إلى تلك المواضع ويجتمعون فيها فى أعياد أولئك الشهداء وتتبع التبرك من تلك العظام فتبرأ المجانين وتشفى الأمراض كلها بقوة المسيح الذى قتل أولئك الشهداء على الشهادة بأنه إله حق خالق فعال لما يشاء بمسرة الآب ومؤازرة الروح القدس وأن الآب والأبن والروح القدس إله واحد هو الذى وهب لهم الصبر على الموت إذ دعتهم الملوك والسلاطين الصنميون إلى عبادة شياطينهم وأختاروا الموت مع الأيمان على الحياة فى الكفرية ووهب لعظامهم قوة على طرد الشياطين ونقاوة الأمراض من كل من فزع إليها وأتاها طالباً منفعتها وإن فى هذا لأعجب العجب أن كنيسة الله من النصرانية لم تزل ولا تزال تقاتل فيقتل أهلها حتى ربما بلغ عدد القتلى من الشهداء على يدى الملك الواحد ألف ألف وألفى الف

وأكثر من ذلك حتى يحصون ثم ينمون ويكثرون ويزدادون قوة وبهاء ويباد الذين قتلوهم ويطفأ ذكرهم حتى لا يعرف شيء منهم ولا يوجد لهم أثر وتبقى آثار الشهداء القتلى وذكرهم عالياً يسمو ويعظم ويتمسح بقبورهم وآثارهم ويطلب منهم البركات والمنافع ويشفعون للعباد عند ربهم بأنفسهم الحية القائمة عنده تسبحه مع الملائكة فيشفعون لعظيم حبهم لله وليس لأحد حب أعظم من هذا أن يموت من أجل أحبائه كما قال المسيح فى الأنجيل فلذلك أستوجب الشهداء الدالة عند الله ببذلهم أنفسهم دونه . فهذه عطايا المسيح وجوائزه الجزيلة الجسيمة الرفيعة الكريمة الباقية الدائمة التى لا تزول حتى تؤول إلى كرامات الآخرة التى لا فناء لها . فقد تبين أن دعوة المسيح وتلاميذه هى الدعوة الأخيرة التامة التى عمت الناس أجمعين ولم يخص بالدعوة أمة دون أمة على ما ضرب المسيح فى المثل " الدعوة إلى العمل فى الحقل " فى الأنجيل فبين فيه أن دعوة أدم بالغداة من أول الدنيا . الدعوة الثانية دعوة نوح من بعد الطوفان . والدعوة الثالثة دعوة أبراهيم . وهذه الثلاث الدعوات دعوات بناموس الطبيعة . والدعوة الرابعة دعوة موسى بناموس كتاب التوراة . والدعوة الخامسة دعوة المسيح ورسله بناموس الأنجيل ، لم تخص هذه الدعوة بنى إسرائيل ولكن عمت الناس أجمعين الكثيرين البطالين من الأمم الذين لم ينزل عليهم كتاب التوراة ولم يكرز لهم أحد من الأنبياء وهى دعوة ناموس الموهبة لأن المسيح وهب لأهل دعوته تمام الأجرة لأيمانهم به ولم يحاسبهم بساعات النهار وبدأهم بالعطية قبل الأولين ولم يقبل فى ذلك نميمة حاسد بقدرته على أن يفعل بالذى له ما يريد ، ولكل دعوة من هذه الدعوات عهد من الله وميثاق معروف بينه وبين أهل تلك الدعـــوة وعلى كل عهد منها قربان لأن الله لم يعاهد أحدا من عباده عهداً من غير ميثاق وقربان . فكان العهد الأول من الله لآدم بقربان هابيل وبيان ميثاق الله لأهل تلك الدعوة أنزاله النار من السماء على ذلك القربان وقبوله أياه . والعهد الثانى لنوح بدم الذبائح التى قرب لله خروجه من الفلك وبيان ميثاق الله لأهل تلك الدعوة وضعه قوســـه فى السحاب يظهر فى العلو لأهل الأرض ، والعهد الثالث لأبراهيم فى الكبش الذى رفعه عوضاً عن أبنه أسحق فجرى فى هذا العهد قربانان أحـــدهما دم أســـحق المقبول عند الله بنية أبراهيم والآخـــر

الكبش المرفوع بالفعال . وبيان ميثاق الله لأهل تلك الدعوة وضعه أبراهيم أباً لأمم كثيرة وحلفه له أن يبارك جميع الأمم بزرعه الذى هو المسيح . العهد الرابع لموسى بدم الذبائح التى قرب هرون رئيس االكهنة الذى فصح به موسى جميع شعب إسرائيل وقال له هذا دم عهد الله الذى جعله بينه وبينكم وبيان ميثاق الله لأهل تلك الدعوى أثباته العشرة الكلمات التى أوصاهم بها بأصبعه فى اللوحين اللذين كسرهما موسى حين سجد بنو إسرائيل للعجل الذهب من دون الله فآذن موسى بكسره أياهما أن ذلك العهد منتقض والعهد الخامس العهد التام الذى لا نقض له بدم المسيح الذى قربه هو وقبله فكان هو الذبيحة لمغفرة الخطايا كما شهد يوحنا بن زكريا حين رآه على نهر الأردن فقال هذا حمل الله الذى يرفع خطايا العالم وهو المقرب كما شهد داود بحلف من الله الآب للمسيح أنت هو الكاهن المؤبد على طقس ملكى صادق . وهو الرب القائل ذلك مع الآب والروح القدس وتحقق فى المسيح وجها القربانين اللذين جريا فى قربان أبراهيم أحدهما أسحق المهراق دمه بنية أبيه أبراهيم أنه لم يشك فى ذبحه ، والآخر الكبش المرفوع بالفعال لأن المسيح قرب نفسه عشية الخميس الكبير وسقى تلاميذه من الكأس وقال لهم هذا دمى للعهد الجديد الذى يسفك عنكم وعن كثيرين ويقسم لمغفرة الخطايا فهذه ذبيحة روحانية حية قد تمت فى السر كما أحب ولكنه أهرق من دمه بالفعال على الصليب من غد يوم الجمعة الكبير حين طعن فى جنبه فسال منه ماء ودم . وبيان ميثاق عهد الله بينه وبين أهل هذه الدعوة أنزاله نار روح القدس على تلاميذه وعلى كل من أنصبغ وينصبغ فى المعمودية الواحدة فمن لا يعرف فضل دعوة المسيح الخالق الرب ويفضلها على سائر الدعوات التنى كانت قبلها على أيدى آدم ونوح وأبراهيم وموسى العبيد المخلوقين ويعرف أرتفاع عهده بدم ناسوته العاقل الكلمانى التام على سائر العهود بدماء الدواب والبهائم ويعرف تعالى ميثاقه لأهل دعوته بما أعطاهم من روح القدس الخالق على سائر المواثيق بالعطايا المخلوقة ومن لا يعرف أيضاً كبر كهنوت المسيح وشرفه على سائر الكهنة كلهم أن أولئك جميعاً من آدم إلى المسيح إنما كانوا ضعفاء يحتاجون إلى كثرة تقريب القرابين فى كل حين عن أنفسهم قبلا ثم عن الناس لأن الذنوب كانت لهم لازمة

وكانوا زائلين قد لزمهـم الموت والبلاء وبادوا وأنطلقوا ولم يعـودوا ، وأن المســيح قوى لم يحتج إلى أعادة التقريب غير مرة واحدة قرب نفسه عن الناس وليس عن نفسه لطهره وبراءته من الخطايا وجعل دمه فداءاً لبنى آدم كلهم ممن أراد أن يؤمن بذلك ويقبله ثم لم يملكه الموت ولكنه قهر الموت ولم ينل جسده البلاء ولا التغيير وقام بعد ثلاثة أيام حياً فهو كاهن مؤبد حقاً لا فناء لحياته ولا لكهنوته . وأنه هو القربان لأنه لم يقرب غير نفسه وهو الكاهن لأنه هو الذى قرب نفسه طائعاً ولم يل ذلك منه كاهن غيره ولا كان يوجد له كاهن يقربه أكبر منه لأنه ينبغى للكاهن الذى يقرب القربان أن يكون أرفع من القربان بالمسيح هو القربان بكيان ناسوته المقرب عن الناس وهو الكاهن باقنوم الكلمة الجامع لكيان لاهوته وكيان ناسوته وهو القابل للقربان بكيان لاهوته ولذلك قرب نفسه عشية الخميس وأطعم الحواريين من لحمه وسقاهم من دمه من قبل أن يسلم نفسه إلى الصلب وما كان ليؤكل لحم حمل ويشرب دمه من قبل أن يذبح فقد قرب المسيح نفسه عن كل من آمن به فداءاً لهم من الكفر والخطية والموت ثم أسلم نفسه بعد ذلك للصلب والموت ليس لتكون أحبار اليهود المنافقين أو ببلاطس الوالى الرومى الصنمى الكافر أو شرطه كهنة لقربان المسيح لا يكون ذلك ولكن ليتم أحكام تدبيره بذلك فأحتمل الصلب والموت بكيان ناسوته المحتمل لذلك ليتم ما فى الكتب من النبوات على ذلك وليميت الموت بموته ويفدى من آمن به من الموت بقيامته وليحقق القيامة لجميع الناس بحياته من بعد الموت وليخلص أنفس الصالحين من سجن الجحيم بإنفراد نفسه الناسية من جسدها ونزولها هناك وأخرجها تلك الأنفس من ثم وأدخلها أياها فى الفردوس بقوة لاهوته التى لم تفارق ناسوته ثم صعد المسيح رأس الكهنة كلهم المؤبد ودخل داخل الستر الثانى ليس خلف ستر الهيكل المعمول بالأيدى ولا فى هيكل بناه الناس ولكن داخل السماء الثالثة العليا فى أرفع الأرتفاع وأشرف الشرف فوق كل رئاسة وقوة وسلطان بدمه الواحد لخلاص واحد عام مؤبد لا أنتقاض له ولا حاجة إلى معاودته آخر الدهر ووضع لمن آمن به على يدى رسله الحواريين بوحى روح القدس كنائس ومذابح يقرب عليها من الخبز ومزاج الخمر والماء الذى أمرهم بلرومه والقيام على العهد بينه وبينهم الذى عهد الحواريين فيه وتقريبيهم ذلك على أسمه ليحيوا به ذكر ما فعل بهم من تقريبه نفسه عنهم فيذيعون موته دونهم ويصدقون بقيامته إلى أن يأتيهم من السماء بين السترين فوق السماء الدنيا ودون السماء العليا على ما أورى الله موسى فى صنعه الكنيسة على طور سينا على أبينهم لأن الملائكة تسعة أجناد مجندة معروفة بأسمائها . وأولها وأرفعها وأقربها إلى الله جند السارافيم ثم دونهم جند الكروبيم ثم دونهم جند المنابر ثم جند القوات ثم جند الأرباب ثم جند

السلاطين ثم جند الرؤساء ثم جند رؤساء الملائكة ثم أدنى الأجناد إلى الناس جند الملائكة التاسع ومراتب أجنادهم كلها ثلاث مراتب فى كل مرتبة ثلثة أجناد تجمعهم درجة واحدة .

فأرفع المراتب وأقربها إلى الله مرتبة تجمع ثلاثة أجناد السارافيم والكروبيم والمنابر ينالهم نور الله وقدسه وعلمه بلا واسطة بينهم وبينه فالأولى رؤساء الكهنة تقريب التسبيح لله والمرتبة الثانية مرتبة دون الأولى بينه وبينهم وهم الكهنة فى تسبيح الله والمرتبة الثالثة دون الثانية والمرتبة الثانية مرتبة تجمع ثلاثة أجناد الرؤساء ورؤساء الملائكة والملائكة ينالهم نور الله وقدسه وعلمه بتواسط من المرتبتين الأولى والثانية بينهم وبينه فكذلك أقام المسيح على الأرض كهنة الأمم على يدى تلاميذه الحواريين بمسرة الأب ووحى الروح القدس تسعة أجناد على عدد أجناح الملائكة وثلاث مراتب على شبه مراتبهم تجمع كل مرتبة ثلثه أجناد ، فأول المراتب مذبح المسيح مرتبة تجمع ثلاثة أجناد البطاركة والمطارنة والأساقفة فى درجة لأنهم رؤساء الكهنة كلهم ، والمرتبة الثانية دون الأولى مرتبة تجمع ثلاث أجناد الخوريبسكوبوس والبرودوطين والقسوس فى درجة واحدة إنهم كهنة كلهم ، والمرتبة الثالثة دون المرتبتين الأولى والثانية مرتبة تجمع ثلاثة أجناد الديا كونيين والأبودياكونيين والأنغسطيين فى درجة واحدة إنهم خدم شمامسته كلهم .

الفصل الثالث

ذكر بقية ما أعطانا المسيح من النعم والبركات

وقد ينبغى لنا أن نرجع فى قولنا إلى بقية ما أعطانا المسيح من الآثار المقدسة فى الدنيا والمكرمات .

١ - بقية الآثار . فنتممه بما أعطانا مع آثاره من آثار الأنبياء حيث ظهر لهم وكلهم . منها طور سينا حيث كلم الله موسى . وطور حوريب حيث كلم الله إيليا النبى وهو موضع من طور سينا أيضاً . وموضع دير أيوب الصديق حيث كلمه الله وكشفه وكشف عنه البلاء وحيث توفى وقبر . وجبل موسى حيث توفى فى أرض موآب شرق البحر الميت . ودير هرون أخ موسى رأس الكهنة حيث توفى وقبره بأرض السراه . وقبر أشعياء النبى فى كنيسة سلوان فى آليا . وقبر أرميا النبى فى الأسكندرية . وقبر دانيال النبى فى كنيسة بالسوس وقبر زكريا فى كنيسة بيت زكريا من جبل إيليا . وقبر عاموص فى كنيسة قرية تقوع من كورة إيليا . ورأس يوحنا بن زكريا فى كنيسة حمص من أرض الشام وجسده فى كنيسته بالقسطنطينية وغيرهم من الأنبياء على مثل ذلك مما فى القسطنطينية وسائر البلدان لأنه لم يعط الله مواضع الأنبياء وأثار المسيح وأماكن الحواريين والشهداء أمة غير النصارى منهم الذين طلبوها وأكرموها وبنوا كنائسها وفعل ذلك ملوكهم النصارى ومن دون الملوك من الولاة وغيرهم من شوقهم لشدة إيمانهم ورغبتهم فى الخبز ويصنع الله لهم فى ذلك ويقويهم عليه . وأعجب العجب فيما أورثنا المسيح من آثاره أيضاً منديلاً فى كنيسة الرها بأرض الجزيرة مسح وجهه فثبتت فيه جلية بينة من غير صورة ولا رقم ولا نقش .

(٢) روح القدس : وأعطانا المسيح خاتم العطايا وتاج المواهب وعظيم الكرامات رسم الروح القدس وتمثاله وقالبه وهو دهن الميرون الطيب المقدس الذى يختم أمـور دين النصرانية كلها .

لأن الروح القدس يحل فيه قبلاً ويقدسه بمخالطته أياه وأتخاذه أياه ثقلاً له يخالط به الثقليين فيصل إليهم قدسه معه وتختم المعمودية به ويختم كل مصبوغ فيها من بعد خروجه منها ولباسه ثيابه البيض تحقيقاً لبيض نفس المصبوغ فيها وبه تختم الكنائس والمذابح حين تختم ولا يتولى طبخه ولا تقديسه أحد من الكهنة غير رؤوس الكهنة من الأساقفة ورؤوس الأساقفة وكذلك كان قياسه ورسمه فى كتاب التوراة أن الله أمر موسى أن يتخذ دهناً طيباً يعمله من الزيتون المبارك من الشجرة المباركة التى جاءت الحمامة إلى نوح فى الفلك تحمل من قلب ورقها فى فمها علامة لرحمة الله لمن يبقى من ذرية آدم وعطفه عليهم وكفه عنهم ماء الطوفان وآيه دليلة على حصر الماء وظهور الشجر وإنكشاف الأرض وكان مجيئها نوحاً بذلك الزيتون نحو العشاء علامة لروح القدس النازل على كيان آدم فى المسيح فى نهر الأردن وهو الكيان الذى ألتحم به كلمة الله الخالق من مريم الآدمية وذلك فى آخر الزمان على شبه الحمامة التى أتت الفلك فى آخر النهار وأمر الله موسى أن يطبخ ذلك الزيتون على طبخ العطر بأخلاط من الطيب سماً له ليس من المسك الحرام لأنه دم من دواب ينعقد فتكون رائحته زهمة كريهة ولا من العنبر النجس لأنه زبل دابة ولكن من أزهار الشجر وعلوقها النقية لأن الطيب عند الله ليس ما أستطاب العباد من الطيب لديهم ولكن كل نقى زكى فذلك الطيب عند الله ولذلك فضل الزيتون على سائر الأدهان الطيبة الرائحة عند الناس وأمر موسى ألا يطبخ ذلك الدهن غير رؤســاء الكهنة من هرون وأولاده ولا يليهم ســواهم ولا يمسه غيرهم فمن مسه سواهم حل عليه القتل ولا يدهن منه أحد ولا يعالجن به ولا يدخل فى شىء من الوجوه التى يحتاج الناس إليها ولكن يكون مرفوعاً فى قرن من ذهب فى القدس ليمسح به الأنبياء والكهنة والملوك ويكون خاتماً وثباتاً لهذه المكرمات الثلاثة من النبوة والكهنوت والملك .

فلما جاء الحق وبطل الرسم وقام قرن داود الذى سماه الله فى المزمور بوحى الروح القدس أنه المسيح إذ قال داود من أجل صهيون أن الله قد أختارها وأرتضاها له مسكناً ثم قال عن قول الله هناك أنبت قرناً لداود قد هيأت مصباحاً لمسيحى ، فبين أن المسيح الطاهر فى صهيون الذى كان مأواه فى غرفتها هو قرن داود الذى أنبته الله هناك وكان يوحنا بن زكريا مصباحه الذى هيأ له فتقدم بين يديه يهدى الناس إليه ولذلك وضع الله فى كتاب التوراة ذلك الدهن فى قرن من ذهب مثالاً لقرن داود المسيح الذى ألتحم بالناسوت من مريم أبنة داود والشرف منسوب إلى القرن فى جميع الكتب فعند ذلك نزل الروح القدس الخالق على الرسل فى صهيون فى تلك الغرفة بدءاً ثم على كل من آمن بالمسيح وعمد على يدى الحوارين وعلى يدى خلفاهم من بعدهم من رؤساء الكهنة وعلى يدى كل كاهن يصبغ المؤمنين فى المعمودية نزولاً دائماً لا يمنع من النزول على كل من دخل المعمودية وعلى كل قربان يقرب على مذابح المسيح لأنه روح خالق حاضر فى كل مكان لا يخلوا منه مكان ونزوله ليس بإنتقال ولكن حلول فى من شاء وما شاء وإذا شاء وحيث شاء ومشئيته خلاص الناس من الكفر والخطيئة ودخلوهم فى الإيمان والصلاح ولذلك لا يمنع أحد من قدسه ولا يدفع من تقديم إليه بإيمان عن حلوله به ولا يعدم نوره ولكن من أجل أنه روح من جوهر الله لا يرى لذلك وضع له الرسل بوحى منه مثالاً وهو هذا الدهن الميرون وترجمته الطيب ليس لأرتفاع طيب رائحته ولكن لأستطابة الروح القدس أياه وإتخاذه أياه رسماً ومثالاً وطابعاً على ما وضع له على يدى موسى فى كتاب التوراة من القائل بوحيه قديماً ثم أتم صورته على يدى الرسل بوحيه حديثاً فجعل هذا الدهن الطيب قدساً فوق كل قدس لا يعالجه إلا رؤساء الكهنة من الأساقفة ورؤساء الأساقفة ولا يلى قدسه غيرهم ولا يدهن منه أحد ولا يدخل فى شىء من حاجات الناس ولكن يكون مرفرعاً فى القدس لتختم به المعمودية وكل مصبوغ فيها وكل كنيسة وكل مذبح لأنه طابع ومثال الروح القدس الآله السامى المنفرد بقوامه الإلهى غير متجسد . فأما القربان فمثال الكلمة الآله المتجسد بقوامه الألهى قوام لاهوته وناسوته جميعاً فمن أجل ذلك ولى جميع الكهنة القربان ولم يجعل لهم أن يلى أمر الميرون غير رؤساء الكهنة خاصة ليس أن روح القدس أرفع من الكلمة وكيف يكون ذلك والجوهر واحد والنور واحد والأمر واحد والمشيئة واحدة والقوة

واحدة ولكن من أجل أن القربان مثال أقنوم الأبن الآله المتواضع المتجسد والميرون مثال أقنوم الروح القدس الآله غير المتجسد وليس بينهما فرقة منقطعة ولا خلطة متلبسة لأنه إله واحد الأب الذي لم يتجسد والأبن المتجسد والروح الذى لم يتجسد . تثليث أقانيم ثلاثة من غير فرقة وتوحيد جوهر نور واحد من غير التباس من التثليث ولا أفتراق من التوحيد .

٣ - الصوم : وفرض المسيح على جميع من آمن صوماً حده لهم بنفسه إذ صام أربعين يوماً وأربعين ليلة لم يأكل ولم يشرب فيها ليكون معلماً تاماً لا يقول ما لم يفعل ولكن يفعل ما يريد أن يقول من قبل أن يقوله ، بل لم يأمر بمثل ما فعل لأنه طوى الصوم أربعين يوماً وأربعين ليلة وصالاً لم يأكل ولم يشرب وأمر بصوم أربعين ولم يأمر بأتصالها لضعف الناس عن ذلك ولأنه لم يرد من أحد شيئاً كرهاً إلا ما فعل كل أحد طائعاً من الزيادة على الفريضة . وكان رسم صوم الأربعين وما فى الكتب معروفاً على يدى موسى وإيليا من رؤساء الأنبياء فموسى صام أربعين يوماً ولياليها فأعطاه الله لوحى التوراة وصام إيليا فبعثه الله يمسح أنبياء وملوكاً ، وختم ذلك كله المسيح بصومه أربعين يوماً ولياليها ولذلك حضر تجلى المسيح فى طور تابور هذان النبيان اللذان لم يصم صوم الأربعين وصالاً غيرهما . وسبب الأربعين معروف أيضاً وذلك أن الله من قبل كل شيء خلق عشرة أجناد الملائكة فسقط منهم أبليس وجنده وبقيت تسعة أجناد فخلق الله آدم ليتمم منه ومن ذريته عدد ذلك الجند الساقط فأخطأ آدم وعصى وطغت ذريته وكان منهم على ذلك صديقون صالحون قليلون ولم يزل الله يتعاهدهم بالأمر والنهى إلى أن أنزل كتاب التوراة على موسى فجاء من بنى إسرائيل من الصالحين أكثر مما جاء قبل ذلك إلى أن ظهر المسيح وبعث رسله الحواريين فجلبوا الناس من بنى إسرائيل وسائر الأمم أجمعين إلى الهدى والإيمان وكثر الصالحون كثرة كثيرة جداً لا تحصى ففرد ذلك الجند من أهل دعوة المسيح ومنهم يتم ثم تقوم القيامة عند تمامه فصار الأنسان جزءاً عاشراً عند الله لذلك لم يزل الله يأمر آدم وأولاده بالعطاء من أول الدهر وهو العشر أن يأتوه إلى الله من كل ما يملكوه وخلق الله جميع الخلائق من أربعة أركان العناصر ومنه مرج خلق الأنسان أيضاً فإذا ضرب عدد العشرة أجناد

التى تتم بالأنسان بعدد العناصر التى منها خلق الأنسان صار ذلك أربعين فصار عدد الأربعين تاماً مؤلفاً من عددين تامين منها تمام الأجناد العشرة وتمام الأركان الأربعة وكما لزم الأنسان أن يأتى بزكاة ماله بقدر عشر ما يملك إلى ربه الذى خلقه جنـــداً عاشراً كذلك لزمه أن يؤدى زكاة حياته بأدائه عشرها صـــياماً تاماً إلى ربه تائباً يصـــوم الأربعين يوماً زكاة حياة الأنســـان لأن عدد السنة ثلثمـــائة خمسة وســـتين يوماً وعشرها ستة وثلاثين يوماً ونصـــف يوم وعدد الإربعين من وراء ذلك يأتى على عشر السنة فلذلك سن صوم الأربعين .

فإن قال قائل قد وجدنا فى الأنجيل أن المسيح صام أربعين يوماً ولم نجده فرضها على أحد ولا أمر بها قلنا له أن فريضة الصوم لم تكتب فى الأنجيل فقط بل ولم يذكر كثيراً مما هو كان أولى منها أن يكتب من صفة دهن الميرون وقدسه الذى هو خاتم أمور الدين كلها ومن أمور الكهنة التى قوام الدين بها . ومن أبين درجاتها كلها من الأساقفة والقساوسة والشمامسة وغيرهم من خدم المذبح ومن بنيان الكنائس على جهة المشرق وتقديسها وإثبات المذابح بها وتقديسها وليس ذلك أن المسيح ترك شيئاً من ذلك ولا غيره من شرائع دين النصرانية وسننها لم يفرضه ويأمر به ولكنه لم يل دعوة الناس هو بنفسه ولا خرج إلى أمة من الأمم ولا فارق بناسوته أرض بنى إسرائيل الذين إليهم جاء وفيهم ظهر وبهم بدأ ليتم ما فى كتبهم من النبوات عليه وأن لا تبقى لهم حجة فى كفرهم به وليكن جميع تدبيره من أول حلول قوامه الإلهى بمريم العذراء والتحامه بالناسوت منها فى مدينة الناصرة من أرض جليل الأردن إلى أن صعد إلى السماء بذلك الناسوت من طور الزيتون من جبال آليا من أرض فلسطين فى وسط الدنيا وسرة الأرض كلها بين الأمم والناس أجمعين شرعاً سواء . ثم أختار لنفسه تلاميذ حواريين (وترجمة الحواريين الأنقياء البيض القلوب المختارين) وأنتخبهم وأنتقاهم من جميع أمة إسرائيل ورضيهم لنفسه رســـلاً إلى الناس وكرزة ينادون بأسمه ويدعون بنى آدم أجمعين إلى الإيمان به وقدسهم بروح القدس وقواهم بالأيات العظام والعجائب الرفيعة وأئتمنهم على ما وجههـــم له وأوصاهم بكل ما أراد وأعز إليهـــم فى ذلك كله بما أحب وبعثهم إلى كل وجـــه من الدنيا ولم يفارقهم بلاهوته مثلما وعـــدهم فى الأنجيل أنى معكم إلى أنقضـــاء الدهر ولم يبرحهـــم روح القدس ولم يغب عنهم وحيـــه فى كل موضـــع وعلى كل حال يظهرهم على كل ما ينبغى لهم أن يفعلوا .

فمن كتب الأنجيل منهم فبوحى الروح القدس وحضور المسيح معهم ومسرة الآب كتبوا ، ومن فرض منهم فريضة وسن وسنة وأمر بأمر فبوحى الروح القدس وحضور المسيح ومسرة الآب فعلوا ذلك وليس الذين كتبوا الإنجيل أولى بالصدق والطاعة من الذين لم يكتبوه منهم لأن كلهم صادقون أهل لأن يطاعوا دائماً . كتب الإنجيل أربعة من التلاميذ منهم أثنان من الأثنى عشر أحدهما متى والآخر يوحنا والأثنى عشر أحدهمـا مرقص والآخر لوقا فجميعهـم رسل المسيح الواحد . ولم يخالف بعضهم بعضاً فى شىء من الأشياء مع أفتراقهم وبعد بعضهم عن بعض لأن الذى أيدهم بالوحى روح القدس الواحد بمسرة الآب بهم وحضور الأبن معهم وتقوية الروح القدس لهم . أختارهم المسيح على معرفة منه بهم وبعثهم رسلاً ورضى بهم لنفسه ولم يتكلهم على أنفسهم لحضوره معهم ولزوم الروح القدس لهم فكل ما أمروا به أهل الإيمان فهو من المسيح وكل ما فرضوه عليهم فهو فريضته وكل شىء سنوه ووضعوه لهم فهو سنته وأموره فهم الذين أمروا من آمن بكرازتهم بالصلاة دائماً على كل حال وفى كل حين وأمروهم بصـــــوم الأربعين يوماً فريضة جامعة وبصوم أسبوع سواها وأروهم بإيثار الصـــدقة على ذلك كله لأنها أفضل الإيمـــان وأنفع الحســنات على ما ذكر المسيح من ســـؤال الناس عنها يوم الحساب وإدخال ملكه من عمل بها وقصاص من تركها . وأمروهم بلزوم المحبة قبل كل شىء وبعد كل شىء لأنها زمام الحسنات كلها كما أوصـــاهم المسيح فى الإنجيل وأوصــــوهم بلزوم كل حســـــنة ونهوهم عن كل سيئة كبيرة أو صـــغيرة إلى أن يبلغ ذلك الكلمة الباطلة وطــرفة العين ولا يدعون فى أنفسهم للشر موضعاً ليكونوا بنى النور ليس معهم من ظل الظلمة شىء فيستوجبون بذلك ملك السماء .

فالحمد للمسيح سيدنا ومخلصنا وربنا وإلهنا والشكر له دائماً على ما فضلنا وأنعم به علينا من جزيل نعمه ورفيع عطاياه وكريم مواهبه ما أورثنا فى العاجل والأجل من الخيرات الشريفة الثابتة التى لا تزول ، الباقية لا تتحول ، الدائمة لا تتغير ذى القدرة والسلطان والملك فى السماء والأرض إياه نعبد وله نسجد مع الآب والروح القدس بعبادة واحدة وسجود واحد ونؤمن بالتثليث ولا نخرج من التوحيد وبعد التوحيد ولا نكفـر بالتثليث . ونسجـد لإلـه واحد الآب والأبن والـروح القدس بسجـود واحد ونمجده تمجيـداً واحـداً الآن وأبداً وإلى جميع أدهـار الأدهار . آمين .

الكتاب الثانى

مبدأ الرسوم والشهادات

من قول القديس أثناسيوس الرسولى

فى تجسد ابن الله المحيى وغير ذلك

(تمهيد لمحرر مجلة الفردوس) بدأ أثناسيوس كتابه هذا بالقول أنه وعـــد بكتابه الاول انه يتم الادلة لأثبـــات لاهوت المســيح وتجسده وها هو يكتب فى الرســوم الكتابية الدالة على ذلك .

١ - الرسم الاول (ملخصه لمحررالفردوس ايضا) لخص أثناسيوس هنا ما سبق وقاله فى كتابه بأن الله خلق الملائكة خلقا لطيفا روحانيا وخلق خلقا حسيا غير لطيف وهى المخلوقات غير العـــاقلة فلم يكن بينهما ائتلاف حتى خلق الانسان المؤلف من مادة وروح متصلا بالمخـلوقات غير اللطيفة بجسده وبالمخـلوقات اللطيفة بروحه وصار رسماً لخلطة لاهوت المسيح بناسوته فى شكلين : الاول خلطة بين الخلق الاعلى والخلق الأسفل بآدم الجامع لجوهريهما والأخرى خلط آدم بعينه من جـوهر شـبه جسده ودمـه وجوهر العـاقلة الكلمانية فى اقنوم واحد وقوام انسان واحد آدم الاول .

– اذ رأى الخالق انه لا ينبغى للانسان أن يكون وحده فألقى على آدم سباتا ونزع ضلعا من أضلاعه وتم مكانها لحما وبنى الضلع التى اخذ من آدم امرأة ، ولو شاء لكان قادرا ان يخلق المرأة من العناصر مثلما خلق الرجل ولكنه أراد ثبات رسوم الخلطة واعلام الملائكة والناس انه لا تتم له الرحمة والخير كله من دون الخلطة ، العظمى المرسومة بدءاً وظاهرة بآخره فصار آدم وامرأته جسدا واحدا بالخلطة والالفة كما قال آدم متنبئا بروح القدس : هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى . هذه تسمى امرأة لأنها من زوجها أخذت . من أجل ذلك يدع الانسان أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان كلاهما جسدا واحدا : وقد فسر ذلك بولس الرسول وقال هذا السر عظيم ولكنى أقوله من نحو المسيح والكنيسة ، ويعنى بالكنيسة جماعة المؤمنين فهم بحق من لحمه ودمه بمخالطة لاهوته لحم ودم ناسوته .

٣ – ورسم آخر وضعه الخالق فى مصابيح الشمس التى هى نور الدنيا والقمر والنجوم اذ خلق النور فى اليوم الاول لطيفا روحانيا مرسلا لا جسد له فأقام النور على ذلك ثلاثة ذات الانفس كلها والحواس لم تقدر ابصارهم على اثبات معاينة النور على انفراده مرسلا ، كما لا تقدر على اثبات معاينة النور فخلق لدلك النور اللطيف الروحانى مصابيح جسمانية ثقليه فى اليوم الرابع والفه بينها بخلطة بينه وكان اسم النور من قبل خلطته بالمصابيح اسما واحدا جامعا لجوهره كله فلما وضع فى المصابيح وخالطها لزم خلطة كل مصباح اسما على حدته وسمى المصباح الاكبر شمساً والمصباح الاصغر قمراً والنجوم كذلك بأسماء شتى ولم يسم نور النور الروحانى من قبل أن يخلق وعاء مصباحه الجسمانى شمسا ، ولا سمى الوعاء الجسمانى من غير نور شمسا ولكن الخلطة الجامعة للجوهرين فى الشمس سميت قمراً فمن قال شمسا سمى جوهر الشمس جميعا جوهر نورها اللطيف الروحانى الاول وجوهر مصباحها الغليظ الجسمانى الآخر بتوحيد اقنوم الجامعة لهما فى شمس واحدة وكذلك القمر والنجوم لذلك سمى المسيح فى الكتب شمس العدل لأنه مسيح واحد اقنومه الجامع لجوهر لاهوته وجوهر ناسوته جميعا بالخلطة فما سمى جوهر لاهوته من قبل الناسوت مسيحا ولكن الخلطة من كليهما دعى مسيحا فمن قال مسيحا فقد قال إلها متأنسا بتوحيد اقنوم واحد تام اقنوم البنوة الجامع لهما بالخلطة جميعا فهذه رسوم ثابتة فى كتب الله لخلطة المسيح بناسوته .

٤ – ورسم ملكى صادق أيضا شاهد كبير على كهنوت المسيح انه مؤبد وانه قربان وخبز وخمر وأن جنسه لا يتحدث به لأنه مولود من الاب بأقنوم البنوة مولدا أزليا إله من إله بلا أم ومولود أيضا من الام بذلك الاقنوم بعينه مولدا زمانيا إله متأنس مسيح واحد من مريم العذراء بلا اب . لذلك لم يذكر لملكى صادق فى كتاب أب وأم ولا نسبة وسمى ملكيصادق وترجمته ملك السلام وأنه كاهن الله العلى وأنه بارك ابراهيم بلا مرية ولا منازعة والمبارك أكبر من الذى يبارك وأعطاه ابراهيم العشر من كل ما كان معه ، وآخذ العشر أكبر من معطيه بلا شك وكاهن الله العلى ارفع ممن ليس بكاهن . فتبين فضل ملكيصادق الذى لا نسبة له فى الكتاب على ابراهيم صاحب العهود من الله ولم يذكر له أيضا فى الكتاب بدء ايام ولا فناء حيوة ليكون رسما صادقا وشبها فى جميع خصاله للمسيح ابن الله بلا ام وابن مريم بلا اب وانه لا نسبة للاهوته ولا بدء ولا فناء ، ولا لناسوته ايضا فناء . لذلك هو كـاهن مؤبد لا يبطل قربانه أبدا بالخبز والخمـر ولا مـذابحه حتى يأتى كاهنا أيضا وملكا ديانا من السماء بمجده لذلك تنبأ داود عن المسيح وقال حلف الرب ولن يندم أنت كـــاهن الى الدهر على رتبة ملكيصادق بالخبز والخمر لأن ملكيصادق لقى ابراهيم بالخبزوالخمرحين باركه .

٥ – ورسم ايضا محقق لحب الله الانسان وانذاره بمخالطته الناسوت تشبهه بانسان فى الفردوس ليسمع آدم صوت مشيه اذ ناداه فقال له آدم أين أنت . فقال آدم صوت مشيك سمعت العشية فى الفردوس وخفت انى عريان فاختبأت وليس يسمع صوت مشى اله خالق ولا خلق روحانى لطيف وانما يسمع صوت الجسد الثقلى بالوطء ولولا تشبه الاله بانسان لم يسمع صوت وتشبه الله بجوهر الانسان من بدء الدهر تحقيقا لحبه الانسان ورضاء بمخالطته

اذ نادى آدم من بعد معصيته فقال آدم أين انت فقال آدم صوت مشيك سمعت العشية فى الفردوس فخفت لأنى عريان فاختبأت . فبين بهذا القول ان الله كان يمشى على شبه انسان فى الفردوس حتى سمع آدم وطىء قدميه وليس يسمع للطف الله الخالق وقع وطء ولا حس من غير جسد .

٦ - ورسم نزول الله بإبراهيـم بشبه إنسان مع ملاكين لرسم التثليث . فقد بين الكتاب أن أحد الثلاثة الرجال هو الرب النازل بابراهيم اذ قال فى القصة ان الله رؤى لابرهيم ثم قال انه بشره بولد من سارة ثم أطلعه على ما يريد أن يصنع بسادوم وعمورة وبين انه علامة وأقر ابراهيم انه ربه ديان الارض كلها كان يطلب لمعرفته برحمته وقدرته على ان يهلك ويستبقى ثم ميز الكتاب الرب من ابراهيم والملاكين اذ قـال ذهب الرب حين كف عن كلام ابراهيم وانصرف ابراهيم الى مكـانه ومضى الملاكان الى سادوم فمن ينكر محبة الله للانسان ورضاه بالتشبه بجوهر ناسى لاؤليائه من الناس وأنبيائه .

٧ - ورسم آخر مؤذن خلطة لاهوته بناسوته على عود الصليب اذ تراءى الله ليعقوب بن اسحق بن ابراهيم وهو منطلق الى حاران هربا من أخيه عيسو اذ رأى سلماً ثابتا على الأرض ورأسه يبلغ السماء وملائكة الله يطلعون وينزلون عليه والرب مسـتند عليه وقال أنا اله ابراهيم أبيك وإله اسحق . لا تخف . الارض التى أنت قائم عليها لك أعطيها ولزرعك ويـكون زرعك مثل رمل البحـر فأى قياس أوضح لاسـتناد المسيح على عود الصليب من استناد الرب على عود السلم .

٨ - ورسم آخر على يدى ابراهيم لاحتمال المسيح المصائب والصلب والموت بناسوته وبراءة لاهوته من ذلك كله وإقامة لاهوته ناسوته من الموت فى اليوم الثالث حين قال الكتاب ان الله امتحن ابراهيم بأن أمره ان يذبح ابنه اسحق كما ورد ف (تك ٢٢ فراجعه هناك) . فمن لا يعقل ممن يعقل ويعرف الحق بقياس الرسم ان الاب الخالق اسلم ابنه الحبيب عن خلقه لخلاصهم ، واحتمل المصائب والموت بناسوته على رسم الكبش المعلق بشجرة بلوط مثل تعليق المسيح على الصليب ولم يصل شىء من ذلك الى جوهره كما لم يصل الذبح ولا الموت الى اسحق ، وان اسحق حمل حطب تقريبه لقياس حمل المسيح صليبه وكان مع ابراهيم غلامان قياسا الى اللصين المصلوبين مع المسيح ، وكانت السكين مثالا للحربة ، والنار مثالا للاهوت وصعد ابراهيم الى الارض العالية وهى ايليـا وأقام المذبح على الجبل الذى قال الله له وهو جبل الجلجلـة حيث صلب المسيح لأن ابراهيم كان يسكن على بئر الحلف وهو فى حبرون قرية من كورة بيت جبرين من فلسطين ، وبينه وبين ايليا مسيرة يومين وبعض الثالث . لذلك جاء

ابراهيم الى المكان الذى قال الله له فى اليوم الثالث فى الارض العليا لأن ايليا ارفع ارض فلسطين وكان انصراف ابراهيم بابنه اسحق منجى من المذبح والحرق حيا سليما فى ذلك اليوم الثالث رسما لقيامة المسيح من الموت فى اليوم الثالث وعرف ذلك ابراهيم بالوحى وتبين الحق بالرسم وعلم ان الاب الخالق يسلم ابنه لفداء الناس وأن قيامته تكون فى اليوم الثالث وفرح مع ذلك بقبول قربانه وانصرف إبنه معه حيا ، ولذلك جاء المسيح بذكر هذا الرسم فى الانجيل وقال لليهود هوذا ابراهيم أبوكم تهلل ان يرى يومى فرأى وفرح ، يعنى بيومه يوم قيامته ولذلك قال رأى وفرح لفرح القيامة من بعد الصلب والحياة من بعد الموت : قال له اليهودخمسون سنة ليس لك بعد وقد رأيت ابراهيم فقال لهم آمين أقول لكم من قبل ان يكون ابراهيم كنت أنا ليحقق أنه خالق ابراهيم الأزلى النازل به .

٩ – ورسم كبير أيضا لمخالطة لاهوت المسيح ناسوته وهو ظهور الله ليعقوب أيضا عند انصرافه من حران ومصارعته اياه . قال الكتاب ان يعقوب قال له اخبرنى باسمك فقال له ولأى شىء تسأل عن اسمى وهو المعجب وبارك عليه . ثم دعا يعقوب اسم ذلك المكان شبه الاله لانى قد رأيت الله وجهاً لوجه فمن ينكر بعد هذا الرسم حب الله للانسان ومخالطته اياه .

١٠ – ورسم يوسف بن يعقوب وحسد اخوته له ظلما وبيعهم اياه وطلبهم قتله وتلطيخهم ثوبه الموشى بدم جدى ونزوله الى مصر وحبسه فى السجن وخروجه الى ملك وسلطـــان كبيرين وسجود اخوته له فى ملكه وهم احدى عشر ، مثالا بينا للمسيح وحسد اخوته بالناسوت اليهود ظلما لبيعهم اياه ولطالبيهم قتله وتلطيخهم ثوب ناسوته الموشى بلاهوته بدم ناسوته . لم يصل ذلك الى لاهوته . ولنزوله الى الجحيم ولحبسه فى سجن القبر ولخروجه منه حيا ملكا مسلطنا قد أعطى لاهوته ناسوته كل سلطان السماء والارض كما قال فى الانجيل ولســجود اخوته الرســل له فى ملكه وهم أحد عشـر لان يهـوذا الذى باعه خنـــق نفســـه ولم يبصر مجد الرب .

١١ – ورسوم كثيرة على يدى موسى ، منها رسم نزول لاهوت الكلمة الخالق وحلوله بمريم العذراء الادمية واحتمالها ناره ولم يحرقها ولم ينلها تغيير من نزول الاله على طور سيناء وحلول ناره بشجرة عليق اذ رأي موسى العليقة تلتهب ناراً ولم تحترق فقال اميل انظر هذا المنظر الكبير ما بال العليقة تلتهب نارا ولم تحترق فلما رأى الرب انه يدنو لينظر ناداه من العليقة وقال له موسى موسى ما هو فقال له الرب لا تدن ههنا . حل الحذاء من رجليك لأن الموضع الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة ثم قال أنا إله آبائك إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب فمن ينكر الحق فى حلول الله الكلمة بمريم العذراء وتكوينه حجابا له منها وهيكل جوهر ناسوته بلا دنس ولا خطيئة وتكليمه الناس من ذلك الحجاب من بعد اقراره للرسم فى حلول الاله بشجرة عليق ضعيفة مشوكة وتكليمه موسى منها ولا يعرف فضل ما بين شجرة العليق المشوكة والناسوت الطاهر المأخوذ من مريم المطهرة بفضل ما بين الرسم والحق .

١٢ – ونزول الله ايضا على طور سيناء وظهوره لجميع شعب اسرائيل فى حجاب سحاب وضباب مظلم وتكليمه لموسى بـــأسماعه الشعب صوته قياسا بينا لنزول الله الكلمة ومخالطته جـــوهر الناسوت وظهوره لجميع من رآه من النـــاس فى حجاب الناسوت وتكليمه اياهم بسمع بين . ثم أعطى المسيح الرسل تلاميذه ناموس الحرية الذى هو الانجيل بوحى روح القدس النـازل عليهـــم فى طور صهيون لتمام خمسين يوما من قيامته من الموتى وهو يوم فصحه على رسم ما أعطى الله موسى ناموس العبودية الذى هو التوراة مكتوبا بأصبع الله الذى هو روح القدس فى لوحين من حجـــارة على طور سيناء لتمام خمسين يوما من يوم نزوله على الطور .

١٣ – والفصح الذى صنع شعب اسرائيل بأمر الله بمصر على يد موسى وهارون رسم معجب لفصح المسيح كما هو مفصل بسفر الخروج وقد أمر الرب أن يعيدوا يوم الفصح ناموسا الى الدهر ذكراً لاخراج الله اياهم من مصر وأجازهم الى الارض التى وعد بها لآبائهم لأن ترجمة الفصح مجازا ولولا عناية كلمة الله فكلم موسى بهذا بما هو كائن منها فى آخر الأزمان من تأنسه وتحقيق فعاله ما احتمل هذا التلخيص من صفة فصح الحمل ولكنه أراد تحقيق الحق بتلخيص الاسم لأنه هو كلمة الله الآب

الذى كلم به الأنبياء فنطق على ألسنتهم فصار حمل الفصح الأول رسما للمسيح كلمة الله الخالق بالناسوت المخلوق حمل الله الذى يحتمل خطية العالم كما قال يوحنا المعمدان الذى أسلم نفسه عن الرعية وجعلها فداء . عن كثيرين كما قال فى الانجيل فهو ذكر لانه رجل وهو تام لانه إله متانس آدم الثانى السماوى فيه تمام كنيسته جماعة المؤمنين به كما كان فى آدم الأول الارضى تمام امرأته حواء وهو ابن سنة لانه حمل تام شاب بناسوته ولا عيب فيه لانه طاهر بلا خطيئة ويؤخذ فى الشهر الاول نيسان لان فيه خلق آدم الاول وهو أول شهور الدنيا وفيه جدده خالقه من بعد ان أخلقته المعصية وأخلقت ذريته بالكفر والخطايا لان فى هلال نيسان الذى صار فيه الفصح الاول أفصح المسيح مع تلاميذه الحواريين فى غرفة صهيون يوم الخميس يوم الفصح الاول فأكل الاول الذى هو الرسم مع تلاميذه أولا ثم قرب نفسه من بعد ذلك عن جميع من آمن به ذبيحة حية فكان هو الحمل المقرب بناسوته وهو الكاهن المقرب المؤيد كما تنبأ داود فى الزبور على رتبة ملكيصادق بالخبز والخمر وهو القابل للقربان بلاهوته فقرب نفسه وأعطى تلاميذه الخبز الذى باركه وصيره لحماً وقال خذوا كلوا هذا هو لحمى ، وكذلك ناولهم كأس مزاج الخمر والماء وقال لهم اشربوا منه كلكم هذا هو دمى دم العهد الجديد الذى يهرق عن كثيرين . هذا أفعلوه لذكرى ، فبين بقوله هذا وبما فعله أنه قد أبطل الرسم الاول وقربان الدماء وأثبت الثانى الحق وقربان الخبز والخمر وأثبت كلمته فانتقض العهد الاول العتيق ولم يبق فى بنى اسرائيل مذبح ولاقربان ولا ذبيحة وقام العهد الثانى الجديد الى الابد وثبت المذابح فى جميع الامم وقربان الخبز والخمر دائماً وبقية الرسم ان الحمل يؤخذ فى اليوم العاشر ويحفظ الى اليوم الرابع عشر . وذلك ان المسيح انما ظهر لبنى اسرائيل وهو ابن ثلاثين سنة على نهر الاردن كما قال يوحنا انى لم أكن أعرفه ولكن لكيما يظهر لاسرائيل جئت أنا أعمد بالماء لان العشرة عددتام والثلاثين أتم من العشرة لانها عشرة مضعفة بالتثليث وانه أقام من بعد الثلاثين سنة والمعمودية ثلاث سنين وبعض الرابعة يعمل الآيات ثم قربت نفسه فى السنة الرابعة واحتمل فيها أيضاً المصائب والموت عن ذرية آدم قياسا لذبح بنى اسرائيل الحمل فى اليوم الرابع من بعد العشرة يوم الاربعة عشر ثم ذبحهم اياه عند العشاء ووضعهم من دمه على الاسكفتين والقائمتين فى بيوتهم لئلا يعرض

لسكانها قتل ولا جرح رسما لتقريب المسيح نفسه في غرفة صهيون عشاءاً ووضع كل الذين يؤمنون به من دمه حين يتقربونه من كأس مزاج الخمر والماء على شفاههم وأفواههم وأعينهم اسكفتي بيوت أجسادهم وقائمتيها فيكون ذلك الدم المقدس علامة لئلا يعرض لانفسهم سكان أجسادهم هلاك ولا جراح وأكلهم الفطير سبعة أيام لا يوجد في منازلهم خمير ومن أكل مخموراً تستأصل تلك النفس من الشعب فرسم كبير بين لفطرة دين المسيح وعهده الحديث وانه لا يحل ان يؤخذ معه خميرا عتيقا الذى هو العهد الاول فمن قبل أو عمل شيئا مختمرا من عتيق الناموس مما آمن وأكل من فطرة حديث دين الانجيل تستأصل تلك النفس من الشعب شعب اهل الايمان بالانجيل واكلهم الحمل مشويا لا نيئا ولا مطبوخا بماء الا مشويا رسما بينا أيضا كله ووصفه اكلهم اياه قياما بمناطقهم واحذيتهم وعصيهم وبعجلة لان خبز جســد قربان المسيح لا يؤكل نيئا ولا مطبوخا بماء الا مخبوزاً بشوى النار والذين يتقربونه لا يتقربونه الا قياما متمنطقين بالايمان محتذين بالتقوى متقوين بعصا قوة المسيح الدافعة للبلايا وبعجلة يأكلونه ايضا بالخوف والوقار له . فأما امر الله أن لا يكسروا منه عظما فذلك نبوة على جسد المسيح بوجه الرسم لان اليهود سألوا بيلاطس الوالى الرومى يوم صلب المسيح واللصين معه يوم الجمعة عند المساء ان تنزل اجسادهم لحضور السبت فأمر بيلاطس ان تكسر سيقانهم ويرفعوا على سنة الرومان فى جاهليتهم فجاء شرطة من المقاتلة فكسروا ساقى اللص الاول والاخر اللذين صلبا معه ووجدوا المسيح بقدرة لاهوته قد خلى نفس ناسوته حين شاء وبقى جسده ميتا فلما راوا انه قد مات لم يكسروا ساقيه كما يتم الكتاب القائل عظم منه لا يكسر . هو هذا الرسم الثابت فى كتاب التوراة فى فصح الحمل الذى امر بنى اسرائيل ان لا يكسروا منه عظما . وأكلهم الفطير سبعة ايام دليل على ثبات فطرة دين اهل الانجيل حديثا فى جمع ايام الدنيا التى تدور على تسبيع الايام وانه لا ينقضى حتى تنقضي الدنيا ويأتى اليوم الاخر الثامن كما فسرنا فى كتابنا يوم يأتى المسيح من السماء بمجده ملكا ديانا فيمجد كل من آمن به ويورثهم ملكه ورسم اكلهم مع الفطير مرار الخس وصبغهم حزمة الصعتر المر فى دم الحمل مؤذن بأن مرارة البلايا والجهاد تتبع المؤمنين بفطرة دين المسيح وامر الله ان لا يأكل من الفصح الاول احد من الغرباء ليس من جنس اسرائيل

وكل خادم مشترى تختنه . ومن بعد ذلك يأكل الفصح وضيف واجير لا يأكلان منه . وان اتاكم دخيل يريد ان يصنع معكم الفصح فاختتن كل ذكر منهم وحينئذ يتقدم فيصنعه وكذلك من كان من اهل البلاد ايضا لا يأكل منه غير مختون ناموساً واحدا يكون لابن البلاد والدخيل الداخل فيكم . رسم لكنيسة المسيح ان لا يأكل من فصحه وقربانه ولحمه ودمه احد غير معمد ولا يأكل منه من ليس من اهل دين المسيح من اراد الدخول فى دينه والا كل من فصحه يعمد قبلا وحينئذ يتقرب وان كان من اهل البلاد من بنى النصارى لا يتقرب حتى يعمد . ناموس واحد هو لابن البلاد من اولاد النصارى وللدخيل الداخل فى النصرانية لا يأكلون من فصح قربان المسيح حتى يعمدوا قبل ذلك .

وأمر الله موسى وهارون وبعثتهما جميعا للعناية بأمر فصح الحمل رسم لبعثة المسيح لتلميذيه الرسولين بطرس ويوحنا وهو فى بيت عنيا فى منزل سمعان الابرص الى مدينة أورشليم ليهيئا له الفصح فى غرفة صهيون حيث أكل معهم فصح الرسم قبلا وابطاله ثم أطعمهم فصح الحق وأثبته . وتمام رسم الفصح ان ترجمة اسمه المجاز (العبور) ففصح الحمل فصح الأول مجاز بنى اسرائيل أمة واحدة من كورة واحدة وهى مصر الى كورة واحدة وهى أرض بنى اسرائيل وفكهم من عبودية القبط وملك فرعون وفصح المسيح الفصح الثانى مجاز من آمن به من جميع أهل الدنيا من الأرض الى السماء فكه من عبودية الأصنام وملك الشيطان باحتماله المصائب والموت بناسوته واقامته اياه من بعد الموت بحياة دائمة لا فناء لها ورفعه اياه الى أعلى مراتب السموات فوق كل رئاسة وسلطان فشتان ما بين الفصحين والحملين والمجازين ولا عجب من ذلك لأن الاول رسم والثانى حق .

وأما أمر الله بأن يأخذوا من فصح الرسم من الحملان والجداء فتفسير ذلك ان المسيح فصح الحق أسلم نفسه وقربها عن جميع أولاد آدم المؤمنين منهم والكفرة والمعدلين والخطايين بقياس الحملان والجداء عن الكفرة والخطايين أكثر كما قال فى الانجيل لا يحتاج الاصحاء الى طبيب ولكن الذين هم مرضى ، لم اجيء لادعو

صديقين ولكن خطاة الى التوبة ، وكما قال بولس ان المسيح مات عن كفرة وخطاه لأننا إذ كلنا خطاة مات المسيح عنا كيما يصل الخلاص الى كل من أمن به وتمتلىء الكنيسة وهى جماعة المؤمنين نوراً من نور المسيح شمس الحق لأنه هو النور الذى ينير كل إنسان آت الى العالم كما قال فى الانجيل أنا نور العالم ومن آمن بى ليس يمشى فى الظلمة ولكن يكون له نور الحياة .

وليتم رسم الفصح الاول كله اذ ذبح الحمل كما أمر الله عشية الرابع عشر من الشهر صبيحة الخامس عشر حين يمتلىء القمر من نور الشمس نورا ويتصل نوره بنور الشمس وتزهو ظلمة الليل فيعاد ذلك اليوم اربعة وعشرين ساعة . بقياسه امتلأت كنيسة المسيح بالايمان نورا من نوره وزهقت ظلمة الكفر لانه شمس الحق وكنيسته قمر الحق كما تنبأ حبقوق النبى ارتفع الشمس وقام القمر على آيتين يعنى فقال بارتفاع الشمس ارتفاع المسيح على الصليب فصح الحق حمل الله الذى احتمل خطيئة العالم بحمله الموت والمصائب عنهم ثم أقام جبلتهم وجوهر الادمى الكلى من الموتى وأحياه بعد الموت حياة مخلدة وارتفع به الى السماء وأجلسه معه فى أعلى مراتب السموات فقامت كنيسته قمر الحق على رتبتها تؤمن به وتحتمل الجهاد فى طاعته والشدائد والمصائب والموت ولا تدع مودته لشىء فحق لنورها أن يتصل بنوره بالايمان وأن تزهق ظلمة الكفر وأن تصدق الرسوم بتحقيق الحق لها .

١٤ – ثم رسم قوة صليب المسيح التى تمثله عصاة موسى التى بها شق البحر الاحمر فاى رسم أوضح من هذا ؟ أن عصاة موسى هى عود وصليب المسيح عود افترق ماء البحر ذاهبا اذ ضرب به طولا وضرب به عرضاً فانضم الماء راجعاً فحقق بضربه بطول العصا وعرضها رسم الصليب وصار مجاز بن اسرائيل فى البحر والسحابة تسترهم وغرق أعداؤهم فيه فرعون وجنوده ولخلاصهم من عبوديتهم قياساً لمن آمن بالمسيح ومجازهم فى البحر قياسا لماء المعمودية والسحابة قياسا للروح القدس وقياس فرعون وجنوده قياسا لابليس وجنوده وقياس غرقهم قياسا لتغريق الكفر والخطيئة فى المعمودية ، وقياس خلاص بنى اسرائيل من عبوديتهم قياسا لخلاص من آمن بالمسيح وتعمد به . من عبودية ابليس وجنوده وعبادة أصنامهم .

١٥ - وفى بقية الرسم عجب ان الله أنزل على بنى اسرائيل المن من السماء خبزا وأخرج لهم ماء من صفاة صلدة شرابا من بعد مجازهم فى البحر قياسا لما أعطى المسيح الذين يؤمنون به من خبز القربان وشرابه من بعد المعمودية لايتناولون شيئا منه من قبل أن يعمدوا وقد ذكر المسيح هذا الرسم فى الانجيل حيث قال لليهود أنا هو الخبز الذى نزل من السماء ومعطى العالم حياة . اباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا أنا الخبز الحى الذى نزل من السماء من أكل من هذا الخبز يحيا الى الأب والخبز الذى أعطى أنا لكم هو الذى أعطى عن حياة العالم ونزول المن من السماء وخروج الماء من الصفاة قياس محقق لقول المسيح أنا الخبز النازل من السماء والذى يأكل لحمى ويشرب دمى له حياة مؤبدة وأنا أقيمه فى اليوم الأخير وهو يسكن فى وأنا فيه وذلك ليس أن جسد المسيح نزل من السماء ولكن ان الكلمة الله الخالق نزل بقوام النبوة فذلك القوام أخذ اللحم والدم من مريم العذراء فقومه انسانا فهو قوام لاهوته النازل من السماء وهو اياه قوام ناسوته الذى أخذه من مريم العذراء المقدسة . لم يكن له سبب ولا قوام غيره فلحم ناسوته الذى أخذه من مريم لحمه ودمها ودمه وقد ذكر بولس الرسول فى رسالته أيضا حيث قال ان اباءنا كلهم تحت السحابة كانوا وكلهم فى البحر جازوا وكلهم بموسى تعمدوا فى السحابة والبحر وكلهم طعاما واحداً أكلوا وشرابا واحدا شربوا لانهم كانوا يشربون من صفاة روحانية تتبع والصفاة كانت المسيح .

١٦ - ورسم آخر لقوة صليب المسيح حيث ألقى موسى العود فى المياه المرة فصارت حلوة ومعناه أنه بعود صلب ولم يستطيعوا أن يشربوا من ثم ماءا لانه مر والمسيح حول مرارة الكفر الى حلاوة الايمان .

١٧ – ورســـــم اخر لذلك ايضا لما كان اسرائيل يحــارب عماليق فكان لما يبســـــط موسى يديه يغلب شغبه ولما تعب سند هرون وهور يديه . فهزم عماليق فما أوضح هذا الرســم أيضا . لأنه لما بسط موسى يديه رفعهما الى الله برسم الصليب وهكذا بسط المسيح يديه على رأس تل الجلجـــلة مصلوبا واللصان صلبا معه بقياس هـــــارون وهور واحد عن يمينه وواحد عن شماله ، وأن يســـــوع ابن الله هزم ابليس وشـــــياطينه بقتل سيف قدرته على قياس يســـــوع بن نون عماليق وجميع شعبه بحد السيف .

١٨ – ورســم كبير أيضــا على يدى موسى حين أهلك بنى اســرائيل الحيات وقد امر الرب موسى بعمل حية نحاس كل من نظـر اليها من الملدوغين يعيش . فأى رسم أظهر من هذا الصليب المسيح وأنه مثلما رفعت حية النحاس على علم مصلبة لانها لو علقت على طول لسترها العلم ولم تر ولكنها وضعت علي العلم عرضا لترى من بعد ويتم رسم الصليب وأن تلك الحية كانت على خلقة حية وحلية حية من غير أن يكون له سم الحية قياس لناسوت المسيح أنه على خلقة آدم وجوهره وكل اداته من غير ان يكون له ولا فيه شيء من خطيئه آدم وقياس حياة كل ملدوغ من حية اذا بصر الى حية النحاس خلاص كل من يؤمن بالمسيح المصلوب من الحيات التى لا ترى ابليس وشياطينه . وأن كل من لدغ منهم فآمن به سلم ، وقد ذكر المسيح هذا الرسم فى الانجيل وقال كما رفع موسى الحية فى البرية كذلك ينبغى ان يرفع إبن الانسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية ومن أجل هذا الرسم قال لوقا فى الانجيل أنه لما تجلى المسيح على طور تابور بين أيدى تلاميذه الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا ظهر لهم رجلان وهما موسى وايليا بمجد ، وكانا يؤذنان بمخرجه الذى كان متممه باحتمال الصلب فى أورشليم لأن موسى بهذا الرسم استدل على مخرج المسيح من الدنيا كيف هومتممه باحتمال الصلب لخلاص الناس وحياتهم واستدل إيليا على قيامة المسيح من بعد الموت فى اليوم الثالث برسم احيائه ابن الارملة الصارفية من بعد موته بثلاث نفخات نفخها فى وجهه فقام وهذه كلها بتقوية روح القدس المنبىء الانبياء بما يتنبأون لأهل الإيمان .

١٩ – ورســـم قوى ظاهر بحبل مريم العـــذراء بالمسيح وولادتهـــا اياه من غير تزويج ولا زرع ، عصـــا هارون التى أفرخت وأزهـــرت زهراً وأثمرت لوزا والتى أمر الرب بحفظها علامة فمن ينكر من أهل العقول حبل مريم العذراء بالمسيح وولادتهـــا إياه بلا تزويج ولا زرع من بـعد اقراره بنبات عصـــا هارون اليابسة الميتة وازهارها ثمارها بلا أرض ولا ماء ، ولا يؤمن أن العصا وثمارها رسم ثابت لمريم وثمرتها يسوع المسيح .

٢٠ – ورسم آخر معجب جدا ومثالا فى مريم العذراء أن الله أمر موسى بعمل أشياء شتى خواصها معجبة ويجعلها فى مواضيع يكلم الله . منهـــا مؤنثة كلها . منها الخيمة مؤنثة ومجمرة الذهب مؤنثة وقلة الذهب للمن مؤنثة وعصا هارون المثمرة مؤنثة والبلاطتان اللتان كتبهما الله بأصبعه مؤنثتان وتابوت السكينة مؤنثة والمائدة التى وضع عليهـــا خبز القربان مؤنثة فـــأى شىء أعجب من هذا المثال فى مريم العذراء على وجه التـــأنيث ، وأن موسى عمل هذا كله ، ومن عمل شيئا كان هو اخير منه ، وأمر موسى بعمـــل هذه الاشيـــاء لانه خير منها ، فلذلك مريم العـــذراء ارفع الامثـــال والرسوم وأرفع من هذه الاشياء لان الرجل والامرأة شىء واحد .

والسبعون رجلا الذين أمر موسى ان يجمعهم من مشيخة بنى اسرائيل الذين يعرفون انهم شـــيوخ الشعب وأقوياؤهم رسم ومثال للســـبعين تلميذ الذين اختارهم المســـيح تلاميذا له من بعد الرسل الاثنى عشر فما زالوا مع الاثنى عشر عونا لهم أيام قيامة المسيح معهم وعند طلوعه الى الســـماء ومن بعد ذلك عند نزول روح القدس عليهم جميعـــا وفى الكرازه بالانجيل فى الامم والى ان ناموا نوم الراحـــة على الايمان بالحيـــاة المؤبدة ووراثة الملك الدائم بنعمة يسوع المسيح ربهم .

شهادات

من التوراة والأنبياء على المسيح

من قول القديس اثناسيوس الرسولى

قال القديس : بقى الآن أن نضع شهادات التوراة والانبياء فى المسيح على وجه المنطق بالكلام . فنقول : انه ينبغى أن نبدأ ونضع ايمان المؤمنين بالمسيح قبلا حتى بالشهادات على جميع ما يؤمنون به وتحقيق ذلك شيئا فشيئا بعون الله وتوفيقه .

فنقول . أن كل من يؤمن بالمسيح يؤمن بالاب والأبن والروح القدس اله واحد موحد بالجوهر مثلث بالخواص ، خواص الولادة والولود والانبثاق بلا فرقة من التوحيد ولا تخليط من التثليث وان الاب الوالد هو العقل الخالق والابن المولود هو الكلمة الخالق وان روح القدس المنبثق هو الروح الخالق ، فالشهادات فى الكتب على ايمانهم ثابتة حيث قال الله فى التوراه قبل ان يخلق الانسان : تخلق انسانا على صورتنا وشبهنا بقول التكثير محققا للتثليث ولم يقل على قول التوحيد أخلق انسانا على صورتى وشبهى . ثم قال بعد أن خلقه : وخلق الله الانسان على صورة الله ، ثم قال من بعد معصية آدم قولا لا أفصح فيه بالتثليث اذ قال هوذا آدم قد صار كواحد منا . فليس بعد قوله كواحد منا فى التثليث شبهة . وقال الكتاب فى قصة سادوم وأمطر الرب من عند الرب ناراً وكبريتا على ســادوم فلم يقل االرب أمطر من عنده ولكن أمطر الرب من عند الرب ، ثم قال موسى فى خطابه لاسرائيل أليس هذا الاب أبوك اقتناك وخلقك وبراك فأصبح برب خالق بارى وقال داود فى الزبور : بكلمة الرب تشددت السموات وبروح فيه كل قواتها وقال ، أيضا كلمتك يا رب الى الدهر يبقى ثم قال من أجل الموتى تبعث روحك فيخلقون وتجدد وجه الارض ، وقال من أجل مولد الكلمة الابن من العقل الاب من قبل مصباح المشرق ولدتك يعنى بمصباح المشرق الشمس والشمس من قبل

آدم خلقت . فمن ولده الله من قبل الشمس غير الابن الوحيد نورا من نور إلها حقا من اله حق مولودا غير مخلوق من جوهر الاب مثل ما يقول المؤمنون بالمسيح . وقال سليمان بن داود من قبل أن تكون الجبال ومن قبل أن تظهر العيون ومن قبل التلال كلها ولدني . فقول داود عن الاب الوالدوقول سليمان بن داود عن الابن المولود الذى هو حكمة الاب وكلمته وقال أيوب الصديق روح الرب خلقنى وهو الذى يعلمنى . وقال أشعياء النبى رأيت الرب جالسا على منبر عال مشرف والسارافيم قياما حوله ستة أجنحة للواحد وستة للواحد ولكل واحد ستة أجنحة ، بجناحين يغطون وجوههم وبجناحين يغطون أرجلهم وبجناحين يطيرون ويقولون كل واحد مقابل الاخر بشفتين لا تسكتان قدوس قدوس قدوس رب الصاباؤوت امتلأت السموات والارض من مجده . فأى قول أبين من هذا التسبيح الدائم من السارافيم وهم أرفع أجناد الملائكة واقربهم الى الله حيث يقولون قدوس ثلاث مرات بتثليث الاب والابن والروح القدس ويختمون ذلك بتوحيد رب الصاباؤوت ويؤمن المؤمنون بالمسيح انه ابن الله الوحيد الكلمة الخالق المولود من قبل الادهار كلها الذى به كون كل شىء وبغيره لم يكن شىء كما قال الانجيل ثم تجسد لاجل خلاص البشر وابن مريم الوحيد وعلى هذا كله ينبغى أن نأتى بالشهادات شيئا فشيئا :

١ - أول النبوات على الخلطة المعبودة فى المسيح بالقول الظاهر قول الاله من اجل آدم من بعد معصيته وخطيته . ها ادم قد صار كواحد منا يعنى بأحدنا احد التثليث الابن الوحيد ويعنى ان ادم قد صار كذلك بحلول لاهوت الابن بجبلة ادم وخلطته بها واقامته اياها من بعد الموت ورفعه اياها الى اعلى السموات فوق كل رئاسة وسلطان بخلطة ثابتة فى مسيح واحد ابن متجسد معبود محمود مع الاب وروح القدس . فبحق ان ادم صار كأحد التثليث اذ صارت جبلة ثابتة فى السماء بخلطة أحد التثليث الدائمة لا تحتال ابدا فصار قول الله هذا من اجل آدم نبوة منه بسابق علمه ان آدم صائر كأحد التثليث الابن الاخذ ناسوت آدم الضام له الى جوهر لاهوته لا فرقة له ابدا ولولا ذلك ما رضى الله ان يجعل ادم الخاطىء العاصى الدنس كأحد التثليث القدوس الكلى الطهر وما كان يحقق كذب إبليس وخديعته امرأة آدم اذ قال لها انكما ان اكلتما من الشجرة صرتما مثل آلهة وكقبل المعصية كان اشبه أن يقال فى مخلوق الا ان الله عرف إذ عصا آدم وسقط . ان احد التثليث لا محالة مخالط جوهره

الناسى وطاهر من الخطية ورافعه من سقطته ولولا ما جاز هذا القول لادم ابداً فأى نبوة ارفع واكرم من نبوة الاله بكلمته على الخلطة فى المسيح .

٢ - ثم نبوة نوح بقوله " مبارك الرب إله سام ويكون كنعان عبده يوسع الله ليافث ويسكن فى مساكن سام " وانما مساكن سام على الارض مع الناس فبين بأن الله مساكن الناس من أولاد سام فتم ذلك حقا فى المسيح ابن الله انه ساكن بلاهوته فى ناسوته الذى اخذ من مريم العذراء فصارت مريم ام المسيح العذراء المطهرة ابنة داود ابنة يهوذا ابنه اسرائيل ابنه ابراهيم ابنة سام ابنة نوح ابنة شيث ابنة آدم معرفة فيه الكرم لان هابيل بن آدم قتل قبل أن يولد له ابن ، وقايين القاتل صار شريرا وشيث اكرم اولاد آدم ونوح اكرم اولاد شيث لان سائر اولاد شيث زنوا ببنات قايين ففرقهم الله كلهم بالطوفان وعال نوح واستبقاه واكرم اولاد نوح بكره سام لان ذرية حام لعنت ودعى ليافث بالسعة فى الارض وكثرة الذرية وخص سام بسكنى الخالق فى ذريته واكرم اولاد سام ابراهيم لان سائر ذريته طغت وعبدوا الاصنام وعبد ابراهيم الله ربه واتخذه خالقه خليلا واكرم اولاد ابراهيم اسحق بن سارة الحرة ، واكرم اولاد اسحق اسرائيل لان الله بغض عيسو واحب يعقوب وقدسه وهو أب الاسباط وسيد أولاد اسرائيل يهوذا لان الله جعل الملك فى سبطه ، واكرم اولاد يهوذا داود لان الله اختاره وجمع له الملك والنبوة ، واطهر اولاد داود ناثان لان داود جعله مختار الله من أولاده وجعل له الكهنوت وخدمة الله لما جاء من تلطيخ سليمان بالاصـــنام ومن وجد الله عليه وافضل اولاد ناثان ياقيم ابو مريم الســـائل الله اولادا فوهب له مريم المطهـــرة المصطفاة الممتلئة نعمه لذلك ، اختارها الله له مسكنا ليبتنى له من جسدها الكلى الطهـــر بشرا ادميا طاهراً بلا تزويج ولا زرع لتمام نبوة نوح .

٣ - ورسم كبير على يدى يشوع بن نون لمعمودية المسيح بنهر الاردن وانتخابه تلاميذه الرسل الاثنى عشر من ثم ومن بحيرة طبرية حيث أجاز يشوع بن نون بنى اسرائيل فى نهر الاردن من بعد موت موسى بتابوت العهد وإقامة اثنى عشر حجرا كما هو مفصل بيشوع النبى فراجعه فأى قياس أصدق من هذا . يشوع بن نون العبد مدبر العهد العتيق ويسوع ان الله السيد مدبر العهد الحديث ، ثم تابوت العهد من خشب ميت مزينة بصفائح ذهب ، وههنا تابوت العهد ناسوت المسيح من بشر ودم حى طاهر مزين بروح القدس ، ثم اثنا عشر حجراً صماء لا روح فيها وههنا اثنا عشر تلميذا رســـلا روحانيين مقدسين . وافترق الاردن ووقفت المياه النـــازلة من فوق فى مركز واحـــد ونزل الماء النازل فى بحـــر الاملاح وههنا فرق الايمـــان بالمسيح

بين المؤمنين والكفرة فوقف المؤمنون والمولودون من الماء والروح فى مركز واحد على عنويته وكنيســـــة واحدة مؤسسة على صفاة الايمـــان ونزل الكفرة النازلون الى أسفل بحر الاملاح وهو البحر الميت فى ملوحة الكفر ثم اجازة التابوت من بعد تمام مجاز الشـــعب كله وههنا تعمد المسيــح من بعد تمام تعمد الشعب كله ، وغير ذلك مما يكثــر ان اردنا استقصاء من شبه الرسم بالحق فى جميع الرسوم والتابوت بعينه أنه من أعواد السنط مذهبة من داخلها وخارجها بذهب نقى قياسا لمريم ام المســــيح ايضا انها صــــارت تابوتا له تحمله فى جوفـــها . كلمة خالق ثابت فى ناسـوت مخلوق وكانت طهرا أنقى من الذهب لأن الله اصطفاها وطهرها فلم يدخل على جسدها فســـاد لا بوحم ولا بطلق ولا بســـيلان دم ولا بفك عذره لا فى الحبل ولا فى الولادة ولا من بعد ذلك ولم تبل من بعد الموت اذ رفع المسيح الله اياها اليه مبعوثه حية من بعد الموت .

٤ – ورسم أخر على يدى يشوع بن نون لفعال المسيح ابن الله يوم صلبه واحتماله قتال ابليس وجنوده الشياطين وهزمه اياهم سلطانهم عن المؤمنين اذ قاتل يشوع بن نون أعداء من الامم ظفر بهم وادركه المساء من قبل بلوغ ما أراد منهم فسأل الله أن يوقف له الشمس والقمر فأوقفهما الله له ثلاث ساعات زادت فى ذلك اليوم على حقه استطالة على الليل فلما كان يوم صلب يسوع المسيح أظلمت الشمس ثلاث ساعات من النهار من ست ساعات الى تسع ساعات فاقتضى الليل من النهار الثلاث ساعات التى كان اخذها منه لأن المسيح قضى كل دين وفك كل خلقه وأظلم نور الشمس نهارا وزلزل الارض وشق الصخور وفتح القبور وبعث كثيرا من القديسين منها يوم صلبه كما قال الانجيل تأنيبا لليهود لجراءتهم عليه وشق ستر هيكلهم وسطا ايذانا بذهاب كل ما أعطوا قبل ذلك ودمارهم على يدى تيطس ملك الروم الصنمى . وقتال يشوع بن نون الامم الكفرة خدم ابليس وهزمه اياهم وقتله لهم وفتحه مداينهم ونهبه أموالهم بقوة تابوت الرب وراثته بنى اسرائيل الارض التى وعد الله آباءهم وقسمته اياها بينهم وتسكينه اياهم فيها رسم ومثال لفعال يسوع المسيح ابن الله أنه قاتل ابليس وشيطاينه باحتماله الصلب والمصائب بناسوته الذى هو تابوت الرب حقا وهزمهم بصبره وقتلهم بقيامته وفتح مداينهم بالجحيم ونهب غنايمهم أنفس الصديقين التى كانت . ثم على ما تنبأ داود وقال بادت حراب العدو الى الابد وهدمت مداينه . وعلى ما

تنبأ أشعياء وقال وهو الذى يفرق غنايم الاقوياء مكان ما اسلمت نفسه الى الموت وعد مع الذين لا ناموس لهم . وكما قال المسيح فى الانجيل الآن ادين هذا العالم الآن يخرج رئيس هذا العالم خارجا وان أنا علوت من الأرض جذبت كل أحد الى وقال ايضا اذا كان القوى متسلحاً يحفظ داره كان كل شىء له فى سلامة فاذا أتى عليه الذى هو أقوى منه غلبه ونزع كل سلاح عنه ونهب كل شىء له . وورث يسوع ابن الله الذين يؤمنون أنه اله ورب وبتابوت ناسوته ليس مداين وكور فى الارض ولكن منازل الراحة والكرامة فى ملك السماء وهى الراحة التى حلف الرب على لسان داود من أجل جيل اسرائيل الذين أبصروا عجائبه أربعين سنة فى البرية ولم يثبتوا على عهده الا يدخلهم راحته وان ظن اليهود أن الرب انما عنى براحته الراحة التى إراح بنى اسرائيل فى الارض التى أسكنهم فيها كذبهم بولس رسول المسيح حيث قال فى رسالته أن لو كان الرب انما عنى براحته الراحة على يدى يشوع بن نون ما كان من بعد يشوع يعدهم بحلف على لسان داود ألا يدخلهم فى راحته فهى راحة المسيح الرب التى يدخلها كل من آمن به ولا يدخلها كل من كفر به وهى الراحة المؤبدة التى لا هم ولا كدر ولا حزن بعدها وهو السبت الاعظم الذى لاسبت بعده حين تنبت السماء والارض وأهلها . وتفسير السبت الراحة .

٤ – ورسم كبير فى المسيح على يدى ايليا لما جاء القواد الثلاثة من قبل ملك اسرائيل فحرق الأول والثانى ولكن الثالث كلمه كلاما لينا فأمره الرب بأن يتبعه فانطلق ايليا معه وسلم القائد وأصحابه ، مثال لسلامة المؤمنين وخلاصهم بتواضع ورفق ولين المسيح ابن الله الحى .

٥ – ثم رسم قيامة ناسوت المسيح من الموتى فى اليوم الذى نفخ ايليا فى وجه ابن الارملة الميت ثلاث مرات وأحيا الرب الغلام على يديه فى النفخة الثالثة .

٦ – ثم رسم غطس من آمن بالمسيح باثنى عشر حجرا على عدد اسباط اسرائيل فى معموديته ثلاث مرات حيث قرب ايليا عجلا على جبل الكرمل وقطعه اربا وبنى مذبحا ووضع عليه حطبا والقربان على الحطب ثم أمر أعوانه وصحبه فحفروا خندقا مثالا للمعمودية وأن يصبوا على ذلك كله ماء فصبوا وقال لهم ثنوا فثنوا ثم قال ثلثوا فثلثوا قياسا لتثليث غطسات المعمودية وامتلاء الخندق ماء ثم دعا الى الرب أن يستجيبه بنار فنزلت نار من السماء فأكلت القربان والحطب والماء ولحست الارض تحقيقا لقبول الرب القربان والماء ومثالا لنزول روح القدس على ماء المعمودية وعلى قربان المذابح ، ومن بعد ذلك تمكن ايليا من اعدائه الكفرة كهنة ابليس وقتلهم مثالا

لتمكن المؤمن بالمسيح من بعد المعمودية والقربان من أعدائه ابليس وشياطينه بعون الرب . ومن قتله الكهنة دعا الى الله فجاء الله بالمطر . وصوم ايليا من بعد ذلك أربعين يوما وأربعين ليلة رسما لصيام المسيح من بعد المعمودية أربعين يوما وأربعين ليلة ثم قول الرب ايليا فى حوريب اخرج وقف على الجبل بين يدى الرب بك وبين يديه ريح قوية تخل الجبال وتحطم الصخور وليس الرب فى تلك الريح ومن بعد الريح زلزلة وليس الرب فى الزلزلة ومن بعد الزلزلة نار وليس فى النار ومن بعد النارصوت ريح لطيفة والرب ثم . ففعل ايليا النبى كما أمره الرب وكلمه . فأى رسم ابين من هذا أن المسيح لم يظهر للناس ويكلمهم ويخلصهم بشدة ولا بريح عاصف ولا بزلزلة ولا بنار ولكن بلين وتواضع التأنس ودعته تحقيقا لرسم صوت الرب اللطيفة التى كلم الرب ايليا النبى منها . ثم مجاز ايليا النبى نهر الاردن من قبل رفع الله اياه مثالا معروفا لعماد المسيح في نهر الاردن من قبل صعوده الى السماء فبهذه الرسوم تنبأ ايليا فى المسيح وأنبأ الناس به وليس بنبوة كلام .

٧ – وكذلك تنبأ يونان النبى أيضا على موت المسيح بناسوته وقبره وقيامته حيا بلا بلاء فى اليوم الثالث على رسم مثال بلع الحوت يونان وإقامته فى جوفه ثلاثة أيام ميتا عند الناس ، حيا فى السر . ولفظ الحوت اياه حيا بلا بلاء . ولذلك المسيح فى الانجيل ذكر رسم يونان هذا اذ قال لليهود : الجيل الكافر المتقلب يطلب آية ولا يعطى الا آية يونان النبى لان مثلما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال كذلك يكون ابن الانسان فى قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال .

٨ – ورسم آخر على يدى اليشع النبى لمعمودية المسيح بنهر الاردن واستنقاء كل من آمن به وتعمد بمعموديته من برص الخطايا ، مجىء نعمان السريانى الى اليشع وشفاؤه باستحمامه فى مياه الأردن قياسا لنقاء أنفس المؤمنين المتعمدين بالمسيح من خطاياهم وكان الموضع الذى استحم فيه نعمان من نهر الاردن هو الموضع الذى وقف فيه تابوت الرب على عهد يشوع بن نون وحيث تعمد المسيح ابن الله فحقق الرسم بالحق .

٩ – ثم رسم الحجر الذى قطع بغير يدين الذى رآه نبو خذ نصر ملك بابل من بعد الصنم وأى مثال أكرم من هذا وأبين ان المسيح هو الحجر المنقطع من جبل بغير يد من مريم العذراء بغير رجل االذى ولد منها فى بيت لحم اليهودية فى أيام أوغسطس قيصر ودق الصنم ملك ابليس الجامع للامم كلها فى مجمع عبادة الاصنام وصيرها مثل غبار الصيف أذهبته كثرة روح القدس المفرغ على كل بشر مؤمن بالمسيح وصار

الايمان بالمسيح الذى دق عبادة الاصنام جبلا كبيرا وملأ الارض كلها من الايمان به هو الملك الذى لا يبلى الذى يدق ويذرى جميع الاملاك ويقوم الى الادهار لأنه ملك الان فى السماء تعبده أجناد الملائكة وملك على الارض على جميع الذين يؤمنون به من الأمم والملوك ثم هو يأتى أيضا ملكا فى السماء يوم القيامة يدين الخلق بأعمالهم ويبطل كل ملك وسلطان ويقوم ملكه إلى الأبد لافناء له .

١٠ – ورسم الثلاثة فتية معجب حننيا وعزريا وميصائيل ، والقاء بختنصر اياهم فى أتون النار ببابل حين أبوا أن يعبدوا آلهته ولا يسجدون للصنم الذهب الذى أقام فى سهلة دحيرا فى كورة بابل . أنهم القوا فى أتون النار ثلاثة مثالا لتثليث الآب والابن والروح القدس وسلموا من حرق النار بنزول أحد التثليث الابن الازلى فى الاتون معهم بشبه ملاك وهو ابن الله الوحيد المتجسد فى آخر الازمان من مريم العذراء فنفض لهب النار من الأتون بقدرته وجعل فى وسط الاتون مثل ريح ندا له صفير وقسم فعال جوهر النار الواحدة فعالين فأحرقت بلهبها الرجال الاشداء الذين رموا بالفتية الثلاثة مكتفين فى الاتون وكل من وجدت حول الاتون على تسعة وأربعين ذراعا من الكلدانيين الكفرة وندت الفتية المؤمنين ليظهر ابن الله بذلك ما هو فاعل عند نزوله وتجسده من مريم العذراء أنه مالك نار لاهوته ألا تحرقهم وانه محرق بها كل من كفر به وأقام على تدوير تسبيع هذا الدهر الادنى فى الضلالة والزوال ومبدى بها مريم العذراء الطاهرة وكل من آمن به وتعمد بالماء والروح القدس وصدق بالدهر الآخر واليوم الثامن الذى ينقض تدوير التسبيع المنتهى الى عدد التسعة والاربعين ويتم العدد الخمسين باليوم الفرد يوم القيامة . ووضع رسمه فى التوراة لموسى فى سبب الجمع وأنزل التوراة عليه فيه لتمام خمسين يوماً من فصح الحمل لأن كذلك نزل القدس على رسل المسيح لتمام خمسين يوما من فصحه وأراد المسيح ابن الله أن يحقق نزوله وتجسده ومخالطته للناس برسم نزوله فى أتون بابل فاظهر ذلك لنبوخذ نصر ملك بابل ليعرفه الناس اذ سمع نبوخذ نصر تسبيح الثلاثة فتية فعجب وقام عاجلا وقال لعظمائه أليس ثلاثة رجال جعلنا فى وسط الاتون موثقين فقالوا بحق أيها الملك فقال ها أنا أرى ههنا أربعة رجال مطلقين يمشون فى وسط النار وبلاء ليس فيهم ، ومنظر الرابع شبه ابن إله فدعاهم وخرجوا اليه فسجدوا اليه للرب وبارك إله شدرخ وميشخ وعبد نغو الفتية الثلاثة مخلصهم من وسط أتون النار الملتهبة .

طبع بشركة هارمونى للطباعة
ت : ٦١٠٠٤٦٤

رقم الإيـــداع ١٦٣١ / ١٩٨٨

BOOKSHOP  مكتبة المحبة

٣٠ شارع شبرا ناصية شارع البعثة - ت : ٥٧٥٩٢٤٤ - ٧٧٧٤٤٨